الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى

# الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي

.

**إعداد الطالب:**
محمد حصباية

**إشراف الأستاذ :**
رشيد **التومي**

السنة الجامعية: 1430-1431هـ الموافق لـ:2009-2010

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

# المماللك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ العصور الوسطى.

قائمة أعضاء اللجنة المناقشة :

الدكتور بوكنة عبد العزيز..................رئيسا ومقررا.

الدكتور تومي رشيد .......................مشرفا

الدكتور بشار قويدر .......................عضوا مناقشا .

الدكتورة عبد الشكور......................... عضوا مناقشا.

**إعداد الطالب:**

**محمد حصباية**

**السنة الجامعية: 1430 -1431هـ الموافق لـ:2009 -2010**

# إهداء

قال تعالى (( هل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ))سورة الرحمن الآية 60.

إلى روح أمي في الخالدين التي تمنت أن أنال بسطة في العلم يرحمها الله

إلى والدي رعاه الله وحفظه من كل سواء.

إلى جميع إخوتي وأصدقائي وإلى كل من قدم لي المساعدة من قريب أو بعيد إلى هؤلاء جميعا واعترافا بفضلهم ووفائهم ببعض حقهم أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

# كلمة شكر

قال تعالى: (( ولئن شكرتم لأزيدنكم .)) الآية 7 ، سورة إبراهيم.
الشكر لله أولا على فضله ونحمده على جزيل عطائه ، ثم الشكر والتقدير والثناء للأستاذين الكريمين الدكتور رشيد التومي لقبوله الإشراف على هذا العمل المتواضع ، وتوجيهاته القيمة خاصة في المنهجية العلمية للبحث ، والشكر موصول للأستاذ الكبير محمد الأمين بلغيث الذي هيأ لطلبة جوا للبحث العلمي من خلال التشجيع المستمر والدعم الذي لا ينقطع جزاه الله عني كل خير .

# مقدمة

لاشك أن القرن الحادي عشر ميلادي / الخامس هجري يعد محطة مفصلية في تاريخ غرب أوربا المسيحية عامة وبلاد الأندلس ذات الحضارة المتميزة بصفة خاصة ، إذ سجلت الأندلس في هذه الحقبة أحداثا سياسية حافلة كان لها أكبر الأثر على مستقبل شبه الجزيرة برمتها، ذلك انها ادت إلى تغير جذري للخريطة السياسية لها و إلى انتقال مركز الثقل والقوة السياسي و الإستراتيجي إلى الممالك المسيحية الشمالية الناشئة ،هذا على حساب الحكم الإسلامي الضعيف الباهت في الجنوب والممثل في قواه المتشرذمة وأوصاله المتصدعة وصفوفه المفككة .

الواقع أن أهم ما شهده القرن الحادي عشر في الأندلس هو قيام الممالك المسيحية ففي أجزائه الشمالية مما أحدث تغيرا ملحوظا في مجرى الوقائع في المنطقة ، ذلك أن هذه الممالك لم تلبث أن انطلقت في تنفيذ سياسة هجومية فعالة تجاه المسلمين ،بهدف إلى إعادة الاستحواذ على بلاد الأندلس و إفتكاكها من حوزة حكامها الضعفاء المعروفين" بملوك الطوائف" هذا في إطار حركة عارمة أصطلح عليها تاريخيا عند الأوروبيين بحركة الاسترداد Reconquista ، لكن ما كان لزعماء هذا المشروع أن يفلحوا في تحقيق مبتغاهم لولا التاييد المادي والمعنوي الذي ياتيهم من المحيط الدولي المسيحي المجاور للاندلس كايطاليا وفرنسا والبابوية ، والذي تحول إلى قواعد خلفية حساسة تدفع بقوة وفي صالحهم عجلة المواجهة مع الطرف الإسلامي مما أضفى الطابع الصليبي الواضح على هذه الحركة ، فضلا عما أصاب الجبهة الإسلامية من تصدع فضيع قوامه تخاذل الحكام المسلمين وانقسام صفوفهم كانت نتيجته تيسير دور القوى المسيحية وستمر ذلك إلى ما بعد ملوك الطوائف وتوج في النهاية بسقوط مدينة غرناطة المدوي آخر معاقل المسلمين في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي /التاسع الهجري .

حقيق على أن شبه الجزيرة الابيرية( إسبانيا) عاشت خلال القرن الحادي عشر الميلادي مرحلة حاسمة من تاريخها ، نظرا للتطورات المصيرية التي عرفتها ساحتها شمالا وجنوبا . ومن ذلك سجلت بلاد الأندلس ديناميكية سياسية وحركة عسكرية منقطعة النظير جسدتها العلاقات الدراماتيكية بين جبهتين متصارعتين ، الاولى مسيحية ناشئة تسعى إلى نهضتها وفرض امنها الجديد المحتوم ، فيما تبحث الثانية الإسلامية عن اسباب الحفاظ عن مجد قد كتب عليه الافول ، عن طريف مواجهة بائسة قد تؤجل فقط نهاية ماساوية لا تبقي ولا تذر للتواجد الإسلامي في الأندلس .

غير أن هذا الجو المكفهر الذي أضحى الطابع المميز للعلاقات الإسلامية المسيحية في الأندلس والتي غطت سبعين عاما من عمرها ، إلا أن الجسور الحضارية والثقافية ضلت قائمة وفاعلة بين المعسكرين ، ومن ذلك أظهرت الساحة الأندلسية مجددا خصوصيتها الحضارية الفريدة والتي لا يمكن وصفها إلا بالآثار والتمايز في ظل هذه الظروف الحالكة.

ولإنجاز موضوع هذه المذكرة الذي يحمل عنوان " الممالك المسيحية شمال الأندلس وعلاقتها بملوك الطوائف خلال القرن الحادي عشر الميلادي /الخامس هجري " فقد اعتمدت على خطة تتشكل من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة .

أما الفصل الأول والذي يحمل عنوان " العوامل المساعدة على الممالك المسيحية " فأبرزت فيه الأسباب التي ساعدت على قيام النواة الأولى للممالك المسيحية في شمال الأندلس لنعطي للموضوع أرضية أو خلفية تاريخية معرجا على عصر الولاية والخلافةعصرا القوة للوجود الإسلامي الذي شابه بعض فترات الصراع الداخلي الذي عزز هذه النواة المسحية .

وفي الفصل الثاني الذي يحمل عنوان " قيام الممالك المسيحية " فقد ذكرت فيه نشأة الممالك المسيحية ،وعن حالتها خلال القرن الحادي عشر ميلادي/ الخامس الهجري وأهم التطورات التي حصلت بها مع الإشارة لأهم الجوانب الحضارية فيها .

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث وعنوانه " حركة الاسترداد " لأتناول حركة الاسترداد اسبابها ومراحلها ونتائجها التي تعد أهم وأخطر التطورات في العلاقات السياسية على الساحة الأندلسية .

ثم الفصل الرابع الذي أعطيته عنوان " العلاقات الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية " فقد تطرقت فيه إلى العلاقات الاقتصادية و الثقافية و الاجتماعية التي ربطت الممالك المسيحية بالأندلس الإسلامية التي ادخرت كنوز المعرفة في العهد الأموي و التي أخذت تتسرب لشمال المسيحي خلال هذا العهد .

و حوصلت كل هذا بخاتمة ضمنتها خلاصة الموضوع المتمثلة في عوامل تفوق الممالك المسيحية في هذه الفترة ،وما صاحبه من زخم عسكري توج بسقوط حواضر مهمة مثل طليطلة التي كانت ضربة قوية للوجود الإسلامي في شبه الجزيرة ،لولا أن تداركه المرابطون الذين أعادوا التوازن السياسي للأندلس.

أما فيما يخص أهمية الموضوع فهو يكتسي أهمية خاصة في حقل الكتابة التاريخية لاعتبارات عدة منها أهمية هذه الحلقة لكونها جزء لا يتجزأ من تاريخنا في أوروبا ، وجسر تاريخي لتواصل مع الغرب بوجه عام ، كما تعد هذه المرحلة بمثابة التباشير الأولى لميلاد الإمبراطورية الإسبانية التي غزت القارات الثلاث فيما بعد ، وفي الجانب الأخر اعتبر هذا القرن بداية النهاية الطويلة التي فقدت فيها الاندلس وحدتها الإقليمية القديمة دون رجعة ، وهذا ما جعل الممالك المسيحية تفوز في صراعها معها،ذلك بتوحيد جبهتها و ازدياد قوا ونفوذها وتوسع رقعتها ، هذا على الرغم من تناثر أجزائها وتعدد شارا وتناقض أطماعها وتشابك علاقاتها حتى إذا كان القرن الثالث عشر الميلادي / منصف السابع الهجري ترى رقعة الحكم الإسلامي ترتد حدوده على ما وراء النهر الكبير وتنحصر في مملكة غرناطة الصغيرة وأصبحت الحواضر الكبرى للأندلس كقرطبة وأشبيلية وبلنسية ومرسية وغيرها تتحول إلى حواضر مسيحية بحتة .

أما عن الدوافع التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع فيمكن تلخيصها فيما يلي ، أولها رغبتي في الكتابة عن التاريخ المشترك بين المسلمين وغيرهم ، وهو ما يعبر عنه بالعلاقات الدولية ، والتي يمكن استخلاص التجارب و العبر منها.ضف إلى ذلك التحول العظيم في الأندلس و الذي كان له عظيم الأثر ، لكونه بداية الجلاء والتراجع الإسلامي في هذه المنطقة من العالم وهي إسبانيا ، وهذا ما عبر عنه الفقيه الزاهد ابن العسال بعد سقوط طليطلة أثناء حركة الاسترداد بالقول :

يأهل أندلس حثوا مطيكم * * فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ** ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

هذا يعد بداية تقلص ظل الإسلام في شبه الجزيرة وانقلابا في موازين القوة مما دفعني إلى دراسته ، محاولا سبر أغواره وتعقب تاريخ الممالك المسيحية التي سمحت لها الظروف المحلية والدولية في إحراز تفوق باهر.كما شجعني أيضا على خوض هذه الدراسة قلة الاهتمام بهذا الموضوع من طرف المؤرخين و الباحثين والمهتمين الجزائريين في مذكراتهم و لا حتى في كتبهم المنشورة، والتي اجتهدت في طلبها لمدة ثلاث سنوات في المكتبات العامة ، وعلى الرغم من ان بعضها كان قريب من هذا الموضوع إلا انها لم تعرج عليه وهذا ما شجعني على ولوجه .

## عرض وتقييم المصادر والمراجع :

تنوعت المصادر في هذه الدراسة فشملت جملة من كتب التاريخ و الأدب و الجغرافيا والطبقات و النسبة ،هذا في محاولة مني لجمع شتات هذا الموضوع.بالنسبة لكتب التاريخ فهي عديدةحيث كنت أحاول الاعتماد على المصادر التي تعدمعاصرة لفترة القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري أو قريبة منه .

كان على رأسها ما كتبه المؤرخ ابن حيان وهو أبو مروان حيان بن خلف ولد بقرطبة سنة (377هـ/982م) وتوفي بها سنة (469هـ /1079م ) .عاش أواخر عهدالخلافة الأموية والموافق لفترة ملوك الطوائف . يعد ابن حيان شيخ المؤرخين الأندلسيين ويعتمد نظرا لدقة كتاباته وموضوعيته الواضحة ، لكن يؤسف لضياع تاريخه المسمى "المقتبس في أخبار الأندلس" خاصة ما تعلق بأحداث عصر ملوك الطوائف ولم يبق منه سوى بعض القطع ، لكن لحسن الحظ فقد نقل عنه بعض المؤرخين وحفظوا لنا بعضا من هذه الثروة التاريخية النادرة كابن بسام وابن عذاري وابن الخطيب وابن خلدون و المقري ، لاسيما ما تعلق بالحديث عن الثورة بقرطبة وبداية انفراط عقد الخلافة وكذا ما خص الثغور الإسلامية و الأسرات التي استقلت بها في عصر ملوك الطوائف وعلاقتها ببعضها البعض من جهة وعلاقتها بنصارى الشمال من جهة أخرى .

أما المصدر الثاني من حيث الأهمية فهو للأمير عبد الله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن زيري الملك الثالث و الأخير لأسرة بني زيري أصحاب غرناطة " مذكرات الأمير عبد الله " أو مصطلح عليه بكتاب "التبيان" ، ولد هذا الأمير سنة 447هـ/1056 م وعين سنة 456هـ/1064م كولي عهد لجده الأمير باديس بن حبوس ، ثم اعتلى عرش غرناطة سنة 469 هـ/1077 م . شهد عهده خلافات مسلحة مع جيرانه الأمراء المسلمين كما كانت له علاقات مع ملك قشتالة ألفونسو السادس ، ونظرا لموقفه هذا كان لكتابه التبيان أهمية بالغة في تاريخ الأندلس إذ يشكل وثيقة نادرة من أحد ملوك العصر ،و شاهد عيان على أحداث عصره لا سيما و انه شارك في صنع بعضها . وقد دون قصة غرناطة وهو بإقامته الإجبارية في أغمات بالمغرب الأقصى وعلاقتها مع مملكة قشتالة المسيحية ،كما قدم لنا سردا لجميع الحوادث التي أدت إلى استيلاء ألفونسو على طليطلة سنة 478هـ/1085م و كذا حالة الانحلال الاجتماعي والسياسي في الأندلس التي سبقته وتدخل المرابطين في السنة الموالية .

أما المصدر الذي يليه فهو لوحيد زمانه ابن حزم الأندلسي ( ت 456هـ/1066م ) ،والذي عاصر هذه الفترة نفسها فهو شاهد عيان على انهيار الخلافة الأموية التي كان من أنصارها ، وقيام عهد ملوك الطوائف الذين يكن لهم العداء مما جعل صاحب اشبيلية يحرق كتبه علنا على ابوابها ،وعن كتبه ورسائله التي دونها التي كان عليها اعتمادي، مايلي كتاب ((طوق الحمامة في الألفة و الآلاف )) و رسائله المعنونة ((الرد على ابن النغريلة اليهودي )) ، وهي تجسد انتفاضة ابن حزم على ملوك الطوائف .جراء ما أصاب المسلمين على أيدهم من محن وسفك دماء وتحكم اليهود في رقاب المسلمين ،وتدخل المسيحيين في شؤون ملوك الطوائف الداخلية .

ثم يأتي ابن الكردبوس وهو الشيخ أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري ،من مدينة توزر التونسية ، عاش في النصف الثاني من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، كتابه يعد تاريخا مختصرا للاندلس منذ الفتح حتى اوائل عصر دولة الموحدين ،اهتم بهذا الكتاب ثلة من المستشرقين الأوربيين اهتماما كبيرا واعتمدوا عليه في كتاباتهم التاريخية، منهم العالم الإسباني باسكوال دي جاينجوس الذي ترجم معظم أجزاء الكتاب إلى اللغة الأنجليزية ، ونشر ي المؤرخ دوزي Dozy جزءا منه المتعلق بفترة ملوك الطوائف بل أثبت وجود تشابه بين نص إبن الكردبوس وبين الحوليات الإسبانية المعروفة باسم " La Primera Cronica General" التي وضعها ألفونسو العالم (el Sabrio) في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي، وهذا يعني أن الحوليات الإسبانية قد نقلت كثيرا منه .لقد اعتمدت عليه لما احتواه من مادة خصبة تمتاز عموما بدقتها وعمق نظرتها، زوده المحقق احمد المختار العبادي بهوامش تشرح بشكل جلي كل عبارات النص من أسماء مدن و أعلام وتواريخ إضافة إلى إحالة القراء إلى الكتب التي استقى منها معلوماتهو كان اعتمادي على الصفحات التي تمتد من رقم 57 إلى غاية 110 وهي الأوراق التي كشفت لنا عن سقوط الخلافة الأموية و كذا مظاهر الضعف في عصر ملوك الطوائف و ما إنجر عنهامن سقوط حواضر كثيرة كبربشتر وطليطلة و بلنسية في قبضة المسحيين ،كما أشار إلى الممالك المسيحية وحالتها السياسية وعلاقتها بملوك الطوائف والسيطرة المطلقة لقشتالة ،ودخول المرابطين لشبه الجزيرة الأيبيرية وإعادة التوازن السياسي والعسكري لها .

أذكر أيضا إبن عذاري المراكشي الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري في عصر

الدولة الموحدية يحمل كتابه عنوان ((البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب)) . لقد تحدث بإسهاب في جزئه الثالث عن تاريخ الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، وبالتالي يعدمصدر ممتازا نظرا لدقته في تناول الأحداث السياسية وذكره صفات الحكام وتصرفاتهم تجاه رعاياهم ، ولا تقتصر أهميته في هذا الجانب فحسب بل أن أهميته تكمن أيضا في اعتماده على مصادر مفقودة و على رأسها كتاب المقتبس لابن حيان و كتاب ابن علقمة وغيرهما. فسرد لنا ابن عذارى في هذا الكتاب أخبار الأندلس وخاصة ما تعلق بالحياة السياسية و الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية التي سادت عصر ملوك الطوائف و كذا علاقة هؤلاء بعضهم البعض و صلاتهم المتميزة بالمسيحيين وهذا ما يهمنا في بحثنا .

استعنت أيضا بكتاب عبد الواحد المراكشي المتوفى سنة647هـ/ 1249 والمسمى (( المعجب في تلخيص أخبار المغرب ))، والذي تميز عن غيره من المصادر باختصار أحداثه السياسية من غير إخلال .وقد استفدت منه في التعرف على أحوال الأندلس خلال القرن الحادي عشر الميلادي /الخامس الهجري ،خاصة بعد فتنة البربر بالأندلس وما تلاها من انقسام وتشتت السلطة بين المتغلبين ،الذين شكلوا ممالك مستقلة لهم في ربوع شبه الجزيرة ، وميل كفة ميزان القوة لصالح الممالك المسيحية مما عجل بدخول المرابطين وحسم الموقف .

ثم أذكر لسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/ 1374م) المعاصر دولة بني الأحمر في غرناطة والتي شغل فيها عدة مناصب بارزة . ألف كتب كثيرة أهمها كتاب (( أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام .)) إذ هو شبيه في مادته بكتاب ابن عذاري ،فهو يحتوى على الحوادث السياسية و الاجتماعية والحروب التي دارت بين المسلمين أنفسهم وحروبهم ضد النصارى . ويكتسى الفصل الأخير من كتابه أهمية خاصة بالنسبة لهذه الدراسة ، حيث خص فيه تاريخ الممالك النصرانية الشمالية وعلاقاتها فيما بينها والحروب التي دارت بينهم والتحولات التي انجرت عن ذلك،و قد نقل ابن الخطيب هذا الفصل استنادا إلى شهادات أحد سفراء قشتالة اليهود لدى ا لسلطان المريني أبي فارس بن عبد العزيز بغرناطة .لقد أفادني هذا الكتاب بشكل كبير على الرغم من أن صاحبه جاء متأخرا عن الفترة المدروسة بثلاثة قرون فهو مفيد جدا .

وأما ابن خلدون (ت808هـ/ 1405م )فقد رجعت إلى المقدمة و الجزء الرابع والخامس من كتابه (( العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر .)) الذي يتناول تاريخ الإسلام في الأندلس ، و أورد فيه العلاقات التي ربطت ملوك الطوائف بملوك النصارى وقد اكتسى كتابه هذا أهمية بالغة لما نقله عن ابن حيان في بعض الأحداث التي تخص موضوع هذه الدراسة.

أذكر أيضا أحمد المقري التلمساني (ت1042هـ/1632م ) الذي اشتهر بكتابه (( نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب )) وهو موسوعة تاريخية أندلسية دونت بأسلوب أدبي رفيع تتكون من مجموعة أجزاء ، وهي تضم موضوعات مختلفة ومتنوعة في المجال السياسي و الاجتماعي ،وعلى الرغم من أن الكتاب متأخر بستة قرون على عصر ملوك الطوائف وهي الفترة المستهدفة بالدراسة ،إلا أنهتضمن كثيرا من المعلومات التاريخية التي ضاعت أصولها، كابن حيان مثلا ولذلك فهو كتاب غزير الفائدة ومن ثم اعتمدتعليه كثيرا ، خاصة الجزء الرابع منه الذي أفرد فصلا كاملا لعصر ملوك الطوائف وتكلم عن أحداث الأندلس الجسام كسقوط بربشتر في أيدي النصارى التي فصل في أحداثها ، وسقوط طليطلة وأسباب دخول المرابطين إلى الأندلس .

كتب التراجم والطبقات :وإلى جانب هذه المصادر العربية الهامةاعتمدت على مجموعة من كتب التراجم والطبقات ، وهي كتب تتناول التعريف بمختلف الشخصيات والأعلام المتخصصة في علم من العلوم أو فن من الفنون ، منها سير الأمراء والفقهاء والقضاة وتوقفنا على أخبار سياسة واجتماعية مختلفة وقد تفيدنا بإشارات تاريخية لا نعثر عليها في أهم المصادر .

يأتي على رأس هذهالمصنفات كتاب ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الله المتوفي سنة578هـ/ 1182مالمسمى كتاب (( الصلة في أئمة الأندلس وعلمائها ومحدثيهم و فقهائهم وأدبائهم )) يمدنا هذا الكتاب بجملة من المعلومات عن عصر ملوك الطوائف الذي تولى فيه بعض القضاة شؤون ممالك الطوائف كابن عباد مؤسس مملكة اشبيلية وابن الجحاف الذي تولى أمر المملكة بلنسية في عهد شخصية السيد Le Cid .

ثم كتاب ابن الأبار أبي عبد الله القضاعي المتوفي سنة 635هـ/ 1238م المسمى (( التكملة لكتاب الصلة )) وهو تتمة لكتاب ابن بشكوال وسار على منواله في تدوينه .

وأذكر أيضا ابن بسام الشنتريني المتوفي سنة 542هـ/ 1147م صاحب كتاب (( الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة )) وهو كتاب تعرض لأحداث الأندلس في عصر ملوك الطوائف بأسلوب أدبي محض . وقد اعتمد كثيرا على شيخ المؤرخين ابن حيان حيث يأخذ عنه بالنص أحيانا وبالاقتباس والتلخيص أحيانا أخرى ،كما أعطى تراجم لرجال السياسة والأدب معا .

كتاب ابن الأبار ((الحلة السيراء )) هذا الكتاب الذي يعد ابن حيان مصدرا له ، لم يسلك طريقة ترتيب التراجم حسب الحروف الأبجدية بل أخذ منحى مغايرا حيث اعتمد معيار السنوات بدء بالقرن الأول الهجري منتهيا بالقرن السابع الهجري وهو ما سهل عملية استغلال مضمونه وقد أطلعني على بعض المعلومات التاريخية المفيدة ، منها التحالف الذي أبرمه ابن عمار، وزير المعتمد ابن عباد ، مع أمير برشلونة ضد بني طاهر للظفر بمرسية ،إضافة إلى المعلومات الجغرافية والاقتصادية التي يتناولها في صدد الحديث عن الشخصيات المراد ترجمتها .

وهناك كتب الطبقات المشرقية مثل كتاب ابن خلكان توفي سنة 681هـ/1284م عنوانه (( وفيات الأعيان )) والذي وردت فيه تراجما لسياسيين أندلسيين ،إضافة إلى تعرضه لتفاصيل معتبرة عن معركة الزلاقة التي شارك فيها المرابطون وأهل الأندلس من جهة ،والمسيحيون من جهة أخرى تفصيلا لا نجده عند غيره من المؤرخين .

كتب الجغرافيا المعاصرة لهذه الفترة فيأتي في مقدمتها كتاب البكري المتوفى سنة487هـ/1094م والمسمى (( المسالك والممالك )) ،حيث وصف فيه منطقة الأندلس و الممالك المسيحية الشمالية الأخرى خاصة إمارة برشلونة مدمجا في ذلك المعلومات الجغرافية بأخبار سياسية وتاريخية.

وبعده ياقوت الحموي المتوفى سنة626هـ/1229م صاحب كتاب (( معجم البلدان )) وهو الذي يعد من أهم الكتب الجغرافية التي تتحدث عن الاندلس وما جرى بها من احداث سياسية كبرى وحاسمة ، كسقوط بربشتر وهي إحدى مدن الثغر الأندلسي الأعلى ، في أيدي المسيحيين إبان عهد ملوك الطوائف .

ولا أنسى الجغرافي الشريف الإدريسي المتوفى سنة649هـ/ 1253م صاحب كتاب (( نزهة المشتاق في اختراق الأفاق )) .يأتي هذا المصنف بعد كتاب ياقوت الحموي في الأهمية لكنه يفوق من حيث احتوائه على تفاصيل غزيرة في حقل الجغرافيا . وتكمن فائدته في التعريف بالبيئة الجغرافية ومظاهر الحياة الاقتصادية والاجتماعية لأهم حواضر الأندلس التي شملتها حركة الاسترداد في مختلف المناطق الإسلامية بالأندلس.

ثم لا أقلل من أهمية كتب الحسبة التي تعتبر مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية لأي مجتمع إسلامي في هذه العصور،وكان أجود الكتب التي عايش أصحابها أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس هجري عهد ملوك الطوائف هو ابن عبدون صاحب كتاب (( ثلاثة رسائل في الحسبة .))

وبالتالي فقد وقف مؤلفه من خلاله على التسيب و التقهقر الأخلاقي لهذا العصر ومن ذلك يعد ذ أهمية كبرى لمن أراد دراسة هذا العهد .

وعن المصادر الأجنبية فإني اعتمدت على ملحمة السيد التي نشرت لأول مرة سنة1779 . وهي تعد أول نص أدبي قشتالي يحفظ ملامح فترة ملوك الطوائف ،كما تشكل أولى روائع التراث الأدبي الإسباني ، دوا الشاعر المجهول بيرابات (Perabbat) ، وهو مرتل اشتغل في أحدى الكنائس على عهد ألفونسو العالم ،وقد نظمت هذه الملحمة سنة 1245 ، أقبل على ترجمتها إلى العربية الدكتور الطاهر أحمد مكي عن النص الإسباني ، مستعينا بالشرح الإسباني لها وببعض المصادر العربية أيضا.أفادتني الملحمة في استنباط بعض القوانين مثل عقاب النفي وإجراءاته وعلاقة الملك بالأتباع ،كما أطلعتني الملحمة بشكل واف عن ظروف سقوط بلنسية في قبضة السيد القشتالي وهو جانب مهم للغاية .

اما المراجع التي اعتمدتها في الدراسة فهي كما يلي :

لقد اعتمدت بشكل كبير على كتاب المؤرخ الألماني أشباخ (joseph Aschboch) الذي تولى التدريس في جامعة فرنكفورت ثم جامعة بون ودرَّسَ العربية بها ، وعني بدراسة تاريخ اسبانيا المسلمة عناية خاصة فهو ينتمي إلى مدرسةٍ اشتهرت منذ القرن التاسع عشر الميلادي بدراسة التاريخ الأندلسي على ضوء المصادر العربية ،وهذا ما بداً في كتابه المسمى (( تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين )) ، وهو يتضمن تاريخ قشتالة وباقي الممالك المسيحية في تلك الفترة ، ونظم الحكم والإدارة فيها ، اعتمد في انجازه على المصادر الإسلامية و المسيحية معا مع تمحيص الروايات من الجانبين ، وتقدير وجهات النظر المختلفة خصوصا ما تعلق بأخبار ملوك الطوائف ، وما يتخلله من مواطن التحليل والنقد المتزن ، و ما يزيد من قيمته العلمية هو إثرائه من قبل المترجم عبد الله عنان بمجموعة من الهوامش والتحقيقات والشروح ، معتمدا على مجموعة كبيرة من المصادر الإسلامية التي لم يتم للمؤلف التطرق إليها لتدارك التباين في أسماء الأعلام العربية والإسبانية سواء كانت جغرافية أو تاريخية . لقد استعنت بالقسم الأول من الكتاب وعنوانه (( الأندلس منذ سقوط الدولة الأموية إلى مقدم المرابطين )) أفادني بشكل ملحوظ في تغطية الجوانب المختلفة المتعلقة بالممالك المسيحية وهي صميم هذه الدراسة .

أما الكتاب الثاني الذي اعتمدت عليه فهو للكاتب عبد ا عنان عنوانه ((ملوك الطوائف )) كان اعتمادي عليه كبيرا و في جميع جوانب البحث ،لأنه يعد في نظري احسن كتاب في هذا المجال ،إذ يحتوي على مادة غزيرة متنوعة تعود إلى المعاصرين لعهد ملوك الطوائف كابن حيان ومن نقل عنه ، إضافةإلى كتب الطبقات التي ترجمت لأمراء ووزراء وكتاب وشعراء ذلك العصر ، كما اعتمد لتأليفه على بعض المصادر المخطوطة ، ضم الكتاب تاريخ إمارات ملوك الطوائف منذ نشأتها إلى غاية سقوطها على يدي المرابطين ، كما أفرد في كتابه فصلا خاصا للممالك المسيحية المعاصرة لملوك الطوائف .

وثمة كتاب آخر للمؤرخ الشهير ليفي بروفنسال Lévi-Provençal يحمل عنوان (( الإسلام في المغرب والأندلس )) .اعتمدت عليه في أغلب الفصول لما يحملهمن أهمية كبيرة في هذه الدراسة ، إذ أمدني بمعلومات جد هامة تعتبر منعرجات في تاريخ الأندلس ، مثل سقوط طليطلة ، وتاريخ السيد وسقوط بلنسية على يديه وغيرها من المحطات التاريخية التي لا غنى عنها في هذا الموضوع .

أما في ما يتعلق بالكتب الأجنبية فقد اعتمدت على كتاب (Maria Jesus Viguera) المسمى (Aragon Musulman,coleccion) و تكلم فيه صاحبه عن أحداث سقوط مدينة بربشتر في أيدي النورمنديين وأسباب ذلك وعن النتائج التي ترتبت عن هذا الحدث .

والكتاب الثاني المعتمد باللغة الأجنبية فهو لـ(*Marcelin Defourneaux*) عنوانه( *Les Français en Espagne aux XI^e et XII^e siècles*) تناول هو الاخر عن الحملة على بربشتر اسبابها وكذا الأطراف المشاركة فيها ، مشيرا إلى لدور الذي لعبه الغاليون في إسبانيا بوجه عام .

وعن الصعوبات في إنجاز هذا البحث أقول أنه لم يكن الاستقرار على هذا العنوان و الخطة التابعة له أمرا يسيرا ،وإنما كان بعد تغييرات كثيرة وتعديلات متعددة بتعدد المشرفين على هذا العمل ، إذ تم تغيير الإشراف مرتين وبالتالي كان لكل أستاذا طريقته في العمل الخاصة مما جعلني أعيد العمل مرات عديدة .

عدم معرفتي اللغة الإسبانية الأمر الذي حال دون الإطلاع على العديد من البحوث و المقالات والحوليات غير المترجمة ، والتي لها علاقة مباشرة بموضوع بحثي ، وهذا لم يمنعني من العكوف على ترجمة بعض النصوص المهمة من اللغة الإسبانية والتي تخدم الموضوع مباشرتا، زيادة على ذلك قلة المادة وشحها مما جعلني أبذل جهدا مضاعفا للحصول عليها، ضف إلى ذلك نقص الخدمات المكتبية .

وفي الختام ومن خلال هذه الدراسة العلمية المتواضعة وعلى الرغم مما شابها من نقائص أرجوا أن

أكون قد وفقت في إضافة لبنة جديدة ونافعة في صرح البحث العلمي في الجزائر ، راجيا من أعضاء لجنة المناقش الموقرة إمدادها وإثرائها بالتصحيحات والتوجيهات الضرورية حتى تقترب من الصواب وترتقي أكثر إلى المستوى المطلوب .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أعتذر عما صدر من تكرار في هذا البحث وهذا الأمر إذا ظهر إراديا في أكثر من موضع ، إنما يرجع سببه إلى طبيعة الموضوع الذي تميز بالتشعب والتشابك مما حال دون تجنب هذا التكرار فمعذرة مرة أخرى.

كما لا يفوتني أيضا أن أتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص إلى الأستاذ المشرف على هذا العمل السيد " الدكتور رشيد التومي " الذي ساعدني وأمدني بالإشارات العلمية المطلوبة حتى صدرت هده الدراسة على هذا الشكل فله كل الشكر والتقدير ، والشكر موصول للأستاذ محمد الأمين بلغيث لما أسداه لي من نصائح وتوجيهات قيمة أفادتني بشكل ملحوظ.

كما أشكر كل من ساعدني ومد لي يد العون لإتمام هذا العمل ، وأخص بذكر المشرفين على الملحق الثقافي الإسباني خليفة بوخالفة ، الذين ساعدوني بما يملكه ملحقهم من كتب ووسائل علمية أثريت بفضلها موضوع هذه المذكرة .

# الفصل الأول :

العوامل المشجعة على قيام الممالك المسيحية :

ا / عصر الولاية( 95 138هـ):

ا/الاضطراب السياسي في عصر الولاية( 95 138هـ):

ب/ الصراع المحلي:

- الصراع العربي البربري:
- الصراع بين القيسية و اليمنية :

ج/العوامل الطبيعية :

اا/ عصر أسرة عبد الرحمن الداخل(138- 1031هـ) :

ا/ ثورة طليطلة :

ب/غزو النورمان:

ج /ثورة ماردة وبطليوس:

د/ثورة عمر بن حفصون جنوب الأندلس :

## I/الاضطراب السياسي في عصر الولاية( 95 138هـ):

تعود بداية انضواء بلاد الأندلس* تحت لواء الخلافة الإسلامية إلى الانتصار الحاسم الذي أحرزه القائد الإسلامي طارق بن زياد** على الجيش القوطي بعد معركة السواقي(Sagaynera ) بجنوب شبه الجزيرة الايبيرية*** عام 92هـ /711م ، وقد كانت هذه المعركة فاصلة في تاريخ الفتح الإسلامي بالأراضي الأوربية الغربية حيث دامت ثمانية أيام( الأحد 28 رمضان إلى الأحد 5 شوال سنة 92هـ ومن 19إلى 29سبتمبر سنة 711م ) قتل فيها ملك القوط الغربي**** رذريق(Rodrigo) [1] .

(1) ابن الكردبوس: تاريخ الأندلس ،تحقيق احمد المختار العبادي،معهد الدراسات الإسلامية بمدريد1971،ص 10،9.

* "أصل مصطلح الأندلس مأخوذ من قبائل الوندال (Vandalos) التي تعود إلى أصل جرماني،هذه القبائل احتلت شبه الجزيرة الإيبيرية حوالي المنتصف الأول من القرن الخامس الميلادي، و سميت باسمها : فأندلسيا (Vandalusia) ، أي بلاد الوندال. ثم نطقت بالعربية الأندلس. على عبد الرحمن الحجي:التاريخ الأندلسي من الغزو الإسلامي حتى سقوط غرناطة، دار صادر ،ط2 بيروت ،لبنان ، 1995، ص7.

**ولد طارق بن زياد في القرن الأول الهجري- 50هـ من قبيلة نفزة في منطقة بالغرب الأوسط ( الجزائر ) ، و إلى يومنا هذا توجد في إسبانيا منطقة تسمى بنفزة أسلم على يد موسى بن نُصَير ، فكان من أشد رجاله . الزركلي، الأعلام قاموس التراجم ،دار العلم للملايين ،ط12، 1997،ص 217 ؛ على عبد الرحمن الحجي:التاريخ الأندلسي، ص 62.

***أيبيريا هي شبه الجزيرة الأسبانية وتنسب لشعب كانيعيش بشرق وجنوب شرق أسبانيا . كان الأيبريون Iberians يعيشون في الألف الأولى ق.م.على الساحل وأصل الأيبيريين غامض . وربما جاؤوا من شمال أفريقيا واندمجوا إبان العصر الروماني . و لهم كتاباتهم ولغتهم الخاصة التي لم تفسر حتى الان. ولا ترجع اصولها للغات الهندية الاوربية. Mourre (Michel); Dictionnaire Encyclopédique d Histoire (D.F.) Edition1972;p220

****يشكل القوط الغربيون إحدى القبائل الجرمانية المتبربرة التي نزحت من شمال أوروبا وساهمت في تفويض صرح الإمبراطورية الرومانية في القرنين الرابع و الخامس الميلادي ، اتخذ القوط الغربيون طليطلة عاصمة لملكهم و تأثروا بالحضارة الرومانية في قوانينهم و أنظمتهم و اعتنقوا المسيحية وفق المذهب الأريوسي و ظلوا يحكمون الأندلس إلى أن قدم المسلمون إليها و تغلبوا عليهم سنة 92هـ/711م . انظر Balard M., Genête J.-Ph , Rouche M , Des barbares à la Renaissance collection,Hachette university ,Paris ,1981-pp17, 21;HEERS JACQUES, Précis d'Histoire du Moyen Âge , Presses Universitaires De France, paris ,1995-p17.

كما أتاحت هذه المعركة للمسلمين فوزا عسكريا مبينا،فتح لهم المجال على مصراعيه لمواصلة عملية الفتح في أرض مسيحية غربية تميزت بوعورة مسالكها وقسوة مناخها . على إثر هذه المعركة انظم القائد موسى بن النصير* إلى حركة فتح الأندلس ،التي لم تستغرق طويلا إذ دامت سنتين من الوقت فقط ، وهو ما يوحي بضعف المقاومة المسيحية المحلية وبأن عملية الفتح هذه لم تعد أن تكون سوى نزهة عسكرية في ارض العدو( un Paseo militar ) ، ولعل هذه المكاسب العسكرية والسياسية السريعة هي التي شجعت قادة الفتح على مواصلة هذا المشروع وتوسيع آفاقه في الشرق والغرب من العالم المسيحي [1]، لكن على الرغم من فشل الجيش القوطي في التصدي للآلة العسكرية الإسلامية فإن مجموعة من فلوله لم يجد بدا من اللجوء إلى المناطق الشمالية الجبلية شمال الاندلس للاحتماء بها ، لتتحول إلى نواة لجبهة مسيحية معادية لتواجد الإسلامي بالمنطقة وكانت قد شهدت ميلادها فعلا في بداية الحكم الإسلامي والمعروف بعصر الولاية الذي ساده اضطرابا ملحوظا[2].

(1) المقري (أحمد التلمساني) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،تحقيق الدكتور إحسان عباس، المجلد 4 ،دار صادر بيروت ، 1988 ،ص 234 .

(2) علي حبيبة :مع المسلمين في الأندلس، مكتبة الشباب القاهرة ، 1972 ، ص 413 ؛ موسى لقبال : المغرب الإسلامي ،منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، مطبعة البعث ، قسنطينة ،ط1 ، 1969، ص 117، 168؛محمد زيتون :الفتح الإسلامي للأندلس ،كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد الرابع ،1980 ، ص304؛ أنظر الخريطة رقم 01.

* مُوسى بن نُصَيْر ( 19هـ 640م/ 97هـ 715م). هو بن عبد الرحمن بن زيد اللخمي ، فاتح عربي مسلم في عهد الدولة الأموية. أصله من وادي القرى بالحجاز. كان أبوه نُصير في حرس الخليفة معاوية بن أبي سفيان . نشأ موسى في دمشق، وترعرع في بيت قوة وبأس، وولي أعمالاً عديدة في مقتبل عمره فقام بها بنجاح ،كانت سياسة موسى بن نصير في البلاد التي تم له فتحها، قائمة على إطلاق الحرية الدينية لأهلها، وإبقاء أملاكهم وقضائهم في أيديهم، ومنحهم الاستقلال الداخلي على أن يؤدوا جزية كانت تختلف بين خُمْس الدخل وعُشْر أي أقل مما كانوا يدفعونه لحكومة القوط. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق عمر بن غرامة العموري ، دار الفكر بيروت لبنان ، ط1، 1414، 1997،ص 269 .

بينما كان موسى بن نصير يطهر جيوب المقاومة المسيحية المحلية و يشدد الحصار عليها ، تلقى دعوة من الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك* ( 86هـ705م/96هـ715م) يحثه فيها على العودة السريعة لدار الخلافة التماسا لأمن وسلامة الجيش الإسلامي الذي توغل بعيدا وسريعا في بلاد العدو. على أن موسى لم يلبث أن استجاب لهذا الأمر فعاد لدمشق رفقة مساعده طارق بن زياد ، إلا أن هذا الإجراء الذي قد يخضع لاعتبارات سياسية محضة ، قد أثر سلبا على استكمال حركة الفتح للاندلس ووجه ضربة قاسية لوتيرتها في الميدان ، حيث ضيعت على الخلافة فرصة إتمام السيطرة الكاملة على هذا القطر البعيد ، كما أدى إلى بعث الإنتعاش و الحيوية في صفوف المعارضة المسيحية ، وكذا تعزيز إرادتها على المقاومة والتصدي في المناطق الشمالية خاصة [1]، ويبدوا أن في استدعاء موسى بن نصير من الأندلس في هذه الظروف يحمل في طيا ته تخوف الخلافة الأموية من استقلال موسى ابن نصير و ابنائه بهذه البلاد البعيدة عن سلطة الخلافة [2]، و من الإشارات التي تدفع في هذا الاتجاه استخلاف ابن موسى المدعو عبد العزيز لوالده على ولاية الأندلس ،لكن ولايته لم تدم طويلا بسبب اغتياله نتيجة مؤامرة دبرها له كبار قواده سنة ( 97 هـ/715 م )، وهذا ما يرجح هذه النظرية رغم الاختلاف في أسباب مقتله .إذ يرى البعض أن زوجته أرملة لذريق المعروفة بالاسم المسيحي آيلة (EGILONA) و بالاسم العربي أم عاصم ، قد دفعته إلى تحقيق رغبتها الرامية إلى إستقلاله بالأندلس و الخروج عن طاعة بني أمية[3]، بل و يذهب البعض إلى اتهام عبد العزيز بانه لبس التاج النصراني و انه كان ينوي اعتناق المسيحية ، ومنهم من يري أنه تكلم بكلام يسيئ للخليفة جراء ما فعله بابيه فاعتبرها رؤساء الجند خروجا عليه فدبروا قتله [1] .

(1) الحموي (ياقوت) : معجم البلدان ، دار الفكر ،ج 1،بيروت ، 1990 ص311 ؛محمد زيتون : المرجع السابق ،ص413.

(2) الحميري( ابن عبد المنعم):الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ،ط2، 1984، ص 32،

(3)ابن عبد الحكم : فتح مصر و المغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي ،1961، ص 285.

(4) مؤلف مجهول:أخبار مجموعة ،تحقيق إسماعيل عربي ،دار الكتاب المصري، القاهرة 1989 ،ص 224؛ المقري :المصدر السابق ،ج4 ،ص 224 ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إسماعيل عربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989،ص 36؛ العبادي( احمد مختار): في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة و نشر ،ص 292 .

*هو أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان ابن الحكم بويع بالخلافة بعهد من أبيه غزا الروم مرات في عهد أبيه ،فتحت الأندلس في عهده حكم مابين 86هـ705م/96هـ715م .علي محمد الصلابي : الدولة الأموية ،ج2، دار اليقين لنشر والتوزيع ، المنصورة ، مصر ، 1427/ 2006 ،ص94.

و أتو برأسه إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك* و ذلك في صفر سنة 98هـ/116م ، و قتل الأمير عبد العزيز دخلت الأندلس في فراغ سياسي و إداري، هيأ الأرضية للدخول في مرحلة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والإداري والمتمثل في تداول الحكام على إدارة الأندلس ، إذ بلغ عددهم عشرين واليا في مدة أربعين سنة أي بمعدل حاكم في كل سنتين ،واستمر الوضع السياسي على هذا الاضطراب إلى أن نجح في السيطرة على زمام الحكم احد ابناء الاسرة الاموية المطاح بها في المشرق وهو الأمير عبد الرحمن المعروف بالداخل ، الذي جمع أهل الأندلس على الطاعة سنة 138 هـ/755م [1] .

و لعل الأوضاع المتأزمة التي باتت تعيشها الأندلس إنما ترجع إلى نية المسلمين في عدم الاستقرار ، ذلك أن عمر بن عبد العزيز** عزم على ترحيل أهل الأندلس منها لانقطاعهم عن المسلمين وتخوفه من أن يؤول مصيرهم إلى الهلاك . إن هذه الأحداث المضطربة التي سادت بلاد الأندلس الإسلامية في بداية عهدها عرقلت استكمال مشروع الفتح ، وكذا القضاء نهائيا على المقاومة المسيحية المحلية ،والتي على الرغم من ضعفها فإنها تمكنت من استجماع قوتها[2].

(1) مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ،تحقيق إسماعيل عربي ،دار الكتاب المصري، القاهرة 1989 ،ص 224؛ المقري : المصدر السابق ،ج4 ،ص 224 ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إسماعيل عربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989،ص 36؛ العبادي( احمد مختار): في التاريخ العباسي و الأندلسي دار النهضة العربية للطباعة و نشر ،ص 292 .
من بين الذين تولوا حكم الأندلس عقبة الكلبي أربع سنين ثم ووليها يحي بن مسلمة سنتين ثم حذيفة ابن الأحوص القيسي سنة واحدة ، ثم وليها عثمان ابن سعيد الخثعمي خمسة أشهر ثم وليها الهيثم بن عبيدة خمسة أشهر ، ثم وليها عبد الرحمن الغافقي سنتين ثم عبد الملك ابن قطن ثم وليها عقبة ابن الحجاج خمسة سنين ثم ولييها بلج ابن بشر القيسي ثم وليها حسام ابن ضرار الكلبي، القلقشندي ، مأثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق أحمد فراج مطبعة حكومة الكويت، سنة النشر ط2، 1985، ص 156 – 157 ؛ المراكشي (عبد الواحد ): المعجب في تلخيص أخبار الغرب، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ط1، 1368 -1949. ص13.
(2) مؤلف مجهول :المصدر السابق ، ص 30 ؛ ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 36؛ المقري : المصدر السابق ،ص 224.
*سليمان بن عبد الملك بويع بالخلافة بعد وفات أخيه الوليد دامت خلافته ثلاث سنوات 96هـ 99هـ . علي محمود الصلابي ، المرجع السابق ، ص 108.
** ولد عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم سنة 61هـ /680م كان من أئمة الاجتهاد ، تولى حكم المدينة المنورة سنة87 ثم تولى الخلافة سنة 99هـ /717م . علي محمود الصلابي ، المرجع السابق: ص126 – 191.

## ب/ الصراع المحلي:

- الصراع العربي البربري:

بلغ الأندلس نبأ ثورة البربر بالمغرب الإسلامي و انهزام جند الشام أو جند الخلافة أمام عناصرها ومحاصرتهم في مدينة سبتة* ويرجع سبب هذه الثورة إلى سياسة الظلم التي مارسها والي المغرب[1] اتجاه الأهالي البربر حيث فرض عليهم الجزية ووشم أيديهم و جعلهم أخماسا و أحصى أموالهم و أولادهم ، وقد تزامنت هذه الوقائع مع شيوع مذهب الخوارج بالمغرب، والذي ساهم في إذكاء الثورة ضد جند الخلافة ، هذه الأحداث التي دارت رحاها بالمغرب شجعت بربر الأندلس على الثورة ضد عرا ،خاصة وأن التنافس كان على اشده بين المجموعتين حول امتلاك الأراضي المفتوحة بالأندلس،فاشتعلت نار الثورة بالمناطق الأندلسية الشمالية وشرع البربر في طرد العرب وخاصة من منطقة جليقية[2]،التي كانوا فيها أكثر عددا فأجلوا منهم بالسيف وفر من بقي إلى المناطق الوسطى والشرقية التي كان العرب بها أكثر عددا ، وللقضاء على هذه الثورة لم يجد والي الأندلس**سوى الاستنجاد بعرب الشام المحاصرين في المغرب، والذين أشرفوا على الهلاك بفعل الحصار وانقطاع الأقوات عنهم [3] .

(1) تولى كاتب الحجاج ابن يوسف الثقفي المدعو يزيد بن الحكم ولاية المغرب سنة 101هـ/720م ،ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 289 ؛ السلاوي : الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق جعفر الناصري ج1، دار الكتاب الدار البيضاء ، المغرب ، 1997،ص167.

(2)ابن عبد الحكم : المصدر السابق ص 289 ؛السلاوي، المصدر السابق ،ج1ص167-168.

(3) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 44 .

*جليقية منطقة كبيرة في شمال الأندلس مقسمة إلى أربع مناطق وأبرز قواعدها براقة (braga)و أشتريش asturias ،البكري : المسالك و الممالك ،تحقيق عبد الرحمن علي حجي ،دار الإرشاد ، بيروت ،ط1 1387-1968 ص 71-72 .

**سبتة بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب ومرساها من أجود مراسي البحر ، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق وهي مدينة حصينة تشبه المهدية التي بإفريقية ، لانها ضاربة في البحر . الحموي : المصدر السابق ، ج3،ص182.

***والي الأندلس في هذه الفترة عبد الملك بن قطن ، هو عبد الملك بن قطن بن نهشل بن عبد الله الفهري ، شهد وقعة الحرة أيام يزيد بن معاوية سنة 63هـ/682 م, ونجا من مسلم بن عقبة المري فيمن نجا, فقصد أفريقية ثم دخل الأندلس واستقر في قرطبة ولما قتل عبد الرحمن الغافقي سنة 114هـ /732 م ولاه الجند إمارة الأندلس وغزا البشكنس سنة 115هـ /733 م ،السلاوي : المصدر السابق،ص 166-167 . مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 44 .

ولم يلبث هؤلاء أن لبوا نداء النجدة . هذا على الرغم مما تحملوه من ويلات الحصار في مدينة سبتة وكانت هذه الأحداث سنة 124هـ/ 741م و بأرض طليطلة* (Toledo) و على مقربة من في واد سليط التقى الجمعان العرب والبربر فدارت بينهما معركة طاحنة انتهت بانتصار العرب ومني البربر بخسارة فادحة في الأرواح ، وكانت نتيجة هذه الحرب القاسية ستؤثر سلبا على مقدرة المسلمين في هذه المنطقة الأوربية الغريبون عنها ، لما كان يشكله العنصر البربري من سد بشري منيع في وجه أي خطر يتهدد الأندلس من مسيحيي الشمال، إذ بعد هذه المعركة عادت أعداد كبيرة من البربر إلى المغرب ونزح البعض الأخر إلى جنوب الاندلس، ودفعت المجاعة التي ضربت البلاد في تلك السنة من بقي في الشمال إلى التوجه صوب الجنوب وأما العرب فقد عجزوا عن شغل هذه المناطق لقلة عددهم و لأن كثافتهم كانت في الجنوب، إضافتا إلى أن هذه المناطق الشمالية لم يتعودوا على العيش فيها لوعورا و برودا إذ هي تناسب معيشة البربر انسجامها مع الطابع الجغرافي للمغرب [1].

---

(1)القلقشندي : المصدر السابق ، ج1،ص156 ؛ مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 44 ؛علي حبيبة ، المرجع السابق ،ص 419 .

*طليطلة مدينة قديمة للغاية، والأرجح انها بنيت في زمن الإغريق. ازدهرت في عهد الرومان، فحصنوها بالاسوار، واقاموا فيها المسرح والجسر العظيم. و بلغت طليطلة ذروتها في عصر الخلافة الإسلامية عندما كانت جميلة بجمع مزيج من الفن والعلم.وكانت تعرف في القرون الوسطى باسم "مدينة التسامح" حيث كان يتعايش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون. ويرجع اسم المدينة إلى العهد الروماني، حيث كان يطلق عليها اسم "توليدو" وتعني بالرومانية "المدينة المحصنة. الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية والمغرب ، تحقيق عبد الله العلي الزيدان ، عز الدين عمر موسى ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان،1990، ص 45؛ مسعود كواتي : اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين ، رسالة ماجستير تحت إشراف الدكتور عبد الحميد حاجيات ، جامعة الجزائر ، ص194.

وعليه فإن لهذه المعركة نتائج خطيرة على مستقبل الأندلس برمته ، فهي صبت بطريقة غير مباشرة في مصلحة مسيحيي الشمال المتمردين و المقاومين للفتح الإسلامي ، حيث ثبتوا أقدامهم في المناطق الشمالية دون أن يكلفهم ذلك وقت طويلا وغدت هذه المناطق قاعدة أمامية تضرب منها دون هوادة القوى الإسلامية في الجنوب ،وأخذ كل ناقم على الحكم الإسلامي ينظم لهم ولم ليبثوا إلا سنوات حتى سيطروا على هذه المناطق .

- الصراع بين القيسية و اليمنية :

إن الانتصار الذي حدث في معركة سليط لم يؤدي في الواقع إلى إرساء قواعد الاستقرار المنشود ، ذلك أنه لم تكد تنتهي الفتنة بين العرب والبربر سنة 124 هـ /741م ،حتى نشبت فتنة أخرى بين العرب أنفسهم، بين العرب الشاميين و البلديين أو القيسية و اليمنية *، فبعد معركة سليط و انهزام البربر انقلب جند الشام الوافدون من المغرب على والي الأندلس وأخرجوه من دار الولاية ، وقتلوه انتقاما منه لما تركهم لمصيرهم في سبتة ولم ينصرهم ، واتخذوا من مقتل أحد أشرافهم كان رهينة لدى جند الوالي سببا لتصفيته ،و ازدادت أحوال الأندلس اضطرابا عند مقدم الوالي الجديد** الذي حددت مقدمه الفتنة (1) .

(1) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، 61 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1 ، ص311

* القيسية واليمنية ،القيسية أحد حزبين كبيرين انقسم بينهما العرب في الجاهلية والإسلام وهو اسم أطلق على عرب الشمال أما الحزب الاخر فهو اليمنية الذي أطلق على عرب الجنوب ،وقد ظهر الصراع بين القيسية واليمنية أثناء الفتنة بين بني أمية وابن الزبير حيث أيد القيسية ابن الزبير الحجازي الأصل وأيد اليمنيون الأمويين أصهارهم ، ويبدو إن الخلاف أقدم من ذلك فالمعروف أن بلاد الشام كانت تنزلها سلالات هاجرت أصولها القديمة من اليمن قبل الإسلام بعهود طويلة فطال استيطانها ثم ما لبثت أن طرأت عليها مع الفتح قبائل حجازية شاركتها الاستيطان وقد عرفوا باسم العدنانيين او النزاريين ثم غلب عليهم اسم القيسية وقد تكاثر اليمنيون والقيسيون فعموا بلاد الشام ، دوزي: تاريخ مسلمي اسبانيا، ج1 ،تعريب حسن حبشي، دار المعارف ، القاهرة، ص 124.

**توتر الوضع جراء إرسال أبي عبيدة القيسي حاكم إفريقية بقريبه الهيثم القيسي واليا على الأندلس والذي كان متعصبا لقومه دوزي : المرجع السابق ، ص 124.

بعد مقتل الوالي عين حاكم إفريقية أبو عبيدة القيسي قريبه الهيثم القيسي واليا على الأندلس ، وكان من الطبيعي أن تتجدد الفتنة لما تميز به الهيثم الوالي الجديد من تعصب لقبيلته ، إذ اضطهد رجال اليمنية وسجن زعمائها وأطاح برؤوس البعض منهم ،وهكذا ازدادت أحوال الناس اضطرابا ، وأصبحت الأندلس مجددا ميدانا خصبا لصراع القبائل العربية التي حملت خصوماتها إلى ارض الاندلس ، وكانها تستدعيها من اعماق التاريخ وكانها اصبحت عرفا إذ قال احدهم " لو جمعت لي دماء أهل الشام في قدح لشربتها ".ولما أصبحت الحرب بين الفرقتين حتمية تقابل القيسيون و اليمنيون في موقعتين كبيرتين هما موقعة برطورة في شهر شوال عام 124هـ/741م و موقعة شقندة عام 130هـ/747م ،حيث آل النصر إلى القيسيين و دالت لهم الأندلس منذ هذا التاريخ ، ولاشك أن هذه الأزمة الداخلية قد انعكست إيجابيا على وضع القوط المسيحيين ،لأن بعد موقعة شقندة تمكن هؤلاء من اجتياح أراضي واسعة على حساب المناطق الإسلامية (1) ،في خضم هذه الأحداث الحالكة التي شاهدتها الأندلس في أواخر عصر الولاية من فوضى و سفك للدماء دخل عبد الرحمن الأول الأندلس الذي أشتهر بلقب الداخل (2) ومن أجل إحياء الحكم الأموي الذي وأَدَهُ العباسيون* في المشرق الإسلامي .

(1)ابن عذاري(المراكشي) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ،ج2 ،دار الثقافة ،بيروت ط ،1983،ص 12، 13 ؛ المقري : المصدر السابق ، ص 224 ؛ دوزي : المرجع السابق، 124؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ،ص 61.

(2) هو عبد الرحمن بن معاوية صقر قريش (113- 172هـ/731- 788م أول الأمويين دخولا إلى الأندلس لذلك سمى بالداخل انظر ابن حيان (القرطبي) : المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود على مكي، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1973، القطعة الثانية ص 16؛ الورداني(علي سالم): الرحلة الأندلسية ،تحقيق عبد المجيد الشريف ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار التونسية للنشر ،1984- ص 168 .

*" افلت دولة الامويين في المشرق واعمل في رجالها العباسيون السيف قتلا وذبحًا، واستباحوا اموالهم وممتلكاتهم كما استباحوا دماءهم.وسيطر العباسيون على زمام الأمور في المشرق، ومضوا يتعقبون الأمويين في كل مكان، حتى أفنوا عدداً كبيراً منهم، وتفرق من بقي او كتبت له النجاة في انحاء البلاد، واعيت العباسيين الحيلة في طلبهم او الوصول إليهم، لاستئصالهم وإبادتهم حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك". محمد السيد الوكيل :الأمويون بين الشرق والغرب ،دار القلم دمشق الدار الشامية بيروت 1416- 1995 ص،470 ؛ علي محمد الصلابي: المرجع السابق ،ص722 وما بعدها .

استمال إليه كل ناقم وساخط على والي الأندلس يوسف الفهري* ،الذي كرهه الناس حينما أرسل أشراف العرب ليقضي عليهم .في معركة ضد مسيحيي الشمال ، إذ قتل الكثير منهم على رأسهم قائد الحملة ابن شهاب مع أكثر جنده في وادي شرنبة أو وادي الرملة (Guadaramma) عام 138هـ/756م ، و عادت فلوله إلى سرقسطة و سر يوسف الفهري بذلك سرورا عظيما [1]،وقد انظم أيضا إلى عبد الرحمن الداخل كل من له ميل إلى بني أميه ، واجتمعت لعبد الرحمن الداخل جراء ذلك قوة كبيرة ... دار الإمارة غازيا،ومن جانب الفهري فإنه أعد العدة هو الأخر لرد هذا العدوان وإخماد هذه الثورة ، واستمرت المواجهات بين الفريقين زهاء سنة انتهت بانتصار عبد الرحمن الأموي في موقعة حاسمة عرفت باسم المصارة في ذي الحجة سنة 138 هـ\756م ، ودخل مدينة قرطبة ظافرا، لم تهدا له الاوضاع إلا بعد ان قتل يوسف الفهري على يد أحد خواصه بنواحي طليطلة ، في هذه الظروف نشطت المقاومة المسيحية و أخذت في استرداد بعض الثغور حيث سقطت اربولة (Arriondas)عام (142هـ/785م في الشمال الشرقي تلتها مدينة جرندة(Granda) عام ( 169هـ/ 785م ) و الشمال الغربي سقطت مدن منطقة القلاع ( Castilla)وهي لك (Lugo) و شقوبية (Segovia)عام (146هـ/764م) [2] في ظل هذا المشهد السياسي غير المستقر والذي يجسد بداية الحكم الإسلامي في الأندلس وقيام الإمارة الأموية يظهر للعيان أن عبد الرحمن الداخل هو القائد المناسب

(1)ابن الكردبوس: المصدر السابق ،ص 56،55، المقري : المصدر السابق ،ص 125.

(2) عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار، المغرب،ص16؛ ابن الآبار: الحلة السيراء ،تحقيق حسن مؤنس الشركة العربية للطباعة و النشر القاهرة، ط1 1963 ،ص 345- 346 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج4 ، دار الكتاب اللبناني بيروت ص 122، ؛ أنظر الخريطة رقم 02.

* يوسف الفهري، وهو يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع الفهري، جده عقبة بن نافع فاتح المغرب العربي وباني مدينة القيروان ووالي إفريقية أيام معاوية بن أبي سفيان. تولى يوسف الفهري ولاية الأندلس في ربيع الأول عام 129 هـ\747م، واستمرت ولايته 9 سنوات و9 أشهر. وهو الوالي الثاني والعشرون، وآخر ولاة الأندلس، جاءت من بعده الخلافة الأموية بالأندلس، بعدما قامت معركة بينه وبين عبد الرحمن الداخل عام 138 هـ\756م (يوم الأضحى 10 ذو الحجة 138 هـ). تعرف هذه الموقعة باسم موقعة المصارة، لانها وقعت في قرية المصارة غربيّ قرطبة. هرب إثرها يوسف الفهري، وقام بعدة ثورات على عبد الرحمن الداخل ،إبن الكردبوس : المصدر السابق، ص 56؛ المقري : المصدر السابق ،ص 125.

القادر على تثبيت أسس الدولة الإسلامية الناشئة في هذه الأصقاع، ومن هذا المنطق فإن التحديات المسيحية المفروضة على الجنوب لم تصرف نظر عبد الرحمن الداخل عن وجوب تنظيم الأوضاع الداخلية،وكذا السعي إلى توطيد اركانها وفرض هيبتها في الداخل والخارج الأندلسي .وحرصا على تحقيق هذه الغاية الضرورية سلك عبد الرحمن نهجا ينطوي على كثيرا من الحكمة وبعد النظر ،حيث اعترف بالكيان المسيحي في قشتالة وليون (Leon)عن طريق كتاب الأمان و الرحمة وحقن الدماء ، الذي يعتبر هدنة مدتها خمسة سنوات تدفع فيها قشتالة جزية سنوية للإمارة الأموية [1] ، بهذا الاعتراف تعزز استقرار أحوال قشتالة و أعمالها في الشمال.و زاد في تعزيزها الفتن الداخلية التي شهدتها الاندلس و الخطر العباسي المعادي لقيام سلطة اموية في الاندلس ،و يذكر أن نوعا من التحالف السري كان قائما بين العباسيين و الفرنجة ضد الأمويين وهو كشكل من التخويف السياسي لخصومهم بني أمية ،وعلى إثر هذا التحالف زحف الملك شارلمان (Charlemagne)على شمال الأندلس سنة 161هـ /778م متوجها إلى مدينة سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى الأندلسي ،وتدخل هذه الحملة العسكرية ضمن مشروع دولي يرمي إلى الإطاحة بعبد الرحمن غير أنها لم تحقق الغاية المرجوة [2]،ذلك أن شارلمان سرعان ما عاد أدراجه إلى مملكته بسبب ظروف قاهرة ألمت بعرشه ،وأثناء مروره من مضيق روسوفو ( Roncevaux )بجبال البرانس تعرضت مؤخرة جيشه لهجمات شنتها عليها عناصر من قبائل الباسك (Basque) ،وراح ضحيتها عدد غير يسير من جنوده ،يوجد من بينهم قائدان من أشجع قادة الجيش الملكي وهو أنسيم (Anselme) والقائد إيجيهار (Eggihard) و صديقه رولان (Roland)، ولعل هذه الحملة الدولية ضد الأمويين أوجدت المبرر لهؤلاء لدى رعاياهم المسلمين عن تقصيرهم في نقل الحرب ضد المسيحيين في شمال بلاد الأندلس وخارجها [3] .

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص16؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط و محمد نعيم العرق سوسي ، مؤسسة الرسالة بيروت، ط9 ج8 ،ص 250 .

(2)عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين و أثارها في الأندلس، مكتبة الإنجلو المصرية، ط2 ،1986 ،ص201؛ جوزيف رينو :الفتوحات الإسلامية في فرنسا و ايطاليا و سويسرا في القرن 8 -9 -10م ،ترجمة إسماعيل العربي ،دار الحداثة ،ط1 ،1984، ص 105 . عن حملة شارلمان ارجع العبادي ( أحمد مختار ) : في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية، بيروت ، 1971، ص 73،71. وأنظر أيضا إلى Eginhard,. Vie de Charlemagne, éditée et traduite par Louis Halphen. Paris, librairie Champion, 1923. pp.-28,29.

ج/العوامل الطبيعية المساعدة في قيام الممالك المسيحية :

لعبت تضاريس جليقية(Galicia) الواقعة في الركن الشمالي الشرقي من جزيرة ايبريا دورها في حماية ما تبقى من فلول القوط الرافضين للحكم الإسلامي ،ويتضح من خلال معاينة مسيرة الفتح الإسلامي في هذه المناطق .لقد وصلت عملية الفتح لهذه المناطق في سنة 93هـ/711م ، حيث استولى المسلمون على مدينة لك و توغلوا في أعماق الجبال الصخرية الموغلة من سواحل كنتبرية (cantabria )، بشمال شرق إسبانيا وعندئذ أجبرت فلول القوط على التراجع إلى أقصى الشمال لإسبانياحتى بلغوا إلى جبالها العالية ،قوامها المضايق و مخانق و مغارات وأصبحت هذه المناطق بمثابة أبراج محصنة ،زاد من وعورتها غطاءها النباتي المكون من الأحراش و الغابات الكثيفة وكذا طرقها الجبلية الملتوية التي لا تعبر إلا بشق الأنفس.إن هذا الوسط الطبيعي المتميز،شكل ملاذا آمنا لسكان جليقية- الجلالقة- الذين حولوه إلى قاعدة لنشاطهم المعادي للفتح الإسلامي [1]،وقد جعلت صخرة كوفادونج(covadonga)،بهذه الجبال نواة لحشد فلول القوط حولها قصد دفع حركة المقاومة المسيحية.وتسميها المصادر العربية صخرة بلاي (Pelayo ) نسبة إلى أحد أنصار لذريق الذي هلك سنة93هـ/711م ، وهو من أهل أستريس من جليقية وكان أول من جمع مسيحيي الأندلس تحت إمرته لمحاربة المسلمين [2] .لكن ما إن دخل المسلمون هذه المناطق وشرعوا في محاصرتها،وقتلوا جمعا غفيرا من أصحاب بلاي وتقلص عددهم من ثلاثمائة فرد إلى ثلاثين وعشرة نسوة ، ثم ارتدوا عنها استصغار لأمرها ، لكن جماعة بلاي استطاعوا أن يستغلوا المكان و يستخدموا موارده لصالحهم حتى أعيي المسلمون أمرهم ، فاحتقروهم و قالوا قولتهم المشهورة (( ثلاثون عجلا ما عسى أن يجيء منهم)).وشجعهم على هذا القول طبيعة جليقية الباردة كثيرة الجبال و المرتفعات والمقفرة و البعيدة عن مناطق المسلمين ، مما أزهد الفاتحين فيها فتراجعوا عنها فهي مناطق لا تغري بالحرب فيها و لا تشجع على التضحية في سبيلها فتركوها لعدم أهميتها [3].

(1) الحميري : المصدر السابق ، ص 79، 169؛ البكري : المصدر السابق، ص74 .

(2) حسين مؤنس: موسوعة تاريخ الأندلس ، فكر و تاريخ و حضارة و تراث ،ج1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،ط1 1416هـ 1996 م،ص 63 .

(3) المقري : المصدر السابق ، ص 350 ؛ حبيبة علي : المرجع السابق ص 413- 415 ، انظر الخريطة 02.

لكن للمصادر الإسبانية حسب ما يذكر حس مؤنس نظرة مغايرة حول كوفادووا في هذا الصراع ، ذلك انها ترى ان ما شهده هذا الموقع من حركية مناهضة للفتح الإسلامي إنما يعد بداية حقيقة ركة الاسترداد ( la Reconquista ) ،أي استرداد أراضي شبه الجزيرة من أيدي السلم ، ويعتقدون أن الواجهة ب السلم وفلول القوط كانت سنة 133هـ/751م ، حيث تروي بأن الماعة السيحية التي اعتصمت رتفعات كوفادووا وأقامت لنفسها كيانا مسيحيا مستقلا ت زعامة بلاي *، وكن انطلاقا من قاعدة الحركة في أقصى الشمال من كاساس دي أونيس (cangas de onis) من توجيه ضربة موجعة للجيش الإسلامي ،وتفيد ذات المصادر بأن القائد بلاي نجح في الاستيلاء على مدينة خيخون (Gijon ) و اتسعت سلطته حتى شملت جزءا من منطقة جليقية[1] . وقد أوردت هذه الصادر أيضا وبشيء من التفصيل أخبار معركة كوفادووا، حيث وعند الصخرة بالضبط كشفت عن اشتباك عساكر بلاي بالمسلمين ،ومشاركة قوة خفية إلى جانبهم ،وفي هذا الصدد ذكرت دور العذراء في الانتصار الباهر الذي أحرزه بلاي وجنوده على المسلمين الذين تركوا على عجل موقع الواجهة ، وعلى كل فإن ما يثير الانتباه هو الطابع الخرافي والأسطوري الذي يحف ثنايا الرواية ،إلا انها تدفع إلى الاعتقاد بان تقهقر المسلمين وعودتهم إلى ما وراء الجبال إنما يرجع سببه إلى الصعوبات الطبيعية للمنطقة ومقاومة أهلها لهم ،وهكذا يكون القائد بلاي أول مؤسس ملكة مسيحية حلت محل دولة القوط المنهارة بعد انكسار المسلمين في معركة بلاط الشهداء عام 114هـ/ 732م [2] .

(1) القري : الصدر السابق ،ج3 ،ص 14 ؛حس مؤنس : بلاي و ميلاد أشتريس و قيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا ، مجلة كلية الادب،القاهرة المجلد11 ،ج1 مايو 1949 ،ص 19- 20 ؛ومن بين العناوين التي ذكرها حس مؤنس أذكر : Primera crónica general de España by Alfonso X King of Castile and Leon, Editorial Ebro (Zaragoza), .p.34; JOSE MARIA LACARRA, Diccionario Historico Español (Madrid 1968),.p.54.

(2) القري : الصدر السابق، ج3،ص 14؛ الشيباني (محمد الواحد): الكامل في التاريخ ،تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية ،ج4 ،ط2 بيروت ، 1415 1995 ، ص 270 ؛ سالم الورداني : الصدر السابق ،ص 40؛حس مؤنس :رحلة الأندلس الفردوس الوعود ، الشركة العربية للطباعة و النشر، ط1 ،1963،ص359.

*بلاي هو أحد النصارى الأشراف الذين كانوا رهائن في قرطبة مقابل طاعة أهل بلده ، ففر منها أيام الوالي عبد الرحمن الثقفي ، في السنة السادسة لافتتاح الأندلس أي سنة 98هـ/717م أنظر القري : الصدر السابق، ج3،ص 14.

## II/ عصر أسرة عبد الرحمن الداخل(138 1031هـ) :

ما إن دخل عبد الرحمن بن معاوية أحد أبناء الأسرة الأموية مسلوبة الحكم في المشرق الأندلس ،حتى تمكن هذا الأخير من تأسيس دولة مستقلة سياسيا عن الخلافة العباسية.وقد مر هذا العهد الجديد الذي دخلت فيه الأندلس بمرحلتين مختلفتين ، تسمى الأولى منها بعصر الإمارة فيما تعرف الثانية بعهد الخلافة ، تميزت المرحلة الأولى بسعي الأمير عبد الرحمن إلى تثبيت أسس الكيان الأموي ،وتأكيد وجوده في ساحة الأندلس ذلك أنه عمل دون هوادة إلى تنظيم شؤون الدولة بعد أن اتخذ لنفسه لقب الأمير، وتنفيذا لهذا المشروع قسم البلاد إلى ست ولايات وأبقى على العاصمة قرطبة وعين حاجبا له يساعده في مهامه (1)، في سنة (172هـ/ 788م ) ،خلفه ابنه هشام الذي تميز عهده بالاضطرابات والقلاقل الداخلية ، ومن ثم انشغل بإخماد الفتن ومحاربة المعارضين ، وقد لقب بالرضي لما تمتع به من تقوى وورع ،وقد توفي سنة (180هـ 796 م) ، بعد سبع سنوات من الحكم ، وفي هذه السنة تولى حكم الإمارة ابنه الحكم الأول الذي لم يكد يجلس على كرسي الإمارة حتى اضطرته الثورة في قرطبة والأقاليم ، إلى استعمال الشدة في إخماد الأمور لضبط الأمن ،وقد ارتبط اسمه بثورة أهل الربض وهو حي من أحياء قرطبة ،وحسبما أوردته المصادر العربية فإن الحكم قمع هذا التمرد دون تردد حيث قتل من أهلها اثنين وسبعين ثائرا فستحق بذلك لقب الربضي (2) .

---

(1) يعرف بعبد الرحمن الداخل ولقبه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بصقر قريش ، عرف بالدهاء والحنكة السياسية ، وإليه ترجع مبادرة الجامع الكبير بقرطبة ، كما أمر بضرب السكة وسمى المكلف بها صاحب السكة ، كما عين الكتاب الذين يصدرون الرسائل والقرارات عن الأمراء ويختمون بخاتمه . أنظر المقري : المصدر السابق ،ج1 ، ص 455 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2، ص 229 ؛ السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ،ط 1987، ج1 ، ص95؛ جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، 1984، ج2، ص 226.

(2) ابن عبد ربه : العقد الفريد ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1982، ج4، ص 488 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 60،59؛ المقري: المصدر السابق ، ص329.

بعد وفات الأمير الحكم الأول سنة ( 206هـ/ 821م ) تولى الإمارة ابنه المسمى عبد الرحمن و الملقب بعبد الرحمن الثاني أو الأوسط ، وإذ كانت عهدته مشرقة في تاريخ عصر الإمارة (1) ، فإن حكم الأندلس بعد وفاته سنة 238هـ/852م انتقل إلى أمراء ضعاف لم يبلغوا قوته وحكمته في التسيير مما جعل البلاد تعيش دوامة من الصراعات الداخلية المهلكة ،إذ أطلق المؤرخون على هذه المرحلة عصر ملوك الطوائف الأولى ،و أثناءها حاول بعض زعماء الأقاليم تشكيل إمارات خاصة بهم والانفصال بها عن الحكم المركزي بقرطبة ،وهذا الواقع في الجنوب هيأ للقوة المسيحية أسباب الاستقرار بل حاولت بعضها التوسع على حساب الأندلس الإسلامية في الجنوب ، وامتدت هذه المرحلة العصيبة مابين سنة ( 238 - 300هـ/852 - 912م) (2).في سنة (316 - 422هـ)نشأ نظام الخلافة في الأندلس خلافا لعصر الإمارة والتي امتدت مابين ( 316هـ 928 م /422هـ 1040م )

(1) يعد عبد الرحمن الثاني أو الأوسط من مشاهير،حيث فتح هذا الأمير باب العلاقات الدبلوماسية الخارجية على مصراعيه مشرقا ومغربا،وبدأت سفاراته بإرسال شاعر الدولة يحي بن الحكم الغزال إلى النورمان ،محاولا إقامة السلم بين الطرفين ،كما أرسل سفارة أخرى للإمبراطورية البيزنطية في عهد تيوفيل سنة 225 هـ /840م ،ردا على سفارة هذا الأخير التي قادها قرا تيوس ،كما كانت لعبد الرحمن سفارة للمغرب الاوسط الدولة الرستمية ، وكانت له إنجازات عمرانية لا يمكن التقليل من شانها كتشييد القصور وبناء المساجد والمنتزهات كما كانت له إنجازات معمارية في داخل الأندلس كما استمد شهرته أيضا من محاربته لدويلات النصارى بشمال الأندلس في عهد الدولة الأموية والتي اكتمل تكوينها أو يكاد ، ولكن من إفشال أول هجمة تعرضت لها الأندلس من طرف سكان الشمال الأوربي "النورمان"" Normands" سنة 229هـ- 843م وهم سكان الدول الاسكندنافية الحالية" Scandinavie" السويد والنرويج والدانمارك والمسمون كذلك بالفيكينج"vikings " وتسميهم المصادر العربية المجوس" الأردمانيين " ؛ ابن القوطية :المصدر السابق ، ص 59؛ ابن خلدون ، نفسه ، ص 281. ابن حيان : المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، القطعة الثانية و الخامسة ، تحقيق عبد الرحمن على حجي ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، 1986،ص 42. عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982،ص 96.

(2) ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 59 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج4، ص282؛ المقري : المصدر السابق ، ص 346؛

وكان المؤسس لها الناصر لدين الله الذي اتخذ لنفسه لقب الخليفة ، وانضمت الخلافة الأموية بذلك إلى مصاف الخلافتين الإسلاميتين الخلافة العباسية في المشرق و عاصمتها بغداد، والخلافة الفاطمية بالمغرب وعاصمتها المهدية * ولا شك أن هذه المرحلة تشكل صفحة مجيدة في تاريخ المسلمين بالأندلس إذ تجسد عصر القوة والعزة بالنسبة للحكم الأموي ، ويطلق عليها مرحلة الحكام العظام، الذين بفضل شخصيتهم القوية ودهائهم وحسن تسييرهم من السيطرة على البلاد بعدما شهدت فترات اضطراب،وكان أن استقر لهم الوضع بإخماد أشكال العصيان والتضييق الشديد على مسيحي الشمال الخارجين عن حكم الخلافة(1).ثم خلفه ابنه الحكم الثاني المستنصر بالله وحكم بين(961م 350هـ/976م 366هـ) لم يختلف عن والده في نهج إدارة الدولة تم جاء بعده ابنه هشام المؤيد سنة(976م 366هـ / 1013م 404هـ) وفي أيامه ظهرت شخصية المنصور بن أبي عامر،الذي ترك بصمات جلية على الحكم الأموي وأصبح صاحب النفوذ المطلق واستطاع إخماد الثورات والفتن ورد عادية النصارى ،إذ يرى بعض المؤرخين أن النفوذ العامري كان سببا في إسقاط الخلافة الأموية(2).

(1) في عهد خليفة لدولة الأموية في الأندلس الناصر لدين الله ، شهدت بلاد الأندلس في رخاء باهر في كل المجالات ونعمت الدولة بهيبتها في الداخل والخارج ويدل على ذلك تسارع مسيحي الشمال ودول أوربا على بلاط الخليفة ، كإمبراطور بيزنطة وملك ألمانيا وبروفانس ، ولم تتأخر بلاد المغرب هي الأخرى في إعلان ولائها للناصر والدخول في طاعته ،و في هذه المرحلة أصبحت قرطبة قبلة العالم وهي المدينة التي تحتوي جميع الأشياء ، سواء من ناحية التنظيم السياسي أو الإبداع العمراني أو التطور العلمي ،مما جعل الشاعرة الألمانية "روزفيتا Hroswitha " في منتصف القرن العاشر الميلادي تصف قرطبة بانها زينة الدنيا وجتها.

(2) ابن عبد ربه : المصدر السابق ، ج4،ص 498؛ الحميري : المصدر السابق ، ص 295؛ دوزي : المرجع السابق ، ص 218، و222 وما بعدها ؛ ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذواقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1987، ص 79؛ زيغرد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيوض ، وكمال الدسوقي ،المكتب التجاري لطباعة و التوزيع ، ط1 ، 1964، ص 420.

*الخلافة الفاطمية نسبة لفاطمة الزهراء بنت النبي (ص) ،وهي دولة شيعية قامت بالمغرب الإسلامي ، انتسابهم لأهل البيت عن طريق الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، يرى غالب المؤرخين أن نسبهم كان مطعون فيه بفعل الحملة التي شنّها العباسيون ضدّهم، لوقف انتشار دعوتهم في البلدان التي كانت خاضعة للخليفة العباسي في بغداد. ابن خلدون ، العبر ، ج4، ص 64، وبعدها؛ القيرواني( إبي دينار) : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة النهضة ، تونس 1350، ص 45 وما بعدها ؛ ونظر أيضا عارف تامر: الدولة الفاطمية الكبرى، المكتبة الفاطمية ج3، دار آل البيت، ط1، 2007

على أن الحكم الأموي في الأندلس بشكل عام وعهد الخلافة بشكل خاص إذا كان قد فرض سيادته وهيبته وضمن لها الاستقرار المنشود ، فإنه من الضروري مكان الإقرار بوجود عوامل ضعف في الخفاء والعلانية ، تنخر كيانه مما يؤدي إلى ارتجاج أسسه ومن ثم إلى ضعفه وأفوله.

ولاشك أن أمر بني أمية أسسوا حكمهم بقوة السيف ،وجعلوه مطلقا حيث مارسوا خلاله وسائل البطش احيانا،حفاظا على سلطانهم وتدعيما لحكمهم وإرهابا لاعدائهم (1).

إلا أن هذه السياسة لم يألفها العرب ولا البربر الفاتحون ولم يتعودوا عليها فأظهروا تجاهها نفورا شديدا ، على عكس أهالي الأندلس الأصليين الذين استطابوا ذلك وألفوه منذ العهد القوطي ،وكان الفاتحون الأوائل يناسبهم العيش في أقاليمهم و إقطاعاتهم التي سيطروا عليها وحولوها إلى شبه جمهوريات منفصلة ، ومن ثمة فإن الحكم الأموي المطلق لا يناسب ما جبلوا عليه من الحرية والأنفة ،ويرجع البعض كثرة الثورات داخل الدولة الأموية وعزوف هذين المكونين من ( العرب و البربر ) عن نصرة هذه الدولة إلى هذه الطبيعة المتأصلة في وجدانهم ، فابن خلدون"... يقول إن العرب والبربر يتميزون بعلو الهمم وشموخ الأنوف ،وقلة الاحتمال لثقل الطاعة." ، وهذا ما كان يحصل بالأندلس ،ويضيف " ..هذه الطبيعة تجعل بعضهم يأنف من الإذعان لبعض ، فهم متنافسون في الرياسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ، ولو كان أباه إلا في الأقل وعلى كره من أجل حياء فيتعدد الحكم منهم ، وتختلف الأيدي على الرعية فيفسد العمران."(2).

(1) الحميري : الروض المعطار ، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، 1975، ص168؛ عبد الحميد العبادي : المجمل في تاريخ الأندلس ، دار الكتاب العربي ،بيروت ط1، 1981، ص 145؛ على إبراهيم حسن : التاريخ الإسلامي العام ،دار العلم للملايين لبنان ،ط2، 1984، ص 522،521.

(2) ابن خلدون : المقدمة ، ص 455 ؛ دوزي : المرجع السابق ، ص211.

ولذلك ليس من الغرابة أن تستفحل ظاهرة التمرد على سلطان بني أمية ، وهذا كان مشجعا مسيحيي الشمال الذين يتحينون الفرص للسيطرة على بعض أقاليم الخلافة (1).

وشغل أمر المولدين الدولة الأموية التي لم ... ،حيث يعد هؤلاء نتاج تزاوج الفاتحين بأهل الأرض المستعربين *، والذين شكلوا الغالبية من السكان في الأرياف وفي المدن ، وقد ظلوا يدفعون الجزية على الرغم من اعتناقهم الإسلام في وقت من الأوقات ، إذ استعان بهم الامراء في تدبير شؤون الإدارة والجيش وفي حكم الثغور ، وكانت هذه الطبقة تجنح للسلم مادام الأمراء أقوياء ، لكن إذ ما أحسوا منهم ضعفا شقوا عصا طاعتهم (2).

شهدت الساحة الداخلية للأندلس في هذه الفترة مقاومة عنيفة من قبل أهل الذمة ،والمتمثلة في الحركة الاستشهادية التي تزعمها بعض الأفراد من النصارى ، اعتقادا منهم بأن ذلك يعد سبيلا لنصرة دينهم ،ويعود سبب هذه الحركة إلى ظاهرة انتشار الإسلام السريع والمقلق لهؤلاء ،وكذا حركة الاستعراب التي نشطت بشكل كبير في أوساط المسيحيين الذين باتت أعدادهم في تناقص متزايد ، مما أثار حفيظة الرهبان والقساوسة ممن كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب الأرض الحقيقيين ،وأزعجهم أيضا ارتفاع شأن أتباعهم الذين اعتنقوا الإسلام ، ومن ذلك لم يجد هؤلاء الكنسيون بدا من تحريض بعض رعاياهم على سب الإسلام وأتباعه علنا،في الشوارع وعلى أبواب المساجد وأمام القضاة ، الذين كانوا يحاولون دون جدوى تأجيل إعدامهم (3).

وقد أثار تنفيذ الإعدام بحق هذه الطائفة المشاغبة سخطا شديدا لدى المسيحيين مما ضاعف

(1) المقري : المصدر السابق ، ج2، ص 73،72 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2، ص 102،92، ابن خلدون : العبر ، المصدر السابق ، ج4، ص 124؛ دوزي : المرجع السابق ، 204.

(2) ابن حيان : المصدر السابق ، ص 54، 55؛ ابن سعيد : المصدر السابق ، ص93؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 183، 184؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 123.

(3) حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامي ، دار الفكر ، بيروت ، 1980 ، ص 77؛ حسن مؤنس : المرجع السابق ،ص 495 ؛ دوزي : المرجع السابق ، ص 268، 291.

* المستعربين هم أهل البلاد المفتوحة واللذين بقوا على ديانتهم المسيحية ،لكنهم أحبوا للغة العربية وتخذوها لغتا لهم.حسن محمود : المرجع السابق ،ص 291.

كراهيتهم للإسلام والمسلمين، و ازداد لهيب الفتنة اشتعالا فسجلت بعض مدن الأندلس جراءها قلاقل شديدة قاسى الحكم الأموي بسببه كربا ثقيلا (1) ،ولا شك أن هذه الانتفاضات وحركات

التمرد أضعفت حكومة قرطبة ، وأتاحت لمسيحيي الشمال الفرصة لإظهار شوكتهم و استرداد بعض الأراضي ،وافتكاكها من أيدي المسلمين ومن هذه الثورات التي اهتزت لها أركان الدولة ثورة طليطلة التي امتدت زهاء قرن كامل (144هـ/ 761م 244هـ/858م) . تعود بداية هذا العصيان الأهلي إلى سنة (144هـ/ 761م) حينما نجح هشام بن عروة الفهري صاحب ثغر طليطلة ،في تحريض أهالها على الثورة، ولما التف حوله كثيرون تطلع إلى السيطرة على الثغر الأوسط كله*،وكان أن رد عليه عبد الرحمن الأوسط فأرسل حملة عسكرية استطاعت قتله والإيقاع بقواته.غير أن هذه النتيجة لم تفلح في إخماد نار هذه الثورة، فاضطر عبد الرحمن الأوسط توجيه جيش آخر بقيادة أخيه أمية لمحاصرة مدينة طليطلة 219هـ/ 834م ، وقد أثبتت هذه الحملة فعاليتها من خلال التضييق الذي مارسه أمية على سكان المدينة فحاصرهم حصارا شديدا وقطع أشجارهم وأتلف زروعهم، ونجح أحد قواده في التنكيل بهؤلاء السكان ودحرهم ، ويذكر ابن الأثير" أن رؤوس القتلى جمعت وحملت إلى ذلك القائد الذي يدعى ميسرة، فلما رأى كثرتها عظمت عليه وارتاع لذلك ،ووجد في نفسه غما شديدا، فمات بعد أيام يسيرة " (2). لم يكتف عبد الرحمن الأوسط بذلك، بل توالت حملاته على المدينة لتزيد إمعانا في حصارها ،حتى جهد أهلها وعجزوا عن المقاومة، وضاقوا ذرعا بالحصار، وعلى إثر هذه المعانات نجحت قوات عبد الرحمن الأوسط التي كانت بقيادة أخيه الوليد بن الحكم في اقتحام أسوار المدينة في (رجب222هـ/836 هـ) ، بعد أعوام عديدة من العصيان والثورات التي كان يغذيها روح التمرد، ودسائس النصارى من أهل المدينة (3)و كذا تحريض الفرنجة أعداء الدولة الأموية المجاورين للأندلس .

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص91 ، 92 .

(2)ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،ج9،مطبعة بولاق ، القاهرة ، 1290هـ،ص 124.

(3)ابن حيان ، المصدر السابق ،ص20؛ ابن عذاري ، المصدر السابق،ج2،ص 142 -144.

*اندلعت الثورة بطليطلة شارك فيها بعض النصارى يقودهم رئيسهم الكونت سرفاندو، الذي يسميه ابن حيان شربند بن حجاج القومس ، فأخذ هؤلاء يغيرون على القرى ويدمرون الزروع .انظر ابن حيان ، المصدر السابق ، ص91 ، 92 .

و الواقع أن هذا الفوز الساحق على الفتنة ورؤوسها بطليطلة لم يؤدي إلى استئصال شأفة ظاهرة العصيان بالمدينة . إذ لم تكد تضع الفتنة الداخلية أوزارها حتى اندلعت ثورة أخرى لا تقل شراسة وشدة عن الأولى . وترجع بدايتها إلى منتصف شهر ربيع الآخرة من سنة238هـ/852م وذلك بعد أيام قليلة من صعود الأمير محمد على ملك الأندلس ،وأثناءها تمكن قادة الثورة من القبض على والي المدينة، ورفضوا إطلاق سراحه حتى أفرجت حكومة قرطبة عن رهائنهم المعتقلين ، وكانت الحكومة المركزية حينذاك قد دأبت على أخذ رهائن من وجهاء طليطلة حتى لا يعاودوا الثورة عليها.إن هذه الثورة سرعان ما اشتدت شوكتها واتسع لهيبها فيما أظهرت قوات الدولة عجزا واضحا عن إخمادها . ولما وصل صدى هذا الفشل إلى الأمير محمد سارع إلى تسيير حملة عسكرية صوب طليطلة ، يقودها شخصيا وكان هذا التحرك العسكري من شهر محرم من السنة 240هـ/854م على أن هذه الحملة لم تلبث أن توجت بالانتصار الباهر على الثائرين ، قتل خلالها ثلاثة آلاف منهم وأسر عدد من القساوسة الذين كانوا يؤججون نار الفتنة في المدينة وأمر الأمير محمد بإعدامهم ، وعلى الرغم من العقاب الذي سلطه الأمير على المتمردين فإن الأوضاع بالمدينة لم تعرف الهدوء المطلوب واستمرت الدعوات لثورة في طليطلة وبلغت أشدها بدعو ى ما تعرضوا له من اضطهاد وفي خضم هذه العاصفة الخطيرة بادر الأمير محمد بالخروج مرة ثانية على رأس جيوشه يحذوهم العزم على طي هذه الصفحة من الاضطراب نهائيا ، زحف الأمير على طليطلة عام 244هـ/ 858م ، ولما وصل إليها ضرب عليهاحصارا مشددا ، وتعرضت حصونها اثناءه لتخريب والدمار وذاق أهلها مرارة التضييق والحرمان ، وبسبب هذه المعانات الثقيلة استسلم الثائرون وفتحوا أبواب المدينة ما طلبوا الصلح والأمان وأذعنوا للخضوع والطاعة وهم يتحينون فرصا للانتقام من السلطة الأموية و الخروج عن طاعتها متى حظرت الفرصة لذلك (1).

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص91 ، 92 ؛ ابن القوطية: المصدر السابق ، ص59 ؛ ابن عذاري : المرجع السابق ج2، ص 91.

ب/غزو النورمان للأندلس :

ولم يكد يفرغ الأمير محمد من عملية إخضاع طليطلة حتى دهم الأندلس في سنة (245هـ / 859م) خطر النورمنديين الوافدين من شبه جزيرة اسكندنافيا ، وأما المؤرخون والجغرافيون المسلمون فيطلقون عليهم لقب " المجوس الأردمانيين *"، واشتهر هؤلاء بنشاطهم الحربي واعتداءاتهم على سواحل الدول الأوربية في القرن التاسع والعاشر وبخاصة على الإمبراطورية الكارولنجية** ،ولم يكن هذا الهجوم الأول من نوعه وإنما سبق للأندلس ،ان تعرضت لهجماتهم وغاراتهم المخرّبة، وكان على الأمير محمد أن يواجه أسطولهم الذي قدم في اثنتين وستين سفينة عاثت فساداً في الشاطئ الغربي للأندلس المحاذي للأطلسي ، لكن بفضل استعداد وتأهب السفن الأندلسية أحبطت هذه الغارة النورمندية (1).

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ،ص 281؛ ابن حيان: المصدر السابق : القطعة الخامسة ، تحقيق عبد الرحمان على حجي ص24 ؛ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج1،ص 48 ؛ ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 59؛ابن القوطية نفسه ، تحقيق أنيس الطباع ؛ بيروت ،1968، ص 84 ،88،86؛ اليعقوبي ، كتاب البلدان ، ج7، ليدن ، 1967، ص354، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص 87، 88 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج1، ص 332، 342؛ عبد المنعم ماجد ، العلاقات بين الشرق والغرب ، بيروت ، ص 139؛ عبد الله جمال الدين :تاريخ المسلمين في الأندلس ،دار السفير ، القاهرة ، 1996، ص178؛ تومي ( رشيد ) : العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ما بين 1046و1154، مذكرة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر ، عام 1988، غير مطبوعة الفصل الأول من المذكرة وأنظر أيضا . Dozy (R) , Recherches sur l histoire et la littérature de l espagene pendant le M-age ,t.II,paris.1881 .p. 250; et suivantes ;balard (M), op.cit.,p.73.

*سمي هذه العناصر أيضا بالفيكينج vikings- سكان الفيوردات fiords وأما تسميتهم بالمجوس عند المسلمين لكونهم يلجاون دوما إلى إضرام النيران ليستانسوا بها خاصة ليلا فشبهوا بالمجوس " عبدة النار ".عاشور عبد الفتاح : تاريخ اوربا ص200؛أحمد مختار العبادي : تاريخ المغرب والأندلس ، ص 183.

** سميت الإمبراطورية بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها شارلمان الذي توج في يوم 25ديسمبر عام800من قبل البابوية ،و ستحوذت هذه الإمبراطورية على الجزء الأكبر من أوربا الغربية عن هذا الموقف ارجع إلى :

Eginhard, op.cit., p81; pirenne (Henri) ,Mahomed et charlemagne , p up paris ,1992.p173 ; Heers ( Jacques ) ,op.cit.,p.41.

ويرجع سبب هذه اليقظة العسكرية إلى إدراك الامويين بهذه الغارات التي الفوها وعرفوها منذ عهد عبد الرحمن الأوسط ، ومن أجل هذا التوقع لم تفاجا الاندلس بها ،وقد كان لزاما أن تستمر الدولة دون كلل في استعدادها لرد المغيرين النورمان على اعقابهم ، حيث ظهر خطرهم من جديد ووصلت مراكبهم ، إلى مدينة "باجة" بجنوب غرب الأندلس وهددوا أسوارها غير أن السفن الأندلسية كانت لها بالمرصاد وألحقت بطلائعها خسائر ملحوظة ، و استطاعت أن تنتزع سفينت من سفنهم المحملة بالغنائم والسبي ، ولكن ذلك لم يكن كافيا لردع النورمان، فاتجهت سفنهم نحو الشواطئ الجنوبية عند مصبّ نهر الوادي الكبير،حتى بلغت مياه الجزيرة الخضراء ، و ا حدثت معركة بحرية انتهت لصالح النورمان ،وهو ما شجعهم إلى السير قدما نحو الجزيرة الخضراء نفسها ، وعند نزولهم أحرقوا مسجدها الجامع ، وافسدوا ونهبوا، ثم سارت بعض مراكبهم إلى شواطئ "عدوة المغرب" وعاثت فيها فسادا ، ثم نزلوا بشاطئ الأندلس الجنوبي حيث جرت فيه معارك برية وبحرية استمرت عدة أشهر، فَقَد النورمان جراءها كثيرا من مراكبهم ،و على طول شواطئ الأندلس الشرقية سار النورمان نحو الشمال دون ان يعودوا إلى ارض الاندلس و ارتاح سكانها من شرهم المستطير نهائيا (1).

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ،ص 281؛ ابن حيان: المصدر السابق : القطعة الخامسة ، تحقيق عبد الرحمان على حجي ص24 ؛ ابن سعيد المغربي : المصدر السابق ، ج1،ص 48 ؛ ابن القوطية : المصدر السابق ، ص 59؛ابن القوطية نفسه ، تحقيق أنيس الطباع ؛ بيروت ،1968، ص 84 ـ 86،88؛ اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص354، ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج2، ص 87، 88 ؛ المقري ، المصدر السابق ، ج1، ص 332، 342؛ عبد المنعم ماجد ،المرجع السابق ، ص 139؛ عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ، ص178، رشيد التومي ، المرجع السابق ، 45 .وأنظر أيضا . Dozy (R) , op.cit.,p.250;Genet (J-P), Rouch(M) , des Barbares a la Renaissance , Hachette universitaire .1981.pp.72-73,78-79.

ج / ثورة المولدين بماردة وبطليوس(254 ـ 271هـ/868 ـ 884م):

بعدما نجح الأمير محمد في إحكام قبضته على "طليطلة" وإقرا ر الأ من ا، قامت ثورات أخرى في المناطق الجبلية شمال غربي الأندلس، وهذا لتصبح الاضطرابات الطابع المميز لعهد هذا الأمير (1)، وكانت "ماردة" الواقعة في غرب الأندلس- بالبرتغال حاليا – هي التي حملت لواء التمرد على السلطة المركزية وشكلت مركزا للمتمردين ومعقل لهم ، وكان يقود هذه الحركة رجل يدعى "عبد الرحمن بن مروان الجليقي".وكعادته لم يتردد الأمير محمد في الخروج لإخمادها بقوة النار والحديد ،لما لهذه الثورة من مساس لسيادة العرش في الأندلس ، ومن أجل ذلك انطلق على رأس جيشه في سنة (254هـ/868م ) وهاجم قواعد المتمردين في "ماردة" وهدم أسوارها وخربها، فاضطر الثائرون إلى طلب الصلح والأمان، وقبض الأمير محمد على زعيم الثائرين ونقله إلى قرطبة.ثم لم يلبث أن فرّ "عبد الرحمن بن مروان" من قرطبة، ونجح في إشعال ثورة بعد ذلك بسنوات في "ماردة" و"بطليوس" التي حصنها ودعم أسوارها، ولم تفلح حملات الأمير محمد في إخماد الفتنة والقضاء على الثورة المشتعلة سنة (262هـ/875م) ودام الحال على هذا النحو أعواما دون عمل حاسم يقضي على الفتنة.وكان عبد الرحمن بن مروان يلقى دعمًا من مسيحيي الشمال ،حتى إذا أقبلت سنة (271هـ/884م ) عزم الأمير محمد على القضاء على الفتنة قضاءً تاما ، فأعد جيشا كبيرا، وجعل ابنه "المنذر" على قيادته، فزحف إلى بطليوس في سنة (271هـ/884م ) ففر منها عبد الرحمن بن مروان، وتحصّن بأحد الحصون(2)، وفي العام التالي قامت حملة أخرى لتقاتل ابن مروان، لكنها عجزت عن اقتحام حصنه. ولما أعيا الأمير أمرُهُ اضطر إلى قبول شروطه في الاستقلال بحكم بطليوس وما حولها، والإعفاء من المغانم والفروض، وأن يكون من حلفاء الإمارة(3).

(1) السيد عبد العزيز سالم :قرطبة حاظرة الخلافة في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ج2، ص 229 ؛ جورجي زيدان :تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ،ج2،ص226 وما بعدها .

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 142-144 ؛الحميري : المصدر السابق ، ص 132 ؛ابن حيان : المصدر السابق ، ج3،ص 15 ،16،21.

(3)عبد الله جمال الدين : المرجع السابق ،ص178؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي :كيف ضاع الإسلام من الأندلس، القاهرة 1413هـ ،ص125.

## د/ثورة عمر بن حفصون جنوب الأندلس :

هنالك ثورة عارمة أخرى شبّت في ولاية "رية" الواقعة بمنطقة مالقة. وهي لا تقل حدة وشراسة عن تلك التي سبقتها قادها رجل من المولدين يدعى "عمر بن حفصون"، الذي وجد دعما

ملحوظا عند اللصوص والمغامرين وقطاع الطرق ،و عاصر هذه الفتنة ثلاثة من الأمراء الأمويين، لم يستطع أحد منهم القضاء عليها، و سخرت في سبيل ذلك أموالا طائلة في تجهيز الحملات للقضاء هذه الحركة لكنها لم تفلح، ويعود سبب نجاحها و استفحال شوكتها إلى كثرة أتباعها ومناعة موقعها ، مما جعلها تمكن من الصمود والتحدي تجاه حكومة قرطبة، إلى أن توفي زعيمها عمر بن حفصون في ربيع الأول (306هـ /918م ) (1). في الواقع إن هذه الثورات المتتالية شكلت امتحانا عسيرا لدولة الأموية في الأندلس حيث كادت أن تعصف بأسسها وتقرر مصيرها نحو التمزق والانقسام المحتوم ، وقد ألقت نتائجها المريعة بضلالها على ساحة الأندلس ، فمن جرائهااستقلت سرقسطة في الشمال الشرقي للأندلس، و كذا بطليوس، وانفرد ابن حفصون بالمناطق الجبلية الوعرة في الجنوب بين مالقة ورندة،فيما أعلنت مدينة إشبيلية هي الأخرى تمردها على قرطبة ، على أن المشهد إبان هذه التطورات الخطيرة كان ينذر بأن العرش الأموي مقبل على الانهيار او هو قاب قوسين او ادنى منه . لكن إذ كانت الدولة قد تجنبت هذه النهاية المؤلمة في هذه المرحلة على الأقل إنما يرجع الفصل في ذلك إلى الأمير محمد الذي أظهر أثناء هذه التحديات إرادة قوية ورباطة جأش لا تلين حيث استطاع مواجهة هذه المشاكل بشجاعة ملحوظة ،وكذا تحقيق البقاء والتوازن المطلوب لهذه الدولة وهو ما كلف فعلا محمدا الأمير إمكانيات باهظة في المال والرجال والوقت ،وزاد الأمور سوءاً في بلاد الأندلس ظهور دولة جديدة في بلاد المغرب كانت من أشدّ الدول خطورة على بلاد الأندلس وهي الدولة الفاطميّة .ويكمن خطرها في انها ساعدت عمر بن حفصون وأمدته بالسلاح والمؤن والغذاء عن طريق مضيق جبل طارق من الجنوب،وذلك لأن عمر بن حفصون أو صمويل كان يعادي ويحارب الخلافة الأموية الموجودة في قرطبة(2).

(1) ابن عبد ربه : المرجع السابق ، ج4، ص498؛ عبد الله جمال الدين : المرجع السابق، ص 179؛ عبد الفتاح مقلد الغنيمي : المرجع السابق ،ص125؛ أنظر الخريطة رقم واحد .

(3) ابن أبي دينار : المصدر السابق ، ص 46 وما بعدها ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ج2،ص 360؛عبد الرحمن حجي:التاريخ الأندلسي ، دار الاعتصام ، القاهرة 1403ه / 1983 ، ص 235 ؛ محمد السيد الوكيل: الأمويون بين الشرق والغرب، دار القلم ، بيروت 1416ه 1995م ، ص214؛عبد الفتاح مقلد الغنيمي :نفسه،ص125.

وعلى ضوء ما سبق ذكره من تطورات سياسية وعسكرية لبلاد الأندلس الإسلامية ، فإنه يتبدى جليا بأن هذه الأخيرة باتت تعيش مر حلة صعبة لا تحسد عليها ، مرحلة تعد صفحة سوداء في

تاريخ الوجود الإسلامي بهذه المنطقة الاوربية . ذلك ان المسلمين في هذه البلاد إذا كانوا قد برعوا في المال الحضاري و أنشئوا فيها الفردوس المشهود إلا أن دوام الفتن الداخلية وغياب الاستقرار وجها عجلة تاريخ الأندلس في غير صالحهم .

إن الأوضاع الحالكة التي أضحى يتخبط فيها الحكم الأموي في الجنوب ، قد وجدت صداها في الجزء الشمالي من الاندلس حيث هيات بها الارضية المناسبة لبعث كيانات مسيحية جديدة معبأة بالروح العدائية والهجومية على المسلمين الأندلسيين مما يمكنها وعلى مر الزمن تشكيل جبهة محلية يكون لها اليد الطولى في رسم معالم مستقبل بلاد الأندلس بكاملها، على أسس جديدة تتحول فيها القوى أو الممالك المسيحية بالشمال حكما دون منازع في لعبة الصراع المسيحي الإسلامي بالأندلس والذي ستختتم فصوله في نهاية القرن الخامس عشر.

# الفصل الثاني :

الفصل الثاني : قيام الممالك المسيحية وتطورها خلال القرن الحادي عشر :

1 /البعث الأول للممالك المسيحية :

ا/ ليون و قشتالة :

ب/ نافار ( نبرة ):

ج/ أراجون:

د/ برشلونة :

2/الممالك المسيحية خلال القرن الحادي عشر :

ا/ليون و قشتالة :

ب/نافار:

ج/أراغون:

د/ مملكة برشلونة :

3/ بعض ملامح مكونات الحكم لدى الممالك المسيحية :

ا/ الملكية:

ب/النبلاء:

ج/ رجال الدين :

د/ المناصب الإدارية:

ه/ الإقطاع :

و /نظرة على الحياة الاقتصادية في الممالك المسيحية:

## المبحث الأول للممالك المسيحية :

### I/ ليون و قشتالة :

سمحت الظروف السياسية في الأندلس بتأسيس تجمعات مسيحية خارجة عن نطاق سلطة الدولة الإسلامية . وترجع الريادة في هذا المضمار إلى القائد بلاي الذي أنشأ أول نواة لهذه التجمعات المناهضة للمسلمين في جليقية و **أشتوريش** (Astoris) **بشمال الأقصى للأندلس سنة 98هـ / 716**م.وكانت لهذه المبادرة أثرها الفعال في الأوساط المسيحية ،لأن ما أثاره بلاي من قلق وإزعاج للمسلمين رسم البداية الجادة **لحركة المقاومة المسيحية** المتواصلة في الأندلس [1] ،ذلك أن مشروع بلاي لم يختفي مع وفاته حيث **استمر** في **عهد زوج ابنته ألفونش ألفونسو الأول**(Alfonso I) الذي حكم كنتبرية الواقعة إلى **الشرق من أشتوريش . وقد** سار هذا الأخير على سياسة صهره الهجومية إذ توسعت جليقية في **أيامه بشكل ملحوظ فامتدت** من بلاد البشكنس شرقا إلى شاطئ المحيط الأطلنطي غربا ، وسميت باسم مملكة ليون **،إذ ازدهرت ليون** في **عهد أميرها** المدعو أردونيو الأول (ordonio I) **،حيث بلغت من القوة و الاستقرار ما مكنها من بلوغ مستوى المملكة و تلقب أوردنيو باللقب الملك** [2] **، وقد تربع على عرش المملكة ليون عدة ملوك أبرزهم ألفونسو** الثاني **( 866-910م )أردونيون (914- 924 م ) و** ردمير الثاني ( RamiroII ) (932-950م ) [3].

ولا شك أن قيام مملكة ليون يعد خطوة هامة في مسيرة بناء الشطر الشمالي لما سيلعبه هذا الكيان من دور مفصلي في ساحة الأندلس مستقبلا .

---

(1) مؤلف مجهول : المصدر السابق ، ص 44 ؛ المقري : المصدر السابق ،ج3 ،ص 14 ؛ علي حبيبة: المرجع السابق ، ص 419 ؛رينو : المرجع السابق ، ص 126؛لين بول: قصة العرب في اسبانيا ،تعريب علي الجارم ،دار المعارف القاهرة ،ط 1960 ، ص ، 79؛ حسين مؤنس :رحلة ا لأندلس ،ص 363 ؛حسين مؤنس : بلاي و ميلاد أشتريس ،ص 19- 20 ؛ أحمد بدر، دراسات في تاريخ الأندلس وحضارتها من الفتح حتى الخلافة ، دمشق1969، ص 14.أنظر أيضا :. Michel Mourre; op.cit;p1621

(2) أنظر:
F.J.PEREZ DE URBEL, Primiros Contactos del Islam el Reino Asturiano (Arborl 1953),p.23
;Livermor Horold,A History of Spain ,London, 1976, p99;

(3) البكري : المصدر السابق ،ص 74- 75 .

أما عن مؤسس كيان قشتالة الموحد فهو الأمير فرناند جونثالث (Fernand Gonzales) ، غير أن هذا الكيان لم يبلغ هذه المرحلة من التشكل والتطور إلا بعد أن قطع خطوات متواصلة غير يسيرة حتى تحولت في النهاية إلى مملكة عاصمتها مدينة برغش (Burgos) ، فبرغش العاصمة مر تأسيسها هي الأخرى بمراحل مختلفة ، حيث ترجع بداية نشاتها الأولى إلى عهد ألفونسو الثالث ( 866 910م) إلا أن بروزها الحقيقي لم يحدث إلا في أيام عبد الرحمن الناصر(300هـ912م/350هـ961م) . كانت منطقة قشتالة تشكلها مجموعة من القلاع والحصون تقع على منحدر يمتد نحو سهل أخضر [1]،انحصر دورها في بداية عهدها في حماية ليون من هجمات المسلمين .وكان يتزعم كل قلعة من هذه القلاع أمير يسير شؤوا و يتمتع بشيء من الاستقلال الذاتي كي يتمكن من صد هجمات المسلمين ،وبذلك أصبحت أنظمتهم الإدارية بعيدة شيئا ما عن النظام الإقطاعي السائد في مملكة ليون ، و انتشرت بين الأهالي في تلك المنطقة نظام الملكيات الصغيرة ،حتى يتمكن كل فرد منهم أن يدافع عن أرضه و أهله و أمواله ،ولم تلبث هذه القلاع أن اتحدت في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ،بزعامة أقوى أمرائها فرناند جونثالث المشار إليه آنفا ،و استقلت عن مملكة ليون وصارت تعرف بإمارة قشتالة(Gastilla) ، وكان العرب يطلقون عليها قشتالة القلاع وسميت عندهم أيضا بقشتيلية .و أول من ابنى القلاع لحماية القرى وضياع من غارات المسلمين هو ألفونسو الثالث [2] .إن هذه الوضعية السياسية الجديدة لقشتالة لم تؤدي في الواقع إلى قطع أواصر العلاقة مع ليون ،حيث سالم أمراء قشتالة ملك ليون على أن يخدموه بثلاثمائة فارس متى احتاج إلى ذلك ، ثم اخذت هذه المملكة في النمو و الاتساع شيئا فشيئا على حساب جيرانها المسلمين و المسيحيين على السواء، و أصبحت تضم مقاطعات عدة منها برغش (Burgos)و ابلة (Avila) و سقوبية (Sègirè)وشورية(Soria) و شنت أندر و غيرها [3].و في إطار تطورها كانت قشتالة قبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي إمارة صغيرة حاكمها

(1)ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر ،ج1 ، ص 43؛ ابن حيان : المصدر السابق ، ص16، حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص 349

(2) عبد الله عنان :الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال ،مؤسسة الناشري، القاهرة الطبعة الثانية ،( 1381 هـ- 1961م ) ، ص 310 .

(3) لسان الدين ابن الخطيب : تاريخ اسبانيا الإسلامية أعمال الأعلام ،تحقيق ليفي بروفنتشال ،ط2 ،دار الكشوف بيروت , 1956 ، ص 324 ؛حسين مؤنس :المرجع السابق، ص 349 .

يلقب بالكونت- بالعربية القمط و هو في الرتبة السياسية دون الملك ،و قد حكم قشتالة قبيل هذه الفترة اثنان من الكونتات ،و هما غارسية فرنداز (Garcia Fernandez)(970 .995م )ثم ابنه سانشو غارسية (sancho Garcia) (995- 1017م)،و كلاهما لقي الكثير من الهزائم على يد المسلمين فالأول انتهت حياته بان هزم و جرح و اسر في معركة مع المنصور تم حمل إلى قرطبة ،حيث مات بها و دفن هناك في كنيسة للمستعربين والمعروفة باسم القديسين الثلاثة ( Los tres sontos ) ،لكن لم يلبث أن نقل رفاته بعد ذلك إلى دير كاردينه (cardena) بقشتالة . وأما إبنه سانشو فقد عرف الهزائم هو الأخر أمام المسلمين و اضطرته إلى عقد اتفاق مع المنصور بن أبي عامر ،الذي لم يجد بدا من تعميق علاقته مع هذه الأسرة حيث تزوج من إبنة سانشو،التي اعتنقت الإسلام وتسمت باسم عبدة [1]. وهكذا يعد قيام مملكة قشتالة محطة هامة في تاريخ صرح المقاومة المسيحية في شمال الأندلس لما ستلعبه من دور حاسم في ميدان المواجهة بين المسلمين والمسيحيين في هذه المنطقة .

ب/نافار ( نبرة ) NAVRRA:

هي بلاد البشكنس (Basques) التي تنسب هي الاخرى إلى منطقة بسكاية (BIscaya)، قاعدتها بنبلونة (Pamplona) .جغرافيا تقع نافار غربي جبال البرانيس(pyrènes )،و إلى الشرق يحدها جبال كنتبريا (Cantabria) ،تمتد حدودها إلى غالة من الجهة الشرقية وهي توجد بين قشتالة و برشلونة إذ قال عنها الحميري : (( هي بلاد تقع بين جبال شامخة و شعاب غامضة قليلة الخيرات أهلها فقراء جماعة لصوص و أكثرهم متكلمون بالبشقية خيلهم أصل الدواب المشونة بلادهم ))[2] .يشقها نهر إبرو (EBRE ) الذي ينبع من مرتفعات هيجار (Higar) و جبال كورد ( Cordel) الواقعين في أقصى الشمال الشرقي لإسبانيا. يتميز أهلها بالنزعة إلى الاستقلال فظهر منهم زعيم يلقب بأزوار (Azwar) عام 780- 799م ونصب نفسه أميرا على هذه المنطقة[3] ، قامت مملكة نافار المسيحية في أوائل القرن التاسع الميلادي ، وقد شهدت أراضيها بعض فترات الصراع بين الفرنجة من أهل غالة والمسلمين ، غزاها المسلمون مرارا و دخلوا عاصمتها بنبلونة أكثر من مرة في القرنين 9- 10م [4] .

(1) ابن الكردبوس :المصدر السابق ،ص 64،66. ونظر أيضا:.F.J.PEREZ DE URBEL; op;cit;p21

(2)البكري :المصدر السابق ، ص 79 .

(3)الحميري :صفة جزيرة الأندلس من كتاب الروض المعطار، نشره ليفي بروفنشال، القاهرة ،1937، ص 56 .

(4)عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم 2 ط1 ،القاهرة 1952 ، ص 67 ؛ عبد الله عنان: الأثار الأندلسية الباقية في اسبانيا و البرتغال , مطبعة الخانجي، لجنة التأليف و الترجمة، القاهرة ،ط2 ، ص 307 .

ج/ مملكة أراغون:

نشأت أراغون في الشمال الشرقي من الأندلس على حدود جبال البرانيس في شمال الأندلس تتشكل من مقاطعتين هما سوبرابي ( sobrabe ) و ريباجورث(Ribagorza)، الاولى كان بها قوات إسلامية قليلة و الثانية كانت تدفع الجزية للمسلمين ،و هي منطقة منعزلة فقيرة في مواردها ،لكنها بدأت تتطور منذ منتصف القرن الثامن الميلادي/ القرن الثاني الهجري فنشأت بها بعض القرى المحصنة التي شيدت حولها أسوار للدفاع عنها ،و دخل فلاحوا هذه المنطقة تحت حماية السيد الإقطاعي الذي كان شبيها بالقائد العسكري [1] . وأول مؤسس لهذا المملكة هو غرسية خيمينس (Garcia jimengz ) ،الذي لجأ بجماعته إلى أعالي أرضي أراغون فطاردهم عبد الرحمن الداخل الأموي بجيشه ، فتمكن من الاستيلاء على بلدة جافة (jaga) و اكتساح وادي أراغون و كذا تدمير قصبة أنسة (Ainsa) عند ملتقى نهر أره ،لكن لم يلبث هذا الجيش أن تراجع إلى أنسة تاركا هذه المكاسب[2]. وظهرت حركة ثائرة أخرى مماثلة نشأت غرب بلدة جاقة ، المعروفة بطبيعتها الوعرة ، تزعمها القائد جوان اتاراس (Atares) أحد رفقاء لذريق آخر ملوك القوط الغربيين ، وقد شكل معسكره ملاذا لكل المسيحيين المنهزمين والناقمين على الوجود الإسلامي في أرض الأندلس،لكن الذي خطف الأبصار ضمن هذا المشهد المتقلب وبعث في نفوس الأهالي المسيحيين روح الشجاعة والصمود هو القائد المذكور غرسية ، لأن هذا الأخير تمكن من نقل هؤلاء المسيحيين من إذلال الهزيمة إلى عزة الانتصار ومن موقع الدفاع إلى وضعية الهجوم .إن القائد غرسية نجح فعلا في تحقيق هذا الانقلاب حيث استطاع حشد قوة مسيحية قوامها خمسمائة مقاتل واجتازوا وادي جلق الواقع في الشمال الشرقي للأندلس ، وإنقض عندئذ على المسلمين بغتة بالقرب من أنسة ، فانزل بهم هزيمة ساحقة تم استعاد المناطق التي أخذت منهم أثناء الفتح ، والواقع أن هذه الوثبة العسكرية والتي أخلطت أوراق المسلمين في الشمال، كانت كافية لتعيد الاعتبار لحركة المقاومة المسيحية المحلية وتبعث الأمل في نفوس طلائعها ،وبذلك استحق زعيمها غرسية لقب ملك سوبرابي (sobrabe)فبويع على ذلك ، وشجع ملك نافار الجديد على مواصلة هجماته الكاسحة على حساب المسلمين الذين انغمسوا بشكل رهيب في خلافاتهم الداخلية وستتضاعف هذه الانتصارات بشكل حاسم وكبير من جراء الوضع الإسلامي المأساوي خاصة في القرن الحادي عشر الميلادي [2].

(1) ابن حيان : المصدر السابق ، ص16؛ محمد محمود النشار : المرجع السابق ،ص 36 .

(2) المقري: المصدر السابق ، ص 15 ؛ مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 61؛ محمد الواحد الشيباني: المرجع السابق ، ص 270 ؛ شكيب أرسلان: المرجع السابق ،ج2 ، ص 123 ؛ رينو : المرجع السابق ، ص 117؛أنظر الفصل الأول ، ص19، أنظر الخريطة رقم 02، 06.

ج/ مملكة برشلونة :

تعرف برشلونة أيضا باسم كتلونيا( catalonia ) و هي بلاد قائمة بذاتها يسمى أهلها الكاتلان نسبة إليها،لغتهم أقرب إلى سكان بروفانس (Provence)الواقعة جنوب غالة ،أما الموقع الجغرافي لبرشلونة في القسم الثالث من الأندلس ،فإنه تمتد من جبال البرانيس في الشمال إلى بلنسية في الجنوب و من منطقة الثغر الأعلى (سرقسطة ) من جهة الغرب إلى البحر المتوسط من الناحية الشرقية . افتتحها المسلمون سنة 94ه/ 713م في غارة موسى بن نصير لأول الفتح ، و سموها برشمونة ثم برشلونة بلام ثم صارت برسلونة و كان العرب المسلمون يلقبون صاحبها بالبرشلوني أو البرجلوني [1] ، وقد سعى ملوك الفرنجة في غالة إلى فرض سيطرتهم على الاراضي المتاخمة لحدودهم الجنوبية الغربية مع الأندلس من أجل تأمين بلادهم في هذه الناحية، وأضحت هذه السياسة شغلهم الشاغل بعد أن توغل المسلمون داخل غالة ،وهو ما أدى إلى نشأة تحالف فرنجي إسباني في نهاية القرن الثالث الهجري / بداية القرن التاسع الميلادي أي في عهد ألفونسو الثاني (796 828م ) ،إذ تحالف الإمبراطور شارلمان و ابنه لويس التقي(814 840م ) مع ألفونسو الثاني و عناصر البشكنس لتعزيز هجومه ضد الحكم الأول بن هشام ( 180 206ه / 786 828م ) و ابنه عبد الرحمن الثاني الملقب بالأوسط ( 206- 238 ه / 828 852م) و أتى هذا التحالف أكله بسقوط برشلونة في يد الفرنجة سنة 175ه 801م [2] .وتحولت عندئذ إلى قاعدة أمامية للفرنجة داخل أرض الأندلس وأطلق عليها اسم المارك الأسباني ( espanola Mark) والذي عرف أيضا بالثغر القوطي فيما سماه العرب والقشتاليون بمناطق الفرنجة .

---

(1)البكري : المصدر السابق ،ص 96 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج2 ص 215 ، 216.

(2)م بول :المرجع السابق ،ص 30- 31 ؛ برنارد لويس : اكتشاف المسلمين لأوربا ، ترجمة ماهر عبد القادر ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ،1996،ص 12.

غير أن حكم الفرنجة لم يستمر مدة طويلة إذ تعرضت أسسه لهبوب رياح الإنفصال في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي . ذلك أن الفرنجة عندما إنتهت إليهم كتلونيا أقبلوا على تقسيمها إلى سبعة أطراف يحكم كل واحد منه قائد بلقب كونت(conte) يتبع الإمبراطور الفرنجي نفسه ،
وفي سنة 872م إستطاع أحد هؤلاء الكونتات والمدعو غريفا بيلوس (Griva pelos) أن يؤسس لاستقلال كتلونيانظرا لما حازه من مكانة سياسية مرموقة بسبب توليه حكم عدة مقاطعات وهي جرندة (Gironde) وقيت (vich) و مانرسية (manresa) وبرجة (Borgo) و بيرالدة (peralda) و ريباغورس (Ribagorce) و يسردانية (Cerdagnia) و بسالو(besalu) و أميورياس (ampurias)و بالارس (pollars) ، لما سهل عليه في سنة 874م مهمة تحويل برشلونة إلى إمارة مستقلة ، وفي سنة 902م توفي هذا الكونت غريفا بيلوس وتم دفنه في دير ريبول(Ripoel) في مدينة برشلونة ، بعد أن وضع الأسس الأولى لكيان سيستمر بدوره الرائد والثقيل في تعزيز الجبهة المسيحية في شمال الأندلس [1] .

(1)البكري : المصدر السابق ،ص 96 ؛ ابن خلدون : العبر ، ج4، ص260؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج2 ص 215 ، 216؛ لين بول : المرجع السابق ،ص 30- 31 ؛ برنارد لويس : اكتشاف المسلمين لأوربا ، ترجمة ماهر عبد القادر ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة ،1996،ص 12؛ جوزيف رينو : المرجع السابق ، ص105؛نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا،ج1 دون ط و لا تاريخ، ص 150؛ شكيب أرسلان :المرجع السابق ، ج2 ص 217 ، و لتوضيح أكثر أنظر الخريطة رقم 05 الموقع عليها المقاطعات المشكلة لمملكة برشلونة .

## 2/الممالك المسيحية خلال القرن الحادي عشر الميلادي :

### ا/ليون و قشتالة :

اضمحل سلطان الأمويين في أوائل القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي ولم يعد مؤثرا في أوساط الساحة المسيحية في الشمال ،وكان هذا في عهد الملك سانشو (شانجة) الملقب بالكبير ( Sancho III el Mayor) (1000م /1035م)،وفي هذه الفترة دخلت الكيانات المسيحية هي الأخرى مرحلة حاسمة تميزت بالتقلبات السريعة تنذر بتحول المشهد السياسي بهذه المنطقة .لقد جسد ثقل وزن سانشو ملكه العريض الممتدة حدوده من وراء الجبال البرنيس الواقعة على حدود الفرنجة ، إلى سانت ياغو (Santiago) الواقعة في الشمال الغربي على المحيط الأطلسي ،و من بحر بسكونس (Basques)حتى نهر دويرة او نهر دوره (Duero) لما يلي هضبة الجزيرة الوسطى عند وادي الرملة(Guadaramma) الوعر .و شمل حكمه نافار و قشتالة و ليون و أراغون [1]،ولم يرث شانجة هذه الحدود بل انتقلت اليه في ظروف سياسية ترجع بواكرها إلى أواخر القرن العاشر ميلادي وبداية القرن الحادي عشر،حينما كانت الممالك المسيحية ثلاثا أولها نافار [2] ،و هي أكبر الممالك المسيحية رقعة ،لما احتوته من أقاليم عدة ،إذ كانت تشمل فضلا عن الوطن الأم نافار شملت كنتبريا و سوبرابي و روباجورسيا .ونتقل هذا الملك الفسيح لسانشو بعدت كيفيان نسردها كما وردت في النصوص التاريخية .كانت بداية توسع ملك سانشو عند وفات غرسية سانشيز في سنة1000م بعد حكم دام خمسة سنوات يخلفه في الحكم و لده سانشو الثالث الملقب بالكبير.

(1)شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ص 64- 76 ؛ يوسف أشباخ :تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين , ترجمة محمد عبد الله عنان ط2 مطبعة لجنة التأليف و النشر القاهرة 1377هـ 1957م ، ص 9 .ونظر أيضا: JOSE MARIA - LACARRA, Diccionario Historico Español (Madrid 1968),p.42.

(2)(نبرة) نافار بلاد البشكنس Basques عاصمتها بنبلونة Pamplona وتقع نافار شرق مملكة ليون محاذية لجبال البرت التي تقع بين غالة و الأندلس حكمها غرسية شانشيز ؛ البكري : المصدر السابق ، ص79 .

وكان يحكم قشتالة آنذاك غرسية فرناندو (Garcia Fernando)الذي توفي 995 م وخلفه إبنه سانشو غرسية (sancho)حتى سنة وفاته1021م ، فخلفه ابنه غرسية (Garcia) الذي قصد ليون ليتم عقد قرانه بأخت ملكها برموند الثالث (vermudoIII) [1] ، فقتل خلال وجوده في الكنيسة أثناء مراسيم الزواج سنة 1028م إذ قتله أبناء الكونت قيلا (Gila) ، وهم أشراف قشتالة الذين نازعهم غرسية أملاكهم ، و ما أن غرسية لم يترك وريثا للعرش سارع سانشو الكبير إلى احتلال قشتالة بوصفه وريثا لعرشها عن طريق زوجته أخت غرسية كونت قشتالة ،وندب ابنه فرناندو (Fernando) لحكمها ،و أسبغ عليه لقب الملك ،فكان أول ملوك قشتالة و انتقم من آل قيلا قتلة غرسية فأحرقهم برغم من كونه جني ثمار جريمتهم بامتلاك قشتالة[2]. أما ليون فقد تولى أمرها حاكم اسمه برمودو الثاني( vermudoII)منذ سنة(982 999م) ثم جاء من بعده إبنه ألفونسو الخامس (Alfonso v) ، وفي أيامه وقع تقارب ليون وقشتالة وذلك عن طريق زواج ابنته بفرناندو ملك قشتالة على أن هذه المصاهرة لم تؤد إلى درء شر أطماع سانشو الكبير عن مملكة ليون بل استغلها دون تردد لانتزاعها من صاحبها برمودو الثالث( vermudo III ) ،حيث سار هذا الأخير في قوات كثيفة إلى ليون و افتتحها و أعلن نفسه ملكا عليها، و فر برمودو الثالث و أصبح يترقب الفرص لاسترداد عرش أبيه [3] .

ولا شك إن انتصارات سانشو الكبير المتعاقبة ، تعد في الحقيقة مكسبا هاما بالنسبة للجانب المسيحي في شمال الأندلس حيث تشكل بموجبها قطب مسيحي يثقل ميزان قوته في ميدان المواجهة المقبلة مع المسلمين ، لكن هذا الإنجاز لم يطل أمده لأن زعيمه سانشو الكبير لم يكد يحقق الوحدة حتى أدركته الوفاة سنة1035م ، وكانت عاقبتها انفصام وحدة ملكه وتقسيمه بين أبنائه الأربعة، ومن ذلك أصبح ولده الثاني فرناندو (1035 1065م ) ملكا على قشتالة ، ولكن في أيامه واجهت مملكته تحديات صعبة من قبل برمودو الثالث ذلك أن هذا الأخير استرد ملكه و قوية شوكته بعد أن صار ملكا على ليون ومعها جليقية وأستوريس ، دأب على محاولة احتواء قشتالة ليضمها إلى عرشه مما أدى إلى اندلاع

(1) ابن الخطيب :المصدر السابق ،ص 329 .

(2) عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص 364 .

(3) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 75، 76.

* المدينة الإسلامية التي قتل عندها ألفونسو هي مدينة بازو(viseo)والتي تقع في منطقة الغرب (Algarve) وهي ثالث مدنه الرئيسية والتي تعرضت لحركة الإسترداد، أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة .

الحرب بين المملكتين دامت عامين و انتهت باللقاء الحاسم بينهما في موقعه تامارون (Tamoron) الواقعة جغرافيا قرب ليون في سنة 1037م [1] ،و فيها لقي برمودو مصرعه ،و لما مات هذا الأخير دون وريث للعرش فقد استولى فرناندو على مملكة ليون بحكم المصاهرة و الوراثة،و غدا ملكا على مملكة قشتالة و ليون الموحدة ،متخذا لنفسه لقب" الإمبراطور" ،و هو نفس اللقب الذي كان قد لقب به صهره برموندو [2]،استطاع فرناندو خلال معاركه التي خاضها ضد جيرانه النصارى و المسلمين على حد السواء وحقق نجاحا باهرا في هذا الصدد ، إذ تمكن من توسيع مملكته توسعة كبيرة ،كما ضمن الاستقرار أن أخضع بعد ليون ورقاب أشرافها الثائرين عليه والذين أبو الاعتراف بحكمه لقر ابتهم من أسرة برموندو السابقة .وفي زخم هذا الفوز سار على رأس جيش غفير إلى سمورة(Zamora)*الواقعة شمال الأندلس وستولى عليها بعد أن مكث بها المسلمون نحو خمسين عاما. ثم زحف على مدينة بازو الواقعة في شمال غرب الأندلس و انتزعها من أهلها وسترق من نجا منهم من الموت ، كما تمكن من السيطرة على العديد من القلاع ** المتفاوتة الأهمية و أسكن في ربوعها القشتاليين ليكونوا سدا منيعا ضد غزوات المسلمين ، وبذلك نجح فرناندو في إعادة تثبيت حدود قشتالة القديمة عند جبال وادي الرملة ، وأضحى عندئذ يهدد طليطلة و سرقسطة الإسلاميتين بالحصار، بل اضطر صاحبيهما إلى دفع الجزية له مقابل ان يكفل بذلك عونه ضد جيرانهم المسلمين [3].

الواقع أن هذا العدوان لم يمس المناطق الإسلامية بل امتد ليلحق الوسط المسيحي ،إذ لم يتورع فرناندو عن نقل الحرب ضد جيرانه المسيحيين أيضا ،و أول هذه الحروب كانت ضد أخيه غرسية(Garcia) فبعد أن تبادل الطرفان الحيل و الخداع ،دخلا في نزاع مسلح سافر ، إكتسح غرسية أرض أخيه حتى وصل إلى سهل أتابوركا الواقع على مقربة من شرق بر غش وقد رد فرناندو على هذا الضربة الموجعة بأن جمع قوة من القشتاليين والليونيين ،اشتبك الطرفان فجر الأول من سبتمبر سنة 1054م في معركة عنيفة سقط فيها غرسية قتيلا ، و اقتطع فرناندو بعض نواحي نافار على الضفة

(1) أنظر : Ballester (R); Histoire de L'Espagne,Payot, Paris , 1928,p.63 .

(2) ابن الكردبوس: المصدر السابق ، ص 73؛ أشباخ : المرجع السابق ، ص 12.

(3) ابن عذاري ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 238 ؛ أشباخ ،نفسه ،ص 13.

* سمورة من القواعد القوطية تقع على نهر دويره جنوب مدينة ليون ،و آخر من سيطر عليها من المسلمين المنصور ابن أبي عامر سنة371هـ 981م.عبد الله عنان ،الآثار الأندلسية ، المرجع السابق ،ص352.

** من بين القلاع التي سقطت في يد فرناندو قلعة قلمرية الواقعة غرب الاندلس على المحيط الاطلسي ، وحصن قورية على نهر التاجه وقلعة شمنقة وقلعة آبلة وكل هذه القلاع تقع في الشمال الغربي من طليطلة . عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص 17، 446،447.

اليمنى لنهر الإبرو (Ebro) و ضمها إلى مملكته. ومن جانب آخرلم تلبث مملكة أراغون أن تطلعت هي الأخرى إلى فرض نفوذها في ساحة الأحداث بشمال الأندلس ولتحقيق هذه الغاية سعى ملكها راميرو الأول (RamiroI) الإبن الغير الشرعي لسانشو الكبير إلى توسيع نفوذه على حساب نفوذ أخيه فرناندو ، فهاجم المناطق الإسلامية الواقعةفي منطقة حماية فرناندو ،وهي سرقسطة(Zaragoza)ووشقة(Huesca)وتطيلة(Tudela)* التي كانت تدفع له الجزية[1] ، لكن ردا على هذا الانتهاك السافر أرسل فرناندو سانشو ولي عهده على رأس قوة من الليونيين و القشتاليين معززة بجيش من المسلمين و كان أن زحف على قلعة جرادوس (Gradus) الواقعة شمال شرق الأندلس في أحواز الثغر الأعلى التي حاصرها الأراغونيين ،ونشبت بين الفريقين معركة شديدة هزم فيها راميرو وقتل ،كانت هذه الواقعة في 8مايو 1063م على يد المقتدر بن هود صاحب سرقسطة ، وقد أثار مقتله الشعور الصليبي في الأوساط المسيحية ضد مسلمي الثغر الأعلى، وكان من مضاعفات ذلك الحملة الصليبية التي استولت على بربشتر فيما بعد. ولا شك أن هذه الانتصارات الساحقة التي أحرز عليها فرناندو الأول تكرس السلطة والنفوذ والهيبة التي صار يتمتع بها هذا الاخير في الاوساط المسيحية بشمال الاندلس ، إذ اصبح اعظم ملوك هذه المنطقة حيث وحد بين تاجي قشتالة وليون ولقب نفسه بالإمبراطور على شاكلة أبيه سانشو العظيم فكان من مظاهر قوته أيضا تسلطه على المسيحيين والمسلمين الذين فرض على بعض أمرائهم دفع الجزية له كملك طليطلة و اشبيلية و بطليوس (Badajoz) . لكن لم تقف طموحاته عند هذا الحد بل كان يرمي إلى بسط السيطرة على جميع أراضي الأندلس شمالا وجنوبا ، وأكثر من ذلك فإنه أظهر تطلعا شديدا إلى ممارسة دور فعال فيما يجري من تطورات على مسرح أحداث أوربا كالصراع الذي استحكم بين البابوية والإمبراطورية الألمانية** خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر (2).

(1) راميرو الأول (ramiro I) هو الابن الغير الشرعي لسانشو العظيم وقد حكم بعد وفاة والده مملكة أراغون . ابن الكردبوس :المصدر السابق ،ص 76؛ عبد الله عنان: المرجع السابق ،ص 367 .

(2) محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ط1، عين لدراسات ،القاهرة ، 1999 -2000،ص 54 ؛ أشباخ: المرجع السابق ،ص 16 ، 17 ؛ نورمان كانترو : التاريخ الوسيط ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط2، القاهرة 1986، 352،348؛هانس إبرهارد ماير:تاريخ الحروب الصليبية؛ترجمة عماد الدين غانم،مجمع الفاتح ،طرابلس،1990، ص334.

* من مدن منطقة الثغر الأعلى عاصمتها سرقسطةالموغلة في الشمال الشرقي للأندلس قريبة من القواعدالمسيحية.عنان،نفسه،ص113.

**عارض دعاوى القيصر هنري الثالث إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة ، ولم يكتف في ذلك بالاعتراض على صفة هنري الثالث كزعيم للمسيحيين في أوربا ، وصاحب الجزية على جميع ملوكها، و لكنه ذهب إلى حد تأييد الكسندر الثاني(Alexandre II) (1061/ 1073) ضد منافسة البابا هونريوس الثاني في الانتخابات البابوية ، و هونيوريوس هو البابا الذي اختاره الإمبراطور هنري(Henri)سنة(1061م) باعتباره حامي الكنيسة وفقا للحقوق التي أكلت إليه من أبيه .أشباخ : المرجع السابق، ص 17.

عرف عن فرناندو فضلا عن نشاطه العسكري الحثيث بأعماله الإنشائية والدستورية ، فمن الجانب العمراني اهتم بتجديد مدينتي ليون و سمورة ،فسمورة أعاد ترميم قلعتها وتحصينها وجدد أسوارها، و في ليون أنشأ اعدة صروح و كنائس فخمة ، و في عهده وصلت المملكة ليون و قشتالة المتحدة إلى درجة من الاستقرار و الأهمية و التفوق لم تعرفه من قبل [1]، ذلك أن فرناندو عني في فترات السلم بالإصلاحات الداخلية والتي عرفت بسم (Cortes)ففي سنة 1050م أعطيت النواة الأولى للحياة البرلمانية إذ دعا إلى اجتماع كنسي عقد في مدينة ليون اعتبر بمثابة مجلس نيابي ،حضره إلى جانب الملك و الملكة عدد من الكبراء و النبلاء إلى جانب جملة من الأساقفة من بينهم أسقف بنبلونة ممثلا لمملكة نافار ، هدف هذا المجلس لإصلاح من شان الكنيسة التي طوعت في خدمة الملك وعرشه ، و نصت قوانين هذا الاجتماع أو البرلمان كورتيس(Cortes) على ما يلي : العمل في جميع الأديرة بدعوة القديس بندكت ، ويحرم على رجال الدين حمل السلاح و الزواج او شهود مادب الزواج و ابيح لهم ان يحتكوا لاساقفتهم ورهبانهم ، كما حصلت الكنيسة على امتيازات منها أنه لا يمكن الاستيلاء على أملاكها بمضي المدة ، ونظرا لأنه يوجد في بعض المدن مزيج من السكان من مختلف العقائد فقد شدد على وجوب الاحتفال بيوم الأحد كرمز من رموز المسيحية في المنطقة ،كما تم إقرار قوانين قوطية تغلغلت في التشريع المحلي منها تجديد القانون الذي يقرر بان المجرم إذا اصبح على قيد ثلاثين خطوة من عتبة الكنيسة اصبح تحت حماية القضاء الكنسي ،كذلك أمر القوامس الكونتات و نوابهم في القضاء الجنائي و هم المسمون (Merine)أن يحرصوا على تحري العدالة و الحق وفقا لكتب الأحكام القوطية( Benfoctorias ) . وكان هذا الاجتماع فرصة لتوجيه الأمر أيضا على سكان قشتالة وليون لإظهار إلتزم الولاء و الطاعة لفرديناند شانهم من قبل نحو الفونسو و سانشو و و ظ ى العاقبة المرء و العصاة بفقد الشرف و المنصب و النفي من الكنيسة إذ لزم الأمر ذلك.وعلى ضوء هذه النتائج التي أفرزها هذا اللقاء التاريخي يظهر أن الكنيسة لم يقتصر دورها في توطيد أركان الملكية في إسبانيا وتعزيز هيبتها وإنما سعت أيضا إلى توجيه السلطة الزمنية الدنيوية وفق ما يخدم العدالة ومصالحها في ذات الحين .وقد برزت أهمية هذه القوانين أكثر حينما تم التركيز عليها مجددا خلال الاجتماع الذي عقد في سنت ياغو سنة 1065م[2] .

(1)السيد الباز العريني : الحضارة والنظم في العصور الوسطى ، ق1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1991، ص 62 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 373 .

(2) أشباخ : المرجع السابق ، ص 14 ، 15 ؛ هانس إبرهارد ماير : المرجع السابق، ص 12 ، و نظر أيضا: Bartome Bennassar, Histoire de L'Espagne VIe-XVeII siecle, Armand colin, Paris, 1985, p.199.

ومهما يكن من أمر هذه القرارات التي أفرزها لقائي ليون عام 1050م وسانت ياغو عام 1065 م فإنها تعبر عن العلاقة الوطيدة والمتميزة التي أخذت تنسج بين الملكية الإسبانية والكنيسة المحلية .ومن أجل ذلك سعى إلى تحسين سمعتها مما يؤدي حتما إلى تعزيز مكانة مملكته الروحية ، وهو أمر محمود ومهم في ظل هذه العصور الأوربية .وسعيا لتحقيق هذه الغاية اهتم الملك فرناندو بجلب بعض رفات القديسين الذين كانوا قد استشهدوا أيام العهد الروماني الوثني و دفنوا في اشبيلية ، ومن ثمة أرسل بعثة سنة456هـ/ 1063م من اكابر رجال الدين للقيام بهذه المهمة، طلب من بن عباد صاحب اشبيلية أن يساعده في هذا المسعى ، وقد نجحت هذه البعثة في نقل رفات القديس اسيدورو(San Isidoro) وقد كان من الأساقفة أيام القوط في القرن السابع ، فحملت إلى ليون و دفنت هناك باحتفال فخم في الكنيسة التي سميت من ذلك التاريخ باسمه كنيسة سان سيدورو و جرت المراسيم الدينية في أوائل ديسمبر سنة1065م [1]، إن هذه الوثبة الدينية دفعت فرناندو إلى إصلاح شأن الفقراء و الضعفاء في قشتالة وليون و كذا الاهتمام بالكنائس و الأديرة أيما اهتمام و النهوض بأحوالها إذ راح ينفق عليها أموال الغنائم التي حازها من جيرانه المسلمين ،فمنح كنيسة سانت ياغو(Santiago ) قسطا كبيرا منها و التي طال ما قضى فيها أياما يستمد العون و البركة من القديس يعقوب في صلوات و دعوات و خشوع ، و منح كنيسة يوحنا التي كانت عامرة بآثار القديسين التاج و الصولجان الملكي . وقد عرف عن فرناندو أنه لما شعر بدنوي أجله و هو يقول (رباه قد منحتني القوة و الشرف و أنا اليوم أردهما إليك فامنحني غفرانك و رحمتك ) ، يدل هذا السلوك على تدين فرناندو وما اقترف من أعمال شنيعة ضد المسلمين في المنطقة الغربية من الأندلس إنما ينم عن النعرة الدينية الصليبية [2] وفي يوم 27 ديسمبر 1065م توفي فرناندو بعد أن حكم قشتالة سبعة وثلاثين سنة و حكم ليون ثمانية وعشرين سنة .و قبل وفاته بعام وهو في ليون عقد مجلسا للشورى حضره الأساقفة و كبراء المملكة .و أثناءه قرر تقسيم مملكته على

---

(1)الحميري: صفة جزيرة الأندلس ( الروض المعطار )، تحقيق ليفي برفنسال ، القاهرة ، 1937،ص 51؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق ، ص 70؛ عبد الله عنان: المرجع السابق، ص 370 .

(2) محمد مؤنس :المرجع السابق ، ص 65؛ أشباخ : المرجع السابق ، ص 15 .

أبنائه الثلاثة وقد منح سانشو اكبر أولاده قشتالة و السيادة على مسلمي سرقسطة الذين يؤدون الجزية له ،و اختص ألفونسو السادس بليون و أشتوريس و حق الجزية السنوية التي يؤديها أهل طليطلة ،و اختص أصغرهم غرسية بجليقية و المنطقة الغربية التي ضمهما إلى مملتكة و حق الجزية على مدينة اشبيلية و بطليوس ،وأسند حق الإشراف على الأديرة الغنية في جميع المملكة إلى ابنتيه الدونا أوراكا (( Urraca ))و الدونا القيرا (alGira) و اختصت اوركا فوق ذلك بمدينة سمورة و هي قلعة منيعة على نهر دويرة و اختصت أليقرا بمدينة تورو(Toro) [1] ،و بذلك يكون فرناندو قد سقط في نفس الخطأ الذي وقع فيه أبوه من قبل سانشو الكبير إذ أن هذا التقسيم بعد توحيد المملكة عرضها إلى حرب أهلية ، على الرغم لما بذلته أرملة فرناندو من حرص في سبيل الحفاظ على تماسك أطراف المملكة كلها .ذلك أن الوفاق بين ورثة فرناندو لم يعمر طويلا، إذ لم تكد زوجته تلحق به بعد عام حتى بدأت نذر الحرب الأهلية تطرق أبواب هذا الملك العريض [2]، وكان البادئ في إثارة هذه الأزمة هو سانشو أكبر أبناء فرديناند صاحب ليون ، الذي أراد أن ينفرد بحكم المملكة كلها ضاربا بعرض الحائط وصية والده . ، وقد بدأ بمهاجمة أخيه ألفونسو السادس وانتصر عليه في موقعتين الأولى موقعه بلانتادا (PlantodAa)في ليون (18 جويلية سنة 1068م) والتي انتهت بشكل غامض كما يذكر ليفي برفنسال ، وكان الانتصار الثاني في جلبيارش أو جلبخير (Golpe Jera)الواقعة على نهر كاريون في قشتالة في 15 جويلية سنة 1071م وهي غير بعيدة من حصن قريون دي لوس كونديس(Carion de los condis)خربت فيها و ديان ليون و قشتالة و قد أسر ألفونسو السادس وحمل في الأسر المهين إلى سجنه في برغش [3]. لكنه لم يلبث أن نفي إلى طليطلة بفضل مساعي أخته الأميرة أراكا ، و بها لقي الترحاب المطلوب من قبل المأمون بن ذي النون حيث أواه و أجاره ،و أكرمه إذ قدم إليه طائفة من الهدايا الجليلة و يروى أنه صحبه مع أكابر مملكته في موكب ضخم حتى وصل إلى قصره ، و أغدق عليه من ضروب الرعايا و الإكرام.مكث ألفونسو السادس في رحاب الضيافة الإسلامية مدة تسعة أشهر لكن دون أن يهدأ له بال .

---

(1) ليفي بروفنشال: الإسلام في المغرب و الأندلس ،ترجمة محمود عبد العزيز سالم ،محمد صلاح حلمي، راجعه لطفي عبد البديع ،مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، 1990 ، ص5 17؛ أشباخ : المرجع السابق ،ص 18.

(2) أشباخ : نفس المرجع ، ص 20، و أنظر أيضا : Renouvin Pierre, Histoire des Relations Internationales ,T.I, p.84. ؛

(3) ليفي برفنسال : نفس المرجع ، 176 .

حيث انشغل بالتفكير في البحث عن الكيفية المثلى في لاستيلاء على المدينة المحصنة وهو يعيش في إحدى قصورها المطلة على حصون المدينة و يتعرف على نقاط ضعفها وقوا ليتمكن منها يوما ما [1]، أما أخوه الثاني غرسية صاحب جليقية فإنه آثر الفرار إلى اشبيلية ،بينما انقلب سانشو ضد أختيه أوركا و البيرة وغزى أملاكهما و استولى على حصن تورو الخاضع لألبيرة ، ثم طمع في حصن سمورة الذي تملكه أوراكا و البيرة غير أن هاتين الأخيرتين سرعان ما واجهتا هذا الاغتصاب بتدبير ثورة ضد أخيهما سانشو الثاني يؤازرها أتباع ألفونسو ،اضطر سانشو في سبيل إنقاذ الموقف الى القدوم إلى مركز الثورة في حصن سمورة ومحاصرته بنفسه ،و في ذات اليوم من سنة 1072م اغتيل بطعنة رمح عاجله به أحد فرسان المعارضة داخل معسكره بالحيلة . كانت نتيجة اية سانشو أن استدعت أوركا أخيها ألفونسو السادس من طليطلة و نصب ملكا على ليون [2]،و لقي اعترافا تاما بحقوقه الملكية ما عدا بعض الصعوبات التي لقيها في قشتالة ،إذ اشترط عليه أعيانها لقاء توليه العرش أداء القسم في حفل رسمي بأنه بريء من دم شانشو الثاني ، غير أن هذه الأزمة انقشعت وذلك بنزل الفونسو السادس عند رادم ذلك أخر عام 1072 م في كنيسة برغش ، و هكذا عادت المملكة إلى سابق وحدتها على عهد والده فرناندو الاول ، أما أخوه الثالث غرسية فإنه عندما علم بمقتل أخيه عاد من اشبيلية مؤملا رجوعه إلى ملكه بجليقية ،و لكن أخاه ألفونسو السادس قبض عليه و زج به في إحدى القلاع و بقي فيها سجينا إلى أن مات سنة 1090م [3] .و هكذا استطاع ألفونسو السادس أن يجمع الممالك الثلاثة قشتالة و ليون و جليقية تحت سلطانه و اختفى الصراع بعد انتصاره على إخوته جميعا ،و عادت بعدئذ القوة و العزة إلى مملكة ليون و قشتالة من جديد [4] .

(1) ابن الخطيب :المصدر السابق ،ص 330 ؛ ليفي بروفنسال : المرجع السابق , ص 126 ، 127؛ عبد الله عنان: المرجع السابق ، ص 379.

(2) ابن الكردبوس :المصدر السابق ص 76، 77 .

(3)ابن الكردبوس : المصدر نفسه ، 77،الطاهر أحمد مكي: ملحمة السيد ، دار المعارف، ط1، ،القاهرة، 1970، ص 100
ابن الكردبوس :نفسه ، ص 76 ، 77 ؛ونظر أيضا: . Renouvin (P).op, cit,.p. 84

(4)قسم العالم الاسباني مندث بيدال( Menendez - Pidal )عهد الملك ألفونسو السادس( Alfonso VI ) إلى ثلاث فترات:الفترة الأولى 1065- 1072 و هي فترة صراع واضطرابات و الفترة الثانية من 1072 إلى 1086 م و هي فترة عظيمة بلغت مملكته ذروتها باستيلائه على طليطلة من ايدي المسلمين و تلقب فيها بالإمبراطور ولقب ملك الملتين .الفترة الثالثة 1086- 1109 فترات هزائم متتالية على يد المرابطين ومقتل ابنه الوحيد .ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 77.

ب/نافار:

تعد نافار في أواخر القرن العشر الميلادي أواخر القرن الرابع الهجري من أكبر الممالك المسيحية رقعة ،إذ ضمت فضلا عن الوطن الأم نافار أقاليم كنتبريا و سوبرابي و رباجورستيا و كان يحكم هذه المناطق غرسية سانشيز المتوفي سنة 1000م ،و الذي أورث أرضه إلى سانشو الملقب بالعظيم (1000-1035م) ملك نافار و قشتالة و ليون ثمتلقب بالإمبراطور كما سبق ذكره ، لكن هذا الوضع ما لبث أن تغير إذ أن سانشو الكبير قسم مملكته بين أولاده الأربعة قبيل وفاته ، و كانت نافار من نصيب ابنه الأكبر غرسية سانشو و امتدت هذه المملكة من غرب البرانيس إلى منابع الإبيرو [1] ، وقد دافع غرسية على أرض مملكته نافار التي تعرضت لأطماع أخيه غير الشرعي راميرو صاحب أراغون ، الذي أراد أن يوسع من مملكته على حساب مملكة نافار فهاجمها سنة 1042م في قوات كبيرة ، لكنه هزم هزيمة نكراء على يدي أخيه غرسية في موقعه نافار ، وهذا النصر زاد من أطماع غرسية[2].الذي لم يلبث أن اندفع في سلسة من الحروب ضد قشتالة تحركها رغبته الجامحة في احتواء أملاك أخيه فرناندو الذي يحكم مملكة مترامية الأطراف تضم قشتالة و ليون و جليقية ، والواقع أن غرسية أراد أن يحقق مبتغاه دون سفك للدماء وذلك عن طريق أسر فرناندو أو اغتياله ، وقد اقتضت المكيدة أن يتظاهر بالمرض ثم بعث إليه يرجو رؤيته فبادر فرناندو بتلبية هذه الرغبة بيد أنه علم خلال سيره حقيقة الكمين ، فارتد مسرعا إلى برغش عاصمة ملكه دون أن يعلم بذلك غرسية ، و ارتأى عندئذ التفكير في تدبير مؤامرة يرد بها على اخيه انتقاما مما ذهب إليه في حقه [3] .

---

(1) ابن الكردبوس:المصدر السابق، ص 75 ونظر أيضا : Ballester(R), op. cit.,p. 59; Bartome Bennassar ,op, cit., p.198. ، أنظر الخريطة رقم05.

(2)شكيب أرسلان :المرجع السابق ، 323؛ أشباخ : المرجع السابق ، ص 9.

(3) أشباخ : المرجع نفسه ، ص 14 .

بنى فرناندو خطته على دعوة أخيه غرسيةإلى زيار ته ببرغش . ولم يتردد هذا الأخير في الاستجابة لهذا الطلب فسار إليه دون أن يساوره أي شك، و لكنه لم يكد يصل إلى أرض قشتالة حتى قبض عليه و زج به في إحدى قلاعها الحصينة ،وقد بقي في معتقله وقتا قصيرا حيث فر منه وعاد إلى نافار ،ومن ثم تعقدت الأزمة بين الأخوين فرناندو و غرسية ، وباتت المواجهة المسلحة بينهما أمرا محتوما . ردا على مؤامرة أخيه أغار غرسيا على أراضي قشتالة بعد أن استعد لأمر بعقد حلف مع أخيه راميرو عدوه القديم ، الذي أمده بفرق من جيشه إضافة إلى عدد من جند المرتزقة [1] ، و حشد من جنده و أمده المقتدر بن هود صاحب سرقسطة بفرقة من جنده و دخل بجيشه القوي إلى أرض قشتالة ، كان أخوه فرناندو في تلك الأثناء يحشد من جانبه سائر قواته من قشتالة و ليون و استمر غرسية في سيره حتى وصل إلى سهل أتابوركا (Atapoerca) ، والذي يقع على مقربة من شرق عاصمة قشتالة برغش (Burgos) ،حاول فرناندو درء الحرب مع أخيه إذ بعث إليه اثنين من كبار القساوسة يحاولون إقناعه بعقد الصلح و حقن الدماء فصرفهما غرسية ورفض الصلح ، و في فجر الأول من سبتمبر 1054م اشتبك الجيشان في معركة عنيفة لكن سرعان ما دب الخلل في جيش غرسية إذ غادرته فرقة كبيرة من الفرسان الناقمين إلى المعسكر الأخر ،و شن فرسان ليون على النافاريين هجوما عنيفا سقط فيه غرسية قتيلا ، و انتهت المعركة و أمر فرناندو أن يوارى جثمان أخيه الثرى في منتهى التكريم [2].

اختار فرناندو ابن أخيه الصغير سانشو الرابع ليتربع على عرش نافار و أعلن الملك الجديد من جانبه طاعته المطلقة لعمه الذي ترك له مملكته و لم يقتطع منها شيئا سوى بعض النواحي من ضفة الإبيرو اليمنى من منطقة زيوخة ((rioga))و بوريا ((bureia)) [3] .

و حاول ابن فرناندو سانشو ملك قشتالة عقب وفاة أبيه عام 1067م أن استولى على جزء من استوريش و على الجزء الذي غنمه

---

(1). ؛ أشباخ : المرجع السابق ،ص 14ونظر أيضا . ;Ballester(R), op. cit.,p. 64

(2) أشباخ : المرجع نفسه ، ص 15 .

(3) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 75 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق ،ص 366 , 367.

أبوه من نافار ، أن ينتزع من ابن عمه سانشو الرابع ملك نافار بعض المدن الإبيرو العليا فلم يفلح ، بل هزم في موقعه فيانا (Fiana)عام 1067م ، و استمد سانشو الرابع قوته من مناعة جباله و تعلق شعبه به ، بيد أنه لقي مصرعه على يد أقرب الناس إليه وهما أخويه ريموند(Rimond) و أرمزندة (Armiganda) [1] ، ذلك أن ر�وند و أرمزندة أسوة �ا فعله ألفونسو السادس و أوراكا ضد سانشو ملك قشتالة الذي قتل نتيجة مأمرة حيكت ضده ،على أمل تحقيق مكاسب سياسية في نافار فقاما باغتياله ، فحدث أثناء الصيد أن الملك كان يراقب من صخرة عالية مصرع خنزير بري فانقض عليه أحد الفرسان وأرداه قتيلا سنة1076م ،لكن النافاريين سخطوا لهذه الجريمة أيما سخط و استدعو سانشو الثاني ملك أراغون من أجل تعيينه على عرش نافار ،واستدعى ريموند ملك قشتالة ألفونسو الذي سار إلى نافار من أجل استثمار ما قام به ، فزحف عليها من ا�هة الغربية و سار إليها سانشو راميرز من الناحية الشرقية و تفقا على اقتسامها ، بالرغم من وجود ولدي الملك القتيل القاصرين فاستولى ألفونسو على الجهة المحاذية لنهر الإبيرو و هو أكبر القسمين و فيه العاصمة بنبلونة و فر ريموند قاتل أخيه إلى أمير سرقسطة ، و أما ولدا سانشو الرابع فقد أبقاهما ألفونسو في ليون لينشأ في بلاطه ، و بذلك اختفت مملكة نافارة ا�ستقلة و أدى اختفائها إلى نمو مملكة أراغون ، و اتساع رقعتها اتساعا كبيرا مما يؤهلها فيما بعد أن تلعب دورا كبيرا في تعزيز وتوحيد ا�بهة ا�سيحية في الشمال [2].

---

(1) محمد محمود النشار: علاقة مملكتي قشتالة و أراجون سلطة المماليك (658 741هـ / 1260 1341م) ،ع� للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية الجماهيرية الليبية ط1 1997ص ، 30 ؛ أشباخ : ا�رجع السابق ،ص 23 .

(2)أشباخ : المرجع نفسه ، ص 24، أنظر : Claudio Sanchez-Albornoz, Viejos y Nuevos estudios Sobre los I institnciones Medivoles Eespanolas , espasia calpe ,s, A , Madrid ,1976, p. 1132 , 1133 . ؛ Pierre Renouvin .Op, cit,p.84.

ج /أراغون ((Aragon)):

سبق أن سانشو الكبير قد قسم المملكة قبيل وفاته بين أبنائه الأربعة وأوجبه خص ابنه غير الشرعي راميرو برقعة ضيقة تمتد بجوار نافار من باب شيزروا جنوبا تسمى مملكة أراغون وذلك سنة1035م .كانت هذه الولاية لا تشكل ثقلا سياسيا في الساحة المسيحية وتعتبر ولاية غير هامة و صغيرة في مستهل نشأتها الأولى ، تكونت من الأراضي المستردة من المسلمين جنوب جبال البرانيس[1] .كما ذكر أنفا أيضا أن تقسيم المملكة تلته سلسلة من الحروب الأهلية بين الملوك الأخوة من أجل توسيع رقعة ممالكهم ، و كان رميرو أول من سار في هذا النهج حيث تولى مملكة سوبرابي الصغيرة الواقعة في وسط البرانيس ، بعد مقتل أميرها كونزالو غيلة أثناء عودته من الصيد سنة 429هـ / 1037م فاختار اهلها راميرو امير اراغون ليخلفه ، في حكم الولاية و بهذا اتحدت الإمارتان في مملكة واحدة، و لم يعارض راميروا أحد من إخوته إذ كان فرناندو ملك قشتالة مشغولا بتنظيم مملكته الكبيرة و تقويتها ،وكان غرسية ملك نافار غائبا يحج إلى روما،فضلا عن ذلك كان شعب سوبرابي هو الذي تعلق بر ميرو و آثره على حكم هذه المقاطعة النائية [2] .طمع في الاستيلاء على المملكة نافار لكن لما كانت موارده و وجيشه قاصرين على تحقيق مشروعه الكبير ، استعد لذلك بعقد حلف مع جاره أمير سرقسطة ابن هود على أن يمده ببعض قواته ، زحف راميرو بقواته إلى نافار و اقتحم حدودها لكن قلعة تاقالا (Tagala) اعترضت سيره فحشد غرسية قواته و سار إلى تاقالا ،و هاجم الجيش المغير فاضطربت صفوفه و انهزم الأراغونيون و لم يتمكن راميرو من الخلاص إلا بصعوبة ، ففر ناجيا بنفسه مع نفر من صحبه و أبيد معظم جيشه بين قتيلا و أسيرا و قتل معظم حلفائه من المسلمين ووقعت هذه المعركة سنة434 هـ/ 1042 م [3] .

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص 328 .

(2) محمود النشار: المرجع السابق ، ص 30- 31 .

(3) دوزي : ملوك الطوائف ، تعريب كامل كيلاني ،دار المعارف ، القاهرة ، 1967 ص 231 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق ،ص 365 .ونظر أيضا : DOMINGUEZ ORTIZ, ANTONIO, Y BERNARD VINCENT, Historia los Moriscs, (Madrid 1978),p.67.

بعد هذه الهزيمة النكراء قفل رميرو عائدا إلى اراغون لتفرغ لإصلاح وتنظم شؤونها، وكذا بحاوز عثرة الكارثة التي أضرت بسمعة عرشه بشكل كبير وفي إطار هذا المسعى اهتم رميرو بتشكل جيش جديد يكون على مستوى طموحه ، كما عني بتنظيم شؤون الكنيسة و شيد العديد منها و حقق الرهبان في عهده نفوذا قويا ، وكان ذلك في اجتماع جاقة سنة 1060م الذي يعتبر البرلمان الأول في هذه المنطقة ، شهده الملك والأساقفة و ولي العهد و عدة من أشراف و كبراء أراغون و فيه اعتبرت جاقة مركز اسقفية ، و أخرج الكهنة من اختصاص القضاء المدني و تقرر أن يرسل إلى روما عشر إيراد الدولة ، سواء من المال أو المحاصيل و كذا عشر الجزية المحصل عليها من مسلمي سرقسطة و تطلية ، و هدد المخالفين بعقوبة النفي الديني أو تعرضهم لقرار الحرمان من قبل الكنيسة الأراغونية ،و الظاهر أن الذي حمل راميرو على التزامه بهذه الجزية لروما هو تخوفه من فرناندو إذ تصبح أراغون بذلك تحت حماية الكنيسة في روما ، لكن هذه الخطوة استفادة منها الكنيسة في روما وجعلتها وسيلة أو سند يعتمد عليه البابا جريجوري بعد ذلك لمطالبة الممالك المسيحية كلها بأداء الجزية لروما [2]، كما سعى راميرو إلى الحرب مع فرناندو بعد أن علم سيره إلى اشبيلية و خشيته من نجاحه الذي سيزيد لا محالة من قوته التي بدأت تتضخم ونفوذه الذي بدأ في الاتساع ، الشيء الذي سيجعله أكثر خطرا على الممالك البرينية الصغرى ، ولتدارك ذلك أخذ رميرو ينقض على الممالك الإسلامية التي تدفع الجزية لقشتالة ، فسار راميرو بجيش كبير من أجل محاولة الاستيلاء على بعض اراضي المسلمين المجاورين له في سرقسطة و وشقة و تطلية ، التي كانت تدفع الجزية إلى أراغون ثم تحولت عنها لتغدو تابعة لملك قشتالة القوي و لم يلق رميرو كبير المعارضة في البداية لأن المسلمين ولم يحكموا أمر مواجهة العدوان

(1) أشباخ :المرجع السابق 16؛ عبد الله عنان: المرجع السابق ص 365.

(2) محمد مؤنس عوض :المرجع السابق ، ص65؛ إبراهيم طرخان : المسلمون في أوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ، 1976، ص268.ونظر أيضا: Dominguez Ortiz, Op, cit,p.84

وهذا على الرغم من دعوة النجدة التي وجهوها عند بداية الغزو الأراغوني لملك قشتالة فرناندو صاحب السيادة والجزية على مسلمي هذه المناطق [3] ،لكن في هذا الظرف بالذات كان فرناندو منهمكا في حملته على إشبيلية وحتى لا ينقطع عنها أرسل بدلا عنه ولي عهده سانشو على رأس قوة من الليونيين و القشتاليين و فرق من المسلمين و لم يلبث هذا الجيش أن زحف على قلعة جرادوس (Grados) ،التي كان يحاصرها الأراغونيون و نشبت بين الفريقين معركة شديدة هزم فيها رميرو و قتل سنة 455هـ/ 8 مايو سنة 1063م ، و تولى ولد الملك القتيل سانشو "شانجة" عرش أراغون و استطاع بمؤازرة شعبه أن يحمي حدود مملكته ضد النصارى و المسلمين على حد سواء [1] و لم يكتفي سانشو ابن رميرو بحماية أرضه بل سار على آثار أبيه في توسع مملكته ،إذ تولى عرش نافار بعد مقتل سانشو الرابع ابن غرسية صاحب نافار سنة 1076م، إذ سار سانشو من الناحية الشرقية و تفاهم مع ألفونسو السادس ملك قشتالة على اقتسام نافار و بذلك اختفت نافار مملكة نبرة المستقلة و نمت أراغون و اتسعت اتساعا ملحوظا [2] .

---

(1) ليفي برفنسال :المرجع السابق ، ص 175؛ أحمد مكي : المرجع السابق ، ص 98.ونظر أيضا :
Lucien clare;Le Moyen Age Espagnol , Libraire Armand colin, Paris,1972,p.25.
Claudio Sanchez-Albornoz op; cit;p.1132,1133

(2) ليفي برفنسال : المرجع نفسه ، ص 175؛ أحمد مكي : المرجع السابق ،ص98 ؛ أشباخ: المرجع السابق , ص 16.ونظر أيضا:
Defourmeaux (M),les francias en Espagne x I et xII siecles, paris,1969, p.75.

(3) أشباخ : المرجع السابق ، ص 17 ، 24 .

## د/برشلونة:

كان يحكم هذه الإمارة آل بوريل في أوائل القرن الحادي عشر ميلادي /القرن الخامس الهجري .قام بيرنجر ريموند الأول (berenguer Ramon I) (1018- 1035م ) في مطلع القرن11م ميلادي بتقسيم مملكته بين أبنائه الأربعة ، وكان أكبرهم الملقب بالشيخ رامون برنجير الأول عن أل برنجير ويطلق عليه اسم المسن أو الكبير(el viego) أو القديم (el antigue) ،والذي حكم بين سنة 1035/ 1076م [1]، استلم مقاليد الحكم في برشلونة و اتسعت مملكته اتساعا كبيرا و أصبح منافسا قويا لقشتالة على السيادة و السيطرة على مسلمي الأندلس خاصة في المناطق الشرقية ، إذ غزا مرسية (Murcia) سنه 467هـ/ 1074م و سلخ منها أراضي على الضفة اليمنى للممر لوبرجات ،و فرض الجزية على صغار أمرائهم و استطاع أن يزيد في قوة إمارته إذ ضم إليها أورخل ثم ضم إليها ولاية قرقشونة( cassone Car)الواقعة في الركن الشمالي الشرقي من الأندلس ،على مشارف البرانيس و قرقشونة من المدن البرينية الغالية ، حيث اشتراها ريموند من الكونت روجر الثالث سنة 1067م ،إذ أعادت هذه المناطق الصلة بين غالة و كتالونية بعد أن انقطعت لعدة عقود ، و أصبحت هذه المناطق مهمة للممالك المسيحية إذ نزح منها الكثير من الفرسان الغاليين و النورمان و الايطاليين يحدوهم روح صليبية إذ هرعوا في سريات كبيرة لمساعدة امراء الممالك في حروبهم ضد المسلمين ، و اعانوهم في تحقيق اعظم الفتوحات ،بدأت تظهر المساعدات الأوروبية و بشكل حاسم بعد دعوة البابا اسكندر الثاني 1093/1061م إلى الحروب المقدسة ، ووجه دعوته في سنة 1063م للسلطات الأوروبية لتشكيل فرق عسكرية لمحاربة المسلمين في سائر أنحاء شبه الجزيرة الإيبيرية ، و بدأ بذلك تشكيل جيوش مسيحية من سائر أوروبا لإعانة إخوانهم المسيحيين في اسبانيا لطرد المسلمين ، والواقع أن هذه الصرخة حققت استجابة واسعة [3] .

(1) البكري: المصدر السابق ، ص 96 ؛ عبد الله عنان : ملوك الطوائف ، المرجع السابق ،ص 393.

(2) أنظر: . Defourmeaux,op,cit ., p. 143

(3) ابن الكردبوس: المصدر السابق ، ص 70؛ محمد محمود النشار: المرجع السابق ص 30 ،31 ؛ محمود سعيد عمران : حضارة أوربا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت ، 1998، ص 82. ونظر أيضا :
Bartome Bennassar,op,cit .,p .198..

في أنحاء أوربا المسيحية وأخذت فرق المحاربين الأوربيين عقب صدورها تنهال على ساحة الأندلس ،تقودها زعامات من الطراز الثقيل في المجتمع الإقطاعي ،وكانت أولى هذه الجماعات هي تلك التي جازت إلى الأندلس عبر مدينة برشلونة لمحاربة المسلمين في بربشتر شمال سرقسطة سنة 1064م /456هـ ،ومن الزعماء الذين انضموا إلى هذه الحملة العسكري،ممثل عن البابا غليوم دي منتري(de Montreuie Guillaume) [1]،ولاشك أن لهذه الوثبة الصليبية أثرها الناجح والفعال في تعزيز الجانب المسيحي في الأندلس ،لكن ما كان لتتحقق هذه الغاية لولا التغير الإقليمي الذي أحدثه رامون برنجير الأول الشيخ ، والذي أدى إلى عودة الجسر بـ غالة وكتالونيا، وقد تمسك هذا الاخير بهذا التوجه دون كلل او تقاعس ،ولما توفي خلفه ولداه برنجير و ورامون على حكم برشلونة ،على أن يتولى أمرها معا ولكن الخلاف ما لبث أن نشب بينهما ،وانتهى الأمر بالاتفاق على أن يتناوبا الحكم وفي سنة 1082م قتل رامون واتجهت الشبهة إلى أخيه ، برنجير الذي حكم المملكة برشلونةسنة1082م و كان له مدخل في الحروب الأهلية بـ المسلمين وانتزع منهم طركونة ؛ وقد وصل إلى المشرق مشتركا في الحروب الصليبية ،و خلفه ابن أخيه الذي تلقب بريموند بيرنجه الثالث(1092 1131 )،وفي زمانه بلغت برشلونة قمة عزها و مجدها ،إذ صار لها اسطولها الذي بفضله توسعت بحارتها في البحر المتوسط .كما شهدت برشلونة إصلاحات على عهد أسرة آل بوريل،فقد رآى رامون برنجير الأول الشيخ أن القوانين القوطية التي تطبق في المملكة لم تعد تتفق مع سير الأحوال ورأى أنه من الضروري إمكان تعزيزها بقوانين أخرى جديدة ،ومن ذلك عقد في مدينة برشلونة سنة1068م جمعية حضرها كبار رجال الدولة .وأسفر اللقاء عن وضع مجموعة من القوانيين سميت بعرف برشلونة (Usages de Barcelona) [2].

---

(1) عن الشخصيات القيادية التي إستجابت لدعوة البابا أذكر منها الكونت بلدوين دي فلانس( el conde Bolduino de flandes )،الذي كان وصيا على فليب الأول ملك غالة كما دخل البارون روبرت كرسبن ( Robert crecpin )قائد جيوش غالة و ممثل ولايتي نورمانديا و اكتيانيا ،و لم يختصر الأمر على شخصيات غالية بل تعداه إلى شخصيات مسيحية أخرى على رأسهم جيوم دي منتروي(Guillaume de Montreuie)حامل شعار البابوية الذي أرسله البابا عن الفرسان الايطاليين، وجي جيو فروا قائد جيوش بواتيه و بوردو ابن الكردبوس: المصدر السابق ، ص 71،70 .

(2) عبد الرحمن: المصدر السابق ،ج4، 185 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج2 ،ص 218 ، 219 ؛ السيد الباز العريني : الحضارة والنظم في العصور الوسطى ، ق1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1991 ،ص18 ؛ أميريكو كارلس : حضارة الإسلام في إسبانيا ، ت ، سليمان العطار ، دار النشر والتوزيع ، 1983،ص48،40 ؛ عبد الله عنان ، ملوك الطوائف ، المرجع السابق، ص394،393.

الذي أقر فيه ا□لك ر□وند بر□ار وزوجته وواحد وعشرون من كبار الحاضرين في هدا الاجتماع وجوب التطبيق .ما ورد في هده اللائحة إلى جانب القوانين القوطية أو (القانون القومي) .هذا وسعيا إلى ضمان الاستقرار حاول ر□وند ا□د من حق القوة الذي كان يلجأ إليه الفرسان في غاراتهم وذلك بواسطة فرض مبدا الهدنة الإلهية" la paix de dieu"* السائد في هذه الفترة ، ولإقرار هذا الغرض نظم الملك جمعية أخرى حظرها كبار أعيان ا□ملكة والأحبار و□ثلو ا□دن ،

وهذا اللقاء يعد أول جمعية أوربية مثلت فيها الطبقة الثالثة ،وتوجت أعمالها بإقرار حق اللجوء إلى الكنيسة في حالة استعمال العنف ،وتقرر أيضا الحرص على البر بالمساكين وحماية الفلاحين من ظلم الأقوياء والفرسان ا□عتدين [1].

هكذا توجت التطورات السياسية والعسكرية لشمال الأندلس بقيام □الك مسيحية رغم معارضة ا□سلم□ له .

لكن لم يأتي هذا الإنجاز إلى الوجود إلا بعد مخاض عسير وصعوبات جمة ، كانت نتيجته تغيير وجه الخريطة السياسية لهذا الإقليم ،و الإعلان عن بداية صفحة تؤشر إلى حتمية أفول التواجد السياسي والديني للمسلمين في ربوع إسبانيا بكاملها .

---

(1) أشباخ : المرجع السابق، ص25.

*السلام الإلهي يقضي بحياد الأماكن المقدسة ورجال الدين والأطفال والعجزة، و(الهدنة الإلهية Trève de Dieu) التي تمنع الحرب في أيام محددة من الأسبوع كالسبت والاثنين وأيام الأعياد. وكان لانتشار المسيحية تأثير في التوفيق بين دول أوروبا، أدى إلى قيام أسرة دولية مسيحية تخضع لسلطة البابا, وقد ساعد على توطيد هذه الفكرة الإسلام وتهديده بانتزاع السيادة على العالم من المسيحية. السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص 21.

## 3/الملامح الإدارية والحضارية للممالك المسيحية :

على الرغم من المشاكل والتعقيدات السياسية التي واجهت عملية قيام وتطور الممالك المسيحية في شمال إسبانيا ، فقد ظل الاهتمام بالبناء الحضاري الطابع المميز لانشغالات حكام هده المنطقة المسيحية .

ومن ثمة ظهرت العناية لدى الملوك لبلورة اسس الدولة ، وتنظيم مؤسساتها بما يكفل لها القدرة على تاكيد ذاتها، وضمان استمرارها في وسط لا مكانة فيه لضعيف .

### ا/ الملكية:

ساد الممالك المسيحية نظام وراثة العرش يلتزم فيه الملك بتقسيم المملكة بين أبنائه قبل الوفاة تجنبا لأي نزاع في المستقبل ،ويعد ألفونسو الخامس أول من وضع الأسس لهذا النظام سنة1027 ، و قد عرفت الملكية في شمال إسبانيا تطورا ملحوظا ، حيث انتقلت السيادة فيها من أسر مختلفة في كل من نبرة و قشتالة و ليون إلى أسرة واحدة و هي أسرة شانجة الكبير ملك نافار ، ما عدا المملكة برشلونة و التي كانت تولي وجهها تلقاء جنوب غالة ( فرنسا ) ،ومع ذلك فإن هذا الواقع السياسي المفروض لم يؤدي إلى الاستقرار المنشود والمطلوب في جميع الأحوال ، وإنما حول المنطقة إلى مرتع لصراع بين الأشقاء مما جعل منها بؤرة توتر حاد في أكثر الأحيان ، ومن جراء هذا الوضع ظلت الساحة الإسبانية تتأرجح بين الاضطرابات أحينا والسكينة والاستقرار أحيانا أخرى [1].

لقد تميزت الحياة السياسية في شمال إسبانيا خلال القرن الحادي عشر بهيمنة الملكية على جميع مناحي الحياة ،حيث جمع الملك بين يديه السلطة الكاملة في السلم والحرب ،فهو قائد الجيوش العليا والمشرع للقوانين ،و يتراس المجامع الدينية والمجالس النيابية من اجل تنظيم شؤون المملكة وضبط سياستها الداخلية

---

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق ، ص 325؛ دوزي : المرجع السابق ، ص 79؛ أميريكو كارلس :المرجع السابق ، ص 48،40 ؛ ليفي برفنسال : المرجع السابق ، ص 175؛ أحمد مكي :ملحمة السيد ، ص98 ؛ إبراهيم طرخان :المرجع السابق ، ص268.

وكانت هذه المجالس تضم كبار النبلاء و الأساقفة . ويظهر من خلال هذه المؤسسة حرص الملكية على إلزامية جري العدالة و الحق ،كما فعل فرناندو أثناء مجمع ليون الذي نظم شؤون الكنيسة وأمر رجالها بالعمل بدعوة القديس بندكت* ، و من ذلك حرم على رجال الدين الزواج و حمل السلاح و حضور مآدب الزواج ، و أمر الكونتات و نوابهم في القضاء الجنائي و هم المسمون الميرين (Merine) ، أن يحرصوا على جري العدالة وقد طبقت في ليون و قشتالة قوانين تلزم السكان بإظهارالولاء و الطاعة لفرناندو، وقضى بمعاقبة العصاة و المجرمين والمخالفين بفقدان الشرف ، و اهتم الأمير رميرو هو الأخر بإصلاح أوضاع مملكته فأنكب على تنظيم شؤون الدولة و الكنيسة و اتمع على حد سواء ، وكذا بالنسبة لبرشلونة فإنها سارت على هذا المنوال الحضاري ، و بذلك أصبحت الممالك المسيحية تحت سيطرة ملوكها بعد أن خضع لهم النبلاء و رجال الدين خضوعا مطلقا[1] .

ب/النبلاء:

خضع النبلاء خضوعا مطلقا للملكية في القرن الحادي عشر ميلادي ،إذ تقلص نفوذهم مقارنة بالقرن الذي سبقه،ففي في القرن العاشر الميلادي استطاع عدة نبلاء السيطرة على أقاليم و بسط نفوذهم عليها مثل النبيل أزوار ، الذي ظهر في منطقة نافار و حكم ما بين 780 إلى 799 م ، و نصب نفسه أميرا عليها ، و جونثالث الذي أقام دولة مستقلة واستطاع أن يفرض نفوذه على مملكة ليون و نافار ، أما في القرن الحادي عشر و في ضل حكم الأسرة الواحدة، تم القضاء على نفوذ النبلاء إلى حد كبير و يرجع ذلك إلى عاملين اثنين [2] .

(1)أ ليفي برفنسال : المرجع السابق ، ص 177؛ أحمد مكي : المرجع السابق ، ص101 ؛ أشباخ : المرجع السابق ، ص 113 ، 126 .

(2) ابن الخطيب :المصدر السابق ، ص 324 ؛ عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس : المرجع السابق ، ص27 ؛ لين بول: المرجع السابق ،ص 215 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق،ج2 ، ص 123.

*يعرف أيضا باسم القديس بنوا st.benoit ولدي حوالي 480م .يعتبر المؤسس الأول لنظام الديري أو الرهبنة في عرب أوربا في القرن السادس الميلادي ومن قواعده الفقر والعزوبية والطاعة .لمزيد من المعلومات ارجع إلى : عاشور ( سعيد عبد الفتاح ) : حضارة ونظم أوربا في العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1976، ص 361 -364.

يتمثل العامل الأول في للإصلاحات التي اعتمدها الملوك ، حيث سنت قوانين في كل من قشتالة و أراغون و برشلونة أدت إلى تقليص من نفوذ النبلاء ،كإلغاء قانون حق استعمال القوة والذي كان يسمح للقوي بأن يقتضي بنفسه على أساس العنف ،كما نبذت ظاهرة الرشوة بموجب هذا الإصلاح في مجال التقاضي والتي تؤدي إلى إبطال الحكم في حالة اكتشافها . و بهذه القوانين تم القضاء على نشاط بعض النبلاء الذين ارسون أعمال النهب و السلب ،التي يعتبرونها ضرائب مشروعة لهم من التجار و المسافرين و اجاج [1] ، أما العامل الثاني في إضعاف قوة هذه الطبقة فإنه يعزى إلى ظهور طبقة جديدة من النبلاء جراء الصراع استمر مع اسلم وهم أبناء ازارع وصغار الملاك و الأهالي الذين ارتفعت مكانتهم إلى مرتبة الفرسان و ولوا بذلك إلى نبلاء[2]. وغدت صفة النبالة سهلة المنال وفي متناول ،كل من تلك سلاحا وجوادا ا جعل النبلاء القدامى بالوراثة ينصبون العداء والكراهية فازدادت صولتهم ضعفا و ايارا في المجتمع المسيحي المحلي.

و الواقع أن النبيل في المجتمع الإقطاعي كان مقيدا بجاه الملك بمجموعة من الالتزامات، إذ اقتضى بأن يمثل إلى بلاط الملك متى دعي إلى ذلك و يقدم فروض الطاعة و الولاء ،و يؤدي ما عليه من ازية نصيبا مفروضا ، و إذ لم يحافظ على عهده جاز للملك أن يقضي عليه بفقد الشرف و بالتالي فقد إقطاعه ،و كانت في تقاليد القصر الملكي أمثلة رمزية على الولاء و الطاعة للملك ،إذ كان يخدم الملك على المائدة حين توليه العرش أربعة من أكرم النبلاء في المملكة ، و هو تقليد رمزي إلا أنه ينم على الطاعة اطلقة لهؤلاء النبلاء للملك.لكن لم يتوان الملوك في ضرب المخالفين لهذه الالتزامات الإقطاعية بيد من حديد،فالك فرناندو صاحب قشتالة قد صب غضبه الشديد على أشراف ليون الثائرين الذين أبو الاعتراف بحكمه و تم إخضاعهم و نفيهم من الملكة، وهذا في الوقت الذي كانت إسبانيا تشهد وفود أعداد كبيرة من نبلاء أوربا للمساهمة في حركة الاسترداد[3].

(1) أشباخ: ارجع السابق ،ص 130 .

(2)شكيب أرسلان : ارجع السابق ،ج1 ، ص 327- 328 .

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا في العصور الوسطى ، مكتبة الألو مصرية ، ط10 ، 1986،ص 541، 542 ؛ أشباخ: نفس ارجع ،ص 12 ، 123 ، 126 ؛محمد مؤنس عوض : ارجع السابق، ص 65. ونظر أيضا : Bartome Bennassar,op,cit.,p.199.

## ج/ رجال الدين :

اشترك رجال الدين في المجالس التي دعا إليها الملوك من اجل تنظيم شؤون الكنيسة و الدولة معا. و مالت الكنيسة إلى الاتحاد مع الملوك و تأييد سلطتهم المطلقة ، و أصبحت الكنيسة تعمل في خدمة الملكية و توطيد هيبتها و توجيه السلطة لتطبيق العدالة ، و كانت المحصلة هي الحفاظ على مصالح الكنيسة و سلم و رخاء الممالك النصرانية ، إذ في الأول تحصلت الكنيسة على امتيازات كثيرة في مقدمتها أنه لا يمكن الاستيلاء على أملاكها بمضي المدة ، و إعفاؤها من الجزية ، و إعفاء رجالها من الضرائب إذ صار على قيد ثلاث خطوة من عتبة الكنيسة إلى القضاء الكنسي، التشديد في الاحتفال في يوم الأحد نظرا لوجود مزيج من السكان من مختلف العقائد يهود و مسلمين ، و تحريم الأكل مع اليهود والسكنى معهم و أصبح رجال الدين كتبة الملك يكتبون له الوثائق و الأوامر و المعاهدات ، كما كان لهم دور بارز في إذكاء الحروب الصليبية ضد المسلمين[1]،ومارس الرهبان أنشطة اقتصادية مثل التجارة واحتكروا بيع بعض المنتجات دون سواهم في بعض المناطق مثل بيع النبيذ و الأقمشة و الأسماك و الأخشاب، فلا ينافسهم فيها أحد، و يعاقب المخالفون بالمصادرة و الغرامة ، و بوقوف رجال الدين إلى جانب الملوك ضد النبلاء تحصلت فائدة كبرى للمجتمع ، إذ عم السلم و الرخاء و أصبح التجار و الحجاج و النساء في مأمن من بطش النبلاء ، كما تم استئصال الخرافات و السحر من عقول الناس الشيء الذي مهد لقيام نهضة علمية على عهد الفونسو العالم* فيما بعد [2] .

**د/ المناصب الإدارية:** أولها القوامس و هو قائد مدني إقليمي يباشر القضاء المدني و الجنائي يعاونه نواب و يتولون تنفيذ الأحكام الجنائية سموا فيما بعد(Alguaciles) و ثم رئيس(Mogorino) يقضي في المواد الجنائية و ينفذ أوامر الملك ،كانت بطانة الملك الذين يعينونه في الحكم يدعون رجال الخاصة(polotini)وكانت المناصب مشتقة من أسماء قوطية بيد أنه كان ثمة تقليد مشتق من النظم الفرنسي كمنصب الوزير الأول المسمى محافظ القصر(mojordonius)الذي لم يكن يتمتع بسلطات كبيرة

(1) ابن الخطيب: المصدر السابق ص ،324 ؛ محمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الشرقية ط1 القاهرة،1374 1953 ، ص138؛ سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ،ص438.

(2) أشباخ : المرجع السابق ، ص 13 ،113 ، 132.

*ولما ولي عرش أسبانيا الملك " ألفونسو العاشر" الملقب بالعالم أو الحكيم el sabio في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي (7 هـ)، دفع بمدرسة "طليطلة" إلى الأمام، وعمل على حمايتها ورعاية علمائها، وتشجيعهم على الاستمرار في أعمال النقل والترجمة. بل إنه شارك بنفسه في وضع الخطط التي يسيرون عليها ولقد اتسمت هذه النهضة بظاهرة جديدة تقوم على استخدام اللغة القشتالية (الأسبانية) مكان اللغة اللاتينية في تدوين المصنفات الأدبية والتاريخية والفلسفية.أشباخ: المرجع نفسه ، ص 132.

لأن ملوك إسبانيا كانوا يباشرون الحكم بأنفسهم، وهناك مجموعة أخرى من الوظائف يقوم عيها الجهاز الملكي الحاكم ،منها وزير الحرب الذي يسمى حامل السلاح(Ramiger) ،و قاضي المنيات الأعلى يسمى(Majorinomi palatii) ،والذي يدبر الشؤون المالية والمشرفون على الاقتصاد يدعى (Oecononii) ، ويتولى إعداد المراسيم و الوثائق المسجلون الملكيون(Notarii)و كانوا في الغالب من رجال الدين [1] .

## هـ/ الإقطاع :

ساد على غرار معظم أوربا الغربية النظام الإقطاعي* في الممالك المسيحية ، و رمزه هو الخضوع الظاهر لأحكام الإقطاع، أما اليمين التي يؤديها صاحب الإقطاع إلى الأمير فهي ضمان لإخلاصه و اعترافه بأنه يضع أرضه و أتباعه تحت تصرف الأمير ، ففي أثناء الحرب ينتظم مع أتباعه في الجيش و في السلم يمثل في البلاط متى دعاه الملك كان الإقطاع وراثيا ويدعى (Honor) .كان مجتمع الإقطاعي ينقسم إلى مراتب متعددة فالدوق أو الوالي(consol)هو التابع الذي يحكم الولاية برمتها مثل جليقية أو شتوريش أو ألبة، و يليه في المرتبة الكونت أو القومس (comes)، و هم أصحاب المناطق من أتباع الملك و لما كان هذا النظام عسكريا في جوهره فقد كانت هذه المراتب يحتفظ بها في الحرب تحت اسماء اخرى ، فالدوق أو الوالي يقود الجيوش التابعة للولاية و يسمى قائد ، و يقود الكونت فرقته و يعتبر قائدا محليا ، كان كبار الملاك يقطعون الاقل منهم بعض الاراضي يزرعونها على ان يؤدوا لهم نسبة معينة من الدخل ، و يعتبر المزارع نفسه مالكا للأرض يزرعها ويورثها أبنائه من بعده ، و لكنه كان ملزما بالإقامة فيها فإذ غادرها إلى منطقة أخرى فقد الحق في امتلاكها [2] .

(1)نور الدين حاطوم : المرجع السابق ، ص 149؛ أشباخ : المرجع السابق ، ص 123 .

(2) الطاهر أحمد مكي : المرجع السابق ، 184؛ جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطى وحضارتها، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1987،ص48 ؛كانين رايلي : الغرب والعالم ، تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ، ج1 ، ت ، عبد الوهاب محمد المسيري ، وهدى عبد السميع البحاري ، الكويت ، 1985، ص 586.

*هو نظام معقد في هيكله ظهر خلال القرن التاسع الميلادي ،نتيجة عوامل افرزتها الظروف السائدة في اوربا في هذه الفترة ، منها الحروب الأهلية الدائرة بين حلفاء الإمبراطور شارلمان والأزمة المالية التي ضربت الدولة الفرنجية ،وكذا ضعف شخصية الحكام بعد شارلمان ، ثم الغزوات الخارجية على أراضي الإمبراطورية الكارولنجية في القرن التاسع والتي أحدثت هولا رهيبا داخلها .قام هذا النظام على أساس الأرض ، كما بني على مجموعة من الواجبات والالتزامات المتبادلة بين السيد الإقطاعي seigneurوتابعه vasslc .عن تفاصيل هذا الموضوع راجع سعيد عبد الفتاح عاشور :نظم أوربا ،ص 379.وما بعدها.

و/ الحياة الاقتصادية :

قام اقتصاد الممالك المسيحيةعلى تربية الماشية ، لكون هذا النشاط يناسب طبيعة المناطق ،وواكب هذا النشاط نشاط تجاري يقوم على تجارة الصوف، والتي كانت رائجة خاصة في مناطق قشتالة ومدنها ، كما مارست هذه الممالك تجارة العبيد الصقالبة ، والتي كانت لها سوق رائجة هي الأخرى خاصتا مع الأندلس إبان الدولة الأموية ، إذ لعبت مناطق نافار وبرشلونة دور الوسيط التجاري بين غالة والأندلس ،وتحولت هذه المناطق إلى نقاط ارتكاز لها ، وكان الصقالبة يجلبون من مناط أواسط أوروبا خاصة مناطق البلقان ، ثم ينقلون إلى غالة حيث يتم خصؤهم ثم نقلهم نحو الممالك المسيحية ثم إلى قرطبة حيث كان الطلب عليهم كبيرا في خدمة القصور ، كانت هذه التجارة مصدر رخاء كبير لمدن على رأسها مناطق نافار خاصة مدينة بنبلونة ، وبرشلونة ، ولا شك أن تجارة العبيد هذه ازدهرت بشكل كبير في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي ، جراء سقوط عدة مدن إسلامية أندلسية في هذه الفترة ، وقدر عدد الاسرى بها بالالاف ، نقل العديد منهم خارج الممالك المسيحية لكل من غالة وإيطاليا وغيرها من المناطق [1]، ساهم المسلمين الذين بقو في الممالك المسيحية وبعض المستعربين الذين نزحوا من الجنوب نحوا الشمال وبعض اليهود في تطور الزراعة والصناعة وتنشيط حركة التجارة خاصة في مملكة أراغون ، وكانت برشلونة مركزا هاما لتصدير عدد كبير من المنتوجات الزراعية مثل اللوز ، و إعادة تصدير المواد الزراعية والصناعية القادمة من المناطق المجاورة ، مثل الأسلحة والجلود والأقمشة وجميع ما تحتاج له السفن ، كما ضلت قشتالة تعتمد على تصدير الصوف كدخل رئيسي لكل من الأندلس الإسلامية ومناطق غالة في الشمال ، بعدما تمكنت من تحسين الصوف الخام نتيجة تهجين نوع من الخراف المغربي المعروف بسم مرينو mérinos ،إلى جانب هذه التعاملات التجارية المربحة شكلت الجزية التي يدفعها المسلمون في الأندلس بعد ضعفهم ، عاملا هاما في نمو الثروة لدى الشمال المسيحي . وكانت قشتالة خاصتا في عهد ألفونسو السادس تدر ما يزيد عن ثمانين رطلا من الذهب سنويا ،وقد صارت الجزية التي تدفع في أوقات معلومة مصدر ربح هائل لممالك المسيحية، بل تمثل أكبر دخل لها وكانت هذه التعاملات كلها تتم في إطار العملة العالمية السائدة في هذه الفترة وهي الدينار البيزنطي ، كما جرى التعامل أيضا بعملة قرطبة المعروفة بدينار قرطبة ، فيما ارتبطت نسبيا بعض مناطق ممالك شمال إسبانيا بالعملة التي سكها الإمبراطور شارلمان والمعروفة بدينار غالة [3] .

(1)ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص371؛المقري : المصدر السابق السابق ، ج2 ،ص 464؛ عادل سعيد بشتاوي : الأمة الأندلسية الشهيدة تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة ط1، المؤسسة العربية لدراسات والنشر بيروت 2000،ص 78 ، أحمد مكي دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ط4، دار المعارف القاهرة ، 1994، ص18.

(2)ابن عذاري : المصدر السابق، ج3، ص 279،228؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق، ج1، ص 426؛ الطيبي :النقود العربية و انتشارها و أثرها في أوروبا في القرون الوسطى ،دراسات وبحوث في تاريخ الغرب و الأندلس ، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، رقم 48،الرباط ،1995 ، ص332،324, عادل سعيد البشتاوي : المرجع نفسه، 78،

**لاشك** ان مساهمات الممالك المسيحية في شمال الاندلس في المجال الحضاري ، والذي سبق ذكر جانب منها ، تقر بان هذه المنطقة الأوربية لم تكن دار حرب وعدوان فحسب **، بل اهتم حكامها أ□ا** اهتمام بتوفير المكونات المطلوبة والضرورية لبناء دولة **وما ي تطل ا من مؤسسات حضارية ناجعة ، مستغلة** في ذلك العوامل والظروف المحلية والإقليمية ، بما يضمن لها الفوز والسؤدد و البقاء

# الفصل الثالث

الفصل الثالث : حركة الاسترداد

I / العوامل المساعدة على الاسترداد :

أ/ضعف الكيان السياسي للأندلس الإسلامية :

ب/ عصر دول ملوك الطوائف وعوامل الضعف فيه:( los reyes de taifas )

ج/ سياسة إضعاف ملوك الطوائف

II/ ميدان حركة الاسترداد :

1/الجهة الغربية :

2/الجهة الشرقية والوسطى :

أ/سقوط بربشتر ( Barbastro ) :

ب/ سقوط طليطلة :

- أهمية طليطلة :
- العوامل المساهمة في سقوط طليطلة :
- سقوط طليطلة ونتائجه :

ج/ سقوط بلنسية :

- الإطراب السياسي ببلنسية:
- سقوط بلنسية ونتائجه :

III/ موقعة الزلاقة ونهاية عهد الطوائف:

## حركة الاسترداد: ( Reconquista )

تعتبر حركة الاسترداد محطة هامة في تاريخ الأندلس،إذ توقفنا على أحوال إحدى أحسم صفحات العلاقة بين الشمال المسيحي والقوى الإسلامية السائدة في وسط وجنوب الأندلس، وتشكل أيضا هذه الحركة المسيحية ذات الطابع الهجومي العنيف ، البداية الجادة والمنظمة لمشروع ستكون نهايته الحتمية تصفية الحكم الإسلامي بلا رجعة في هذا القطر الأوربي البعيد .

يقصد بحركة الاسترداد ذلك العدوان الذي شنته الممالك المسيحية ضد الكيان الإسلامي ،المتمثل في قوى ملوك الطوائف،في محاولة لإعادة الأندلس إلى الحظيرة المسيحية ،وقد نجحت هذه الممالك نجاحا حقيقيا في هذه الحركة تمثل في إسقاط عدة مدن إسلامية .

والواقع أن الجذور التاريخية لحركة الاسترداد ترجع إلى بداية الفتح الإسلامي لهذه البلاد،وذلك في عهد بلاي و أعوانه من فلول الجيش القوطي ، الذين نظموا أنفسهم وحاولوا التصدي لزحف الإسلامي صوب مناطقهم في الشمال وأخذوا في توسعة مناطق تحصنهم [(1)]، لكن حركتهم كانت تتسم بالبطء الشديد ، لا تنشط إلا في حالات الاضطراب للدولة الإسلامية ، غير أن في عصر ملوك الطوائف نضجت هذه الحركة وفرضت نفسها ،حيث اتسع ظلها وتعززت وسائلها واركانها واعتمدت في إستراتيجيتها على مخططات شاملة محكمة ، فحققت بذلك نجاحات كبرى من خلال اعتمادها على جملة من العوامل المتداخلة والمترابطة والتي شملت الطرفين المسلم والمسيحي [(2)].

---

(1)ياقوت الحموي : المصدر السابق ،ص 311 ؛ المقري: المصدر السابق ، ص 350؛ محمد زيتون : المرجع السابق ، ص 413.

(2) ابن عبد الحكم : المصدر السابق ، ص 285 ؛ مؤلف مجهول : المصدر السابق ،ص 224 ؛ علي حبيبة : المرجع السابق ، ص 419 ؛ مختار العبادي : المرجع السابق ،ص 292 .

## ا/العوامل المساعدة على الاسترداد :

تضافرت جملة من العوامل المختلفة يمكن حصرها في الجوانب السياسية والدينية و الاقتصادية كما سيأتي عرضها ساهمت في دفع عجلة حركة الاسترداد

### 1/ضعف الكيان السياسي للأندلس الإسلامية :

لم تكن الأندلس الإسلامية إقليما واحدا منسجما ،بل تشكلها مجموعة أقاليم متعددة لكل منها مقومات خاصة ، يشبه هذا الوضع السياسي والحضاري إلى حد بعيد الأنظمة القديمة السائدة في بلاد اليونان والرافدين .فقد كان الأندلسي المقيم في الثغر الأعلى أو الساكن في مرسيه او بلنسية لا يكاد يحتاج إلى للإلمام بقرطبة،إذ يجد في بلده كل ما يحتاج إليه من مطالب الحياة المختلفة ، فطالب العلم يصل في بلدته المقيم فيها إلى أقصى درجات العلم على يدي شيوخها ، وحتى على الصعيد العسكري فلكل منطقة قوة عسكرية تحميها من جيرانها ومن عدوان السلطة المركزية ايضا ، وفي اوقات الازمات كان الأمراء يستعينون بقوة الأقاليم ،كما فعل الأمير عبد الرحمان(206- 238هـ/822- 852م)إذ استعان برجال الثغر الأعلى عندما أغار النورمان على الأندلس (2) .

إن هذا الواقع السياسي والحضاري قد عزز شعور الانفصال لدى كل إقليم ، واندلع الصراع بين السلطة المركزية والزعامات المحلية و دام أوآره زهاء اثنين وستين عاما ،و بلغ الصراع مداه أواخر القرن الثالث الهجري أواخر القرن التاسع الميلادي ، وذلك في عهد الأمير عبد الله بن محمد ابن عبد الرحمن (275- 300هـ)،حيث واجه حكمه مرحلة صعبة وحرجة من جراء انفجار ثورة المولدين والعرب وتعرض الحكم أثنائها لامتحان حاسم ، بعد أن تفاقم خطرها وظهرت الزعامات العربية والبربرية في عدد من نواحي الأندلس ،وسارت معظم مدنها في طريق الانفصال عن عاصمة الإمارة قرطبة .

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ،ج3 ص106 ؛ عبد الجليل عبد الرضا: عصر ابن زيدون ، في مجلة الكتاب العددان 11- 12، دار الحرية ، بغداد، 1975، ص234.

(2) ابن القوطية : المصدر السابق، ص59 ؛ حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص37.

لكن يحسن حظ العرش الأموي أن يمكن الأمير عبد الله من إخماد هذه الثورة وإنقاذ العرش من وهدة السقوط،وقد حرص الخلفاء من بعده أمثال الخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ثم الخليفة المستنصر بالله و حاجب الخليفة هشام المؤيد الذي يدعى المنصور بن أبي عامر*( 366 - 399هـ) على سحق كل عصيان أو حركة إنفصال محلية ،سواء كانت عربية أو صقلبية و حافظوا بذلك على وحدة الأندلس [(1)] .

أما في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي فإن الأندلس افتقرت إلى الرجل الكفء والقادر على صيانة هذه الوحدة ،حيث أخذت الإدارة تتوزع بين الزعامات والعصبيات القبلية ،وخاصتا لما توفي المنصور ابن أبي عامر خلفه على تولى الحجابة ولداه هما على التوالي عبد الملك بن المنصور( المظفر بالله ) (392 - 399هـ)، وعبد الرحمن بن المنصور الملقب (بشنجول)* .

لقد سار عبد الملك أثناء عهدته على سياسة أبيه المنصور، بينما الثاني أقدم على فعل ما لم يسبق لأسلافه أن تجرؤوا عليه ، وهو أخذ ولاية عهد الخلافة لنفسه ، فخضع الخليفة هشام لضعف حاله له ، و جعله وليا لعهده وتلقب بالناصر و ذلك سنة 399هـ/1008م [(2)] .

---

(1)ليفي بروفنسال : حضارة العرب في الأندلس ،ترجمة ذوقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة بيروت ص76.نسيم حسبلاوي :الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية 138 - 422هـ/756 - 1031م ، مذكرة ماجستير ، إشراف محمد الأمين بلغيث ، نوقشت بجامعة الجزائر سنة 2000 - 2001 ، غير منشورة ، ص7 - 12.

(2) عبدالله عنان : ،المرجع السابق 12.ونظر أيضا : Clément Francois,Origines Ethno-Culturelles et pouvoir dans l'éspagne Musulmane des Taifas (Ve-XIe siècles), Paris , Mélanges de la casa de Velasquez, 1993.P.193-206.

*هو حاجب الخليفة هشام تولى هذا المنصب سنة (366 - 399هـ) سيطر على دواليب الحكم في الخلافة الأموية سيطرتا مطلقة. اعتمد المنصور ابن أبي عامر على تقوية نفوذ البربر ، لكن هذه السياسة كانت لها نتائج عكسية إذ أدت إلى تفجر الأوضاع ،حينما حاول البربر الحفاظ على امتيازاتهم المحققة على حساب العناصر الاخرى وعلى راسهم الاسر العربية التي ظلت تتحين فرصة الظهور و استرداد مكانتها و زعامتها القديمة، أسفر ذلك على صراع بين القوى المختلفة و أضحت الأندلس الكبرى مقسمة إلى دول صغيرة متنافسة لا تجمع بينها رابطة تعرف بسم دول الطوائف . عبد الواحد المراكشي :المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة الثقافة ، الرباط 1938، ص 43.

* هو تصغير للفظ سانشو وهو اسم جده الذي تسمى به من أمه sancho ملك نافار ، وكان المنصور قد تزوج ابنته التي اعتنقت الإسلام ،وأنجبت له عبد الرحمن الذي أطلقت عليه أمه هذا الاسم إحياء لأبيها .ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 66.

أثار هذا العمل استنكار وغضب البيت الأموي مما أدى به إلى إظهار العداء السافر ضد عبد الرحمن ( شنجول ) ،هذا الموقف كان إيذانا بدخول البلاد في مرحلة قوامها الأزمة والفتنة ، أسفرت عن انقسام المسلمين إلى فرق . التف أحدها حول بني أمية أصحاب الخلافة المغتصبة فيما انضوى الفريق الثاني تحت لواء عبد الرحمن والممثل في طوائف البربر التي تحاول الاحتفاظ برياستهم وامتيازاتهم ، و الأسر العربية المضطهدة الراغبة في استرجاع زعامتها القديمة ، وكذا مجموعة الفتيان الصقالبة أو الفتيان العامريين الذين استطاعوا انتزاع نصيبا من السلطة فيما سبق و يودون الإبقاء عليها ،ودامت الفتنة بين الفرقاء مدة عشرين سنة ،انجر عنه سقوط الخلافة سنة 422هـ/1030م[1]،وجاءت الفرصة الملائمة للمغامرين الباحثين لأنفسهم عن مقاطعات تتسع لرغباتهم وأطماعهم ، يمارسون فيها سلطتهم بواسطة العصبيات المتغلبة على الاقاليم المختلفة ،ساعدتهم في ذلك العوامل الجغرافية التي عزلت بعض المناطق وجعلت منها وحدة طبيعية منفصلة، ففاز البربر برياسة المناطق الجنوبية للوادي الكبير , وفازت الأسر العربية بالعديد من القواعد الاندلسية الكبرى ، واستطاع الفتيان العامريين ان يبسطوا سلطانهم على معظم المناطق الشرقية ، وكان هذا التمزق انعكاس لتنوع الأعراق في الأندلس واختلافها ، فأهل الأندلس يتألفون من أخلاط متنافرة من السكان بعضهم عرب وبعضهم بربر و بعضهم صقالبة و بعضهم مستعربين و يهود ومولدين* ، وكانت كل هذه العناصر تميل إلى التكتل ،وتتخذ لها مناطق عمرانية خاصة بها [2]، فترى العنصر الغالب على قرطبة(Cordoba )العرب و العنصر الغالب في اشبيلية( Sevilla ) وطليطلة(Toledo )من المولدين ،والعنصر الغالب في غرناطة(Granada )و قرمونة(Carmona) و مالقة (Malaga) من البربر[3]،مما زاد في العصبية والتنافر والتنازع،كل ذلك عززه شعور الناس بالانفصال وجعل أمر الوحدة عسيرا و شاقا وبعيد المنال . وقد أفرز هذا التمزق في بلاد الأندلس ميلاد عصر جديد طبعه مشهد سياسي غير مستقر ،عرف عند المؤرخين بعصر دول الطوائف أساسه النفور والتخوف السائد بين أفراد المجتمع الأندلسي على الرغم مما يربطهم من رباط الدين والأرض والوطن [4].

(1) ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،تحقيق كولان وليفي بروفنسال ،ج3 ،دار الثقافة ،لبنان ،ط3، 1983 ،ص59 ؛عبد الله عنان :المرجع السابق ،ص12؛ عبد الجليل عبد الرضا ، المرجع السابق ،ص 234.

(2) الطاهر المكي: دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1993، ص 18.

(3) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص ،72،70 .

(4) علي حبيبة : المرجع السابق ،ص 231،330،229؛ أنظر الخريطة رقم 7.

*المولدون هم نتاج تزاوج الفاتحين من العرب والبربر بالنساء المحليات الإسبانيات .

**I/ عصر دول ملوك الطوائف وعوامل الضعف فيه :( los reyes de taifas )**

دام عصر ملوك الطوائف في الأندلس الإسلامية زهاء ثمانين سنة أي من سنة (399 هـ 1009م ) إلى سنة(479هـ 1086م ) وهو تاريخ سقوط طليطلة بيد ألفونس السادس، عاشت أثناءه الأندلس مرحلة الاضطراب والفتنة والحرب الأهلية المدمرة ، انبثق عنها ما بين ثلاث وعشرون دولة أو دويلة، اقتسمت البلاد إلى إمارات صغيرة لا تتعدى المدينة التي قامت فيها ،وإمارات كبيرة واسعة مترامية الأطراف على رأسها متغلب ،وهذا دون أن تنعم بحدود ثابتة بل تتسع وتتقلص وفق الظروف المعاشة ، وقد تشكلت هذه الكيانات حسب الأحداث الحربية.دخلت بلاد الأندلس بحكم هذا الانقسام عهدا جديدا ثقيل الظل على أهلها ، غاب فيه الاستقرار و لا انسجام بين مكوناتها السياسية، مما أثر سلبا على وزن وهيبة الدولة الإسلامية إقليميا ومحليا .يجسد هذا الانقسام المؤلم قيام نحو عشرين مملكة أو دويلة، توزعت عبر الأراضي الإسلامية بالوسط والجنوب الأندلسي [1]، وتأتي في مقدمتها مملكة بنو جهور في قرطبة،وهي أشهر هذه الممالك أقام فيها جهور بن محمد بن جهور والمكنى أبو الحزم سنة 432هـ/1040 ينتمي جهور إلى أسرة ذات باع كبير في السياسة أمدت الحكم الأموي بالعديد من الوزراء ، واشتهر هو أيضا بخبرته في الرياسة فحقق سياسة العدل ، فأحسن تدبير قرطبة مدة حكمه التي دامت أربعة عشر سنة ، وبعد وفاته خلفه ابنه الوليد لكن إمارته سقطت في يد ابن عباد بعد أن تظاهر بحمايته لها ومؤازرته لبني جهور على أعدائهم ، كما كانت اشبيلية المستقلة عن قرطبة منذ عام 414هـ/1023م كبرى إمارات الطوائف ، والتي امتد ملكها من شرق الوادي الكبير إلى المحيط الأطلسي غربا و الجزيرة الخضراء جنوبا ،محافظة على امتدادها وبقت متماسكة إلى أن سقطت في أيدي المرابطين سنة 483 هـ/1090م ، كان عليها أول الأمر القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي [2]، ثم إمارة بني هود بسرقسطة(Zaragoza) عاصمة الثغر الأعلى استقلوا بها سنة 432هـ/1040م وأول أمرائها سليمان بن هود تلقب بالمستعين وابنه بالمقتدر، أما البربر فقد أسسوا إمارة في غرناطة ومالقة حكمها بنو برزال الصنهاجيين وهم فرع من الدولة الزيرية الصنهاجية* التي

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ، ج3 ،ص 59؛ المراكشي : المصدر السابق ، ص 231 ؛ عبد الجليل عبد الرضا : المرجع السابق ، ص 234 ؛ الطاهر المكي:المرجع السابق ، ص18 ؛ أنظر الملحق رقم 02.

(2)ابن الكردبوس: المصدر السابق، ص74، 76.ونظر أيضا: . Clément François,op.cit. pp.192-206-20

*يقول ابن خلدون عن صنهاجة انها اوفر قبائل البربر لا يكاد قطر من اقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل او بسيط حتى لقد زعم كثير من الناس انهم الثلث من امم البربر ، من طوم تلكانة مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وإفريقية والأندلس وهم أهل مدر، وكان الملك في صنهاجة في طبقتين: الطبقة الأولى منها تلكانة ملوك إفريقية والأندلس والثانية مسوفة ولمتونة من الملثمين المسمون بالمرابطين .ابن خلدون: المصدر السابق، ص 264.

قامت في المغرب الأوسط بعد رحيل الفاطميين إلى مصر فاستقدمهم الخلفاء الأمويون إلى الأندلس خدمتهم و الاستقواء بهم في وجه العصبية العربية .ولما سقطت الخلافة الأموية استقل بنو زيري بغرناطة سنة 410 هـ/1019م و,كان آخر أمرائهم عبد الله صاحب كتاب التبيان،وقد استأثر بنو ذي النون بمدينة طليطلة حيث اقاموا بها إمارتهم بعد إعلان استقلالهم سنة 435 هـ/1043م،و طليطلة هي عاصمة الثغر الأوسط مواجهة للممالك المسيحية ، يرجع نسب بنو ذي النون إلى أصول بربرية فهم من قبيلة هوارة المغربية*، خدموا الدولة العامرية وكان جدهم الذي ينتسبون زنون بن سليمان ، أما بنو الأفطس فقد تربعوا على عرش بطليوس (Badajoz ) سنة 413 هـ، وهم كذلك من أصل بربري وينسبون لقبيلة مكناسة و إن كانوا يدعون انهم ينتمون لقبيلة تجيب العربية، كانت مملكتهم تشمل رقعة كبيرة تمتد من غرب مملكة طليطلة إلى المحيط الأطلنطي و الجهة الغربية من الأندلس(1)، ثم بنو رزين في شنتمرية ( SantaMaria ) وأما الموالى العامرية فقد كان حكمهم في شرق الأندلس بالمرية AlMeria ومرسية (Murcia ) و بلنسية(Valencia) ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل تطلع وزراء أمراء الطوائف وبعض حكام مدنهم إلى الحكم هم ايضا ، نتيجة النفوذ والحظوة التي وجدوها واستطاع بعضهم تحقيق ما أراد ، حاول الوزير ابن عمار أن يؤسس إمارة له بمرسية سنة 471هـ والخروج على طاعة المعتمد بن عباد ، وذلك بعدما سيطر جيش المعتمد عليها بقيادة ابن رشيق ، سار ابن عمار(2) وتولى الحكم فيها نيابة عن سيده ثم استبد بها ، استطاع ابن رشيق طرده منها بعدما اغلق ابواب المدينة في وجهه ، وكان نصيب بن عمار القتل على يدي المعتمد بعدما سلم له، واستولى ابن رشيق على حكمها باسم المعتمد ،لكنه سرعان ما خلع طاعته و استبد بحكم مرسية واستمر يحكمها عدة سنوات، إلى أن عبر المرابطون وخلعوا أمراء الطوائف ومن بينهم إبن رشيق سنة 484هـ ،كما سيطر أبو عيسى بن عبد العزيز بن لبون وهو أحد وزراء المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة،على حصن مربيطر*(Murviedro )الذي يقع في شرق الأندلس غير بعيد عن بلنسية(3) .

(1) الأمير عبد الله: التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس 1955. ص4 ؛ المراكشي:المصدر السابق، ص، 71،70؛ ابن حزم:جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص 464، 465 ؛ابن الخطيب: المصدر السابق، 176. ابن الكردبوس: المصدر السابق، 75.

(2)هو ذي الوزارتين الأديب والشاعر المغامر أبو بكر بن حسن بن عمار المهري الشلبي وزير المعتمد،انتهى أمره إلى ما ذكرنا انظر ابن خاقان :قلائد العقيان في محاسن أهل الزمان ، ت محمد الصباغ ، القاهرة ، 1283.

(3) ابن بسام : المصدر السابق ، طبعة الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا، ج2،ق 1 ، ص 602 . 608 ؛ عبد الواحد المراكشي :المصدر السابق ،ص72،70 ، 73،75 ؛ الأمير عبد الله: المصدر السابق ص 97؛ ابن الكردبوس: المصدر نفسه، ص 82،

* يعد هذا الحصن خمسة وعشرين كيلومتر من بلنسية وهو عبارة عن مدينة صغيرة واقعة فوق تل على البحر المتوسط . محمد عبدالله عنان: لآثار الأندلسية الباقية ، المرجع السابق ،ص 98.

*بنوهوّارة ، سادة وأصحاب شأن في شمال إسبانيا، تولوا القيادة العسكريّة في قرطبة وطليطلة وسواهما من المدن الأندلسية ، ومنهم كان محمد بن أبي عون الهواري، مؤسس مدينة وهران،قال بن خلدون: "ثم أجاز منهم إلى الأندلس مع طارق، رجالات مذكورون واستقروا هنالك، وكان من خَلَفهم: بنو عامر بن وهب أمير رندة أيام لمتونة (المرابطين)، وبنو ذي النون الذين ملكوها من أيديهم، واستضافوا معها طليطلة. وبنو رزين أصحاب السّهلة". بن خلدون: المصدر السابق ،ص 412.

إن هذه الاوضاع السياسية الجديدة ادخلت الاندلس الإسلامية في مرحلة مظلمة لا نهاية لها كان طابعها القلاقل والاضطرابات حيث نشبت بين ملوك الطوائف حروبا مستمرة لم تنقطع طيلة وجودهم ، تغذيها الأحقاد والصراعات المادة على مناطق النفوذ ،باشر بنو عباد أصحاب اشبيلية سياسة إضعاف البربر والحد من سلطانهم ،خاصة بعد أن توجسوا خيفة من أن تصبح غرناطة مقصدا للقبائل البربرية الآتية من المغرب الباحثة عن أرزاقها في الأندلس [1]،

وقد بدأت هذه السياسة تأتي أكلها في عهد الأمير عبد الله بن بلكين ملك غرناطة ، إذ استولى المعتمد بن عباد على معظم أجزاء مملكة غرناطة ولم يبق منها سوى العاصمة وبعض أرباضها، بعدما كانت مملكة غرناطة تتوسع في عهد باديس بن حبوس* الملقب بالمظفر بالله جد الأمير عبد الله ،والذي ضم إليها المرية التي انتزعها من زهير الصقلبي الذي كان من أخص الفتيان العامرين ،و احتلوا بعض القواعد الأندلسية الشرقية . فقتله باديس سنة 429 هـ ، وضمت المملكة غرناطة إليها منطقة وادي آش* (Guadix ) التي انتزعها باديس من ابن عمه المدعو صمادح ،وانفق على حربها ست بيوت من المال ،ولم يتسن له أخذها إلا بمساعدة بني ذي النون أصحاب طليطلة ،

كما إفتتك الأمير باديس مدينة مالقة ( Malaga )من أيدي بني عباد سنة449 هـ ، لكن هذا المجهود الحربي لباديس ذهب أدراج الرياح في عهد حفيده الأمير عبد الله ، الذي فكر في الاستعانة بالمسيحيين عن طريق المامون بن ذي النون ،الذي لولا مساعدتهم إياه هو الاخر ما ظفر بقرطبة .التي شكل استيلاء بني ذي النون عليها من المعتمد بن عباد سنة 467 هـ نصرا معنويا كبيرا ، بعدما انتزعها المعتمد فيما مضى بدوره من بني جهور سنة 462هـ ، كان لهذا الحدث فائدته لغرناطة التي زال عنها الخطر الإشبيلي وباشر أميرها عبد الله بن بلكين غاراته على أرض ابن عباد وعاث فيها فسادا [2].

(1) ابن عذارى :المصدر السابق ص274،275.

(2) الأمير عبد الله : المصدر السابق ، ص55 58.

*تولى حكم إمارة غرناطة إثر وفاة والده حبوس بن ماكسن سنة 428هـ/1036م توفي سنة 465هـ/1073م .كان أعظم ملوك البربر في عصر ملوك الطوائف .الأمير عبد الله ، المصدر السابق، ص 55.

*مدينة إستراتيجية بنسبة لغرناطة ، قريبة منها تبعد عنهامسافة ستين كيلومتر لها قصبة و أبراج ذات قوة وحصانة، من يسطر على هذه المدينة يوشك أن يسطر على غرناطة . عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية الباقية ، المرجع السابق، ص 215.

ومن مظاهر هذه الفتنة في الأندلس أيضا دخول بني ذي النون بعد نصرهم على المعتمد في صراع مع بني هود حكام سرقسطة على وادي الحجارة وما جاورها من مدن ،ودامت الحرب بينهما من سنة (435هـ 438 هـ) ولما مات سليمان بن هود ، و زال خطر سرقسطة على طليطلة بدأ المأمون بن ذي النون يحظر نفسه لتوسيع مملكته على حساب أملاك بني الأفطس ببطليوس [1]، وفي هذه الآونة كانت علاقة اشبيلية متوترة مع مملكة بني الأفطس ببطليوس بسبب المناطق الحدودية ،والتي قامت من أجلها الحرب بين الطرفين سنة421 هـ/1030م ،حيث استعان بنو الأفطس ببني عمومتهم من بربر قرمونة لكنهم هُزِموا هزيمتا ساحقة ، وبلغ عدد القتلى في صفوفهم ثلاثة آلاف ،كانت الخسارة فادحة لدرجة ان بطليوس بقيت مدة من الزمن اغلب سكانها من الشيوخ والاطفال والنساء [2].

لم تنه هذه النتيجة الصراع القائم بين بطليوس واشبيلية ،بل تربص ابن الأفطس ببني عباد حتى مطلع سنة 425/1034 لينتقم منهم ، ذلك أنه وفي هذه السنة سمح عبد الله بن الأفطس أمير بطليوس لجيش بني عباد بالمرور عبر أراضيه لقتال مملكة ليون ، وفي طريق العودة نصب له كمينا قتل فيه عدد كبير من جنود اشبيلية وكاد يقتل إسماعيل بن عباد ، ومنذ ذلك الحين استحكم العداء بين بني عباد وبني الأفطس [3].كان التنافس بين ملوك الطوائف على الحدود وحيازة المدن والقلاع شديد،كما تنافسوا في ألقاب الخلافة والملك فمنهم من تسمى بالمعتمد وبعضهم بالمأمون وآخر بالمستعين والمتوكل إلى غيرها من الألقاب الخلافية وفي ذلك يقول أبو على الحسن بن رشيق *:

مما يزهدني في ارض أندلس　　سماع مقتدر فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها　　كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسدي [4]

شكلت هذه الألقاب مظهرا من مظاهر السلطان وابهة البلاط لهؤلاء الحكام ولم تكن لها قيمة حقيقة بل عابهم عليها حتى ملوك النصارى بشمال الأندلس .

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 73 ؛ ابن عذارى : المصدر السابق، ج3، 133.

(2) ابن بسام : المصدر السابق ، ق1،ج1،ص361،362.

(3) ابن عذارى: المصدر نفسه ، ص 203 ،

(4).عبد الواحد المراكشي : المصدر نفسه ،ص 70.

* ابن رشيق شاعر ولد في مسيلة ونشأ في مدينة القيروان ، صاحب كتاب العمدة في صناعة الشعر ونقده ،لمع نجمه زمن العز بن باديس الصنهاجي ،وبعد الزحف الهلالي إرتحل عن الفيروان واستقر بجزيرة بصقلية ووفاه الأجل هناك. عبد الرحمن ياغي ، ابن رشيق القيرواني الشاعر وشعره ،دار الفارابي، لبنان ،1999، ص45.

كانت الحرب الاهلية في الاندلس عاملا هاما في إنهاك مقدرات ملوك الطوائف وسببا فعالا في انصراف اهتمام هؤلاء الملوك عن شؤون رعيتهم وتعزيز أسس دولهم ، ولكن ما زاد لهذه الأوضاع سوءا وتفاقما هو انغماس ملوك الطوائف في الترف والمجون ، فظهر بينهم تنافس في بناء القصور الفاخرة والمذابة و في مجالس الأنس بين لذة الخمور و جمال الجواري ،فجمع المعتضد بن عباد صاحب إشبيلية من الجواري الكثير وخلط أجناسهن فانتهى في ذلك إلى مدى لم يبلغه غيره ،وهذا ابنه المعتمد ملك من الجواري ما يفوق ثمانمائة امرأة منها أمهات الأولاد وجواري متعة وإماء تصرف وجواري خدمة ، ودفع هذيل بن رزين صاحب السهلة ثلاثة آلاف دينار في شراء قينه حاذقة [1] ،ومما ضاعف من واقع هذا الانحلال الخلقي إضفاء فقهاء البلاط الصبغة الشرعية لهذه الممارسات ،فكانوا يضعون تحت الظلمة فتاوى فقهية مؤيدة للظلم وابتزاز أموال الرعية وكل ذلك حرصا منهم على الثروة والنفوذ[2]،وأهدروا بسبب هذه الأطماع القيم الخلقية كلها ،ولم يتورعوا عن اتقاء المزري فتعلقوا بمعاقرة الخمور وإحياء مجالسها، ومنهم من أسرف على نفسه حتى ملكت عليه حياته ، هكذا استشرى الفساد والرذيلة في أوساط الملوك والوزراء، أما العامة فالأمر أدهى وأمر،إذ كان موضوع الخمريات هو أكثر فنون الشعر ذيوعا بين الشعراء الأندلس،وشاعت المجاهرة باللذات المحرمة ،والإباحية انتشارا كبيرا وفي شعر ولادة القرطبية بنت المستكفي الأموي ما يدل على هذا ،ومنهم من وضع كتابا في تفضيل في التثليث(الأقانيم الثلاثة في دين النصراني )على التوحيد تقربا لفتيان النصارى كما فعل إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي[3] ،كما انتشر الربا بين الناس،واحتكار السلع والمواد الغذائية خاصة في أيام النكبات والمحن من أجل الثراء ، و انتشر تزييف العملة على نطاق واسع حتى كان الناس يشترطون قبل البيع أو الشراء أن يكون التعامل بنقود طيبة غير مغشوشة ،كل ذلك خلق نوع من التفسخ الاجتماعي والتسيب الخلقي. وضاعت القيم وفقد الجهاد معناه في نفوس المسلمين بهذه الارض ،لكن هذه الأوضاع الداخلية التي تنم عن الانحطاط الصارخ لدول ملوك الطوائف ، لم تسلم من الاحتجاجات والانتقادات المحلية ،وكان ممن رفع لواء التصدي والمعارضة في وجه هذا الواقع المر ومثل الوعي الديني السليم والضمير الحضاري الحي بن حزم وأبي الوليد الباجي وابن حيان ، غير أن هذه الحركة الإصلاحية لم تجد نفعا وباتت دون تأثير فعال على الإتجاه العام للمجتمع الأندلسي وعجز عن دفعه إلى السبيل السليم [4].

(1) عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص 73؛ ابن عذارى : المصدر السابق ،ص133 ،303.
(2) المراكشي : المصدر نفسه، ص 70.
(3) ابن حزم : طوق الحمامة في الألفة والألاف ،تحقيق حسن كامل ،ط2،القاهرة 1963،ص 130؛ ابن عبدون : ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، 1955.ص 49.
(4) ابن حزم:رسالة التلخيص لوجه التخليص ، تحقيق ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية لدراسات و النشر، ج3، 1981، 173.

لقد كان للوزراء والأمراء الحظ الوافر في التأثير على الأوضاع الداخلية و تأكيد الفساد الذي أضحى ينخر نظام هذه الدويلات، إذ استغل الوزراء و الأمراء مناصبهم فتوسعوا في الضياع ،حتى صار بعضهم يملك ثلثي بلد مثل بنو عباد الذين ملكوا ثلثي اشبيلية ، و تنامت ملكية بني طاهر حتى بلغت نصف مرسية [1] .وكانت هذه الضياع منتشرة في المناطق الزراعية الخصبة من مدن الأندلس إذ تركزت خاصة حول الحواضر الكبرى ، وكان حكام قرطبة وغرناطة وطليطلة وسرقسطة مثل ذلك [2].

كما جمع الكتاب وبعض الوزراء ثروات كبيرة بعد توليهم تلك المناصب ،إذ توسع المأمون ابن ذي النون لأبي الفضل البغدادي في الإقطاع ، كما حرص الوزراء والكتاب كل الحرص على الاستمرار في مناصبهم وتطلع البعض منهم إلى الأكثر من منصب ، بل إن بعضهم تطلع إلى تأسيس دولة خاصة به ، فاستقل ابن عمار وزير المعتمد بمرسية ، وفي خضم هذه الفوضى قوية شوكة اليهود وصار لهم نفوذ كبير وخاصتا في غرناطة ،حيث كثرت أموالهم بعدما تولى إسماعيل بن نغرالة اليهودي الوزارة لبني زيري الصنهاجيين ، وصارت غرناطة تدعى مدينة اليهود لكثرتهم فيها[3]،

كما استشرى الفساد بين الموظفين والحكام الصغار من رجال الشرطة و محصلي الضرائب الذين أخذوا يقلدون أمرائهم ، وكثرت أوصافهم بأنهم مرتشون اشرار ظالمون فجار لا دين لهم ولا يقين ، ومن ذلك تعالت صيحات الأهالي التي تدعو السلطان أو القاضي إلى وجوب محاسبتهم ,إلى حسن تدبير شؤون الرعية ولا يغلق بابه ويكثر حجابه كما يفعل ملوك الطوائف .

وقد لخص ابن حزم هذه الممارسات التي استشرت بالقول ((... أنه أصبح مدبر لكل مدينة أو حصن يشن الغارات على أموال المسلمين من الرعية ،و إباحتهم لجندهم قطع الطريق ضاربون المكوس والجزية و الضريبة على رقاب المسلمين...))[4].

(1)ابن الأبار : التكملة ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة،الشركة العربية للطباعة والنشر ، ج1، 1963 ، ص 106،105.

(2) المقري : المصدر السابق ، ج 2 ، ص9.

(3) ابن بسام : المصدر السابق ، ق2 ،ج1 ، ص 89. 90 ، ق2 ، ج2، ص471.368 ؛ لأمير عبد الله : المصدر السابق ،ص 30 .

(4) ابن حزم : المصدر السابق ، ص173 ؛وعبر عن الواقع المؤلم أيضا ابن عبدون : المصدر السابق ،ص 5،3، 14 ، 18 ، 30.

في غمرة الصراع السياسي الداخلي الحاد و الانحلال الخلقي العام ،الذي ترتب عنه ظلم للرعية واضطهادها،بفرض المغارم الكبيرة عليها حتى ساء حالها .ويضاف عامل القوى المسيحية ليزيد المشهد الأندلس تعقيدا وتفاقما ،حيث تسلطت على الحكام المسلمين النصارى وفرضت عليهم علاقات مهينة ومذلة ، مما ادى إلى انهيار نفسية الاندلسيين وانهزام معنوياتهم .وفي ظل السلم المسيحي اضطر ملوك الطوائف إلى دفع الجزية لها والاستسلام للهزيمة أمامها ، فيما عجزوا عن حماية سيادة ملكهم واكتفوا بالتخفي وراء الأسوار تاركين القوات المسيحية تجوب أرجاء الأندلس في أكثر من رقعة دون رادع أو ممانع ،ويعبر ابن عذاري عن هذه الحقيقة فيقول ((.. خرج فرناندو إلى ثغر طليطلة سنة 444هـ/1063م ، وأفني حاميته ورجاله وعاث في البلاد تخريبا وحرقا دون أن يلاقي من يقف في وجهه، وأصبح الناس يتهربون من امامه من كل جهة إلى طليطلة ، حتى غصت بهم واضطربت احوال اهلها ..))، ولم يقدر أميرهم ابن ذي النون على أن يفعل شيئا وأصبح الأندلسي لا يكاد يلقى مسيحيا إلا فر منه حتى تعودوا ذلك منهم [1] .

وثمة مثال صارخ عن هذه الحالة النفسية التي أصبح يعيشها الأندلسي ، حيث وقع في ربيع سنة478هـ/1085م أن نازل القشتاليون أهل غرناطة في عقر دارهم ، على الرغم من بعد غرناطة عنهم ووقوع مملكتا اشبيلية و طليطلة بينهما ، فأخليت المزارع و الأرباض لسماع الخبر ووقع الرعب في قلوب الغرناطيين فتحصنوا بالمدينة خائفين.

وحدث أيضا في إحدى المرات أن أربعمائة جندي من المرية ، وهم من نخبتها العسكرية قد انهزموا أمام من ثمانين قشتاليا ، حتى صار الخمسة من المسلمين لا يقومون لواحد من القشتاليين ، فعم اليأس جل الأندلسيين من ملوكهم ، وراو أنه لم يبق امامهم إلا إحدى امرين إما الرحيل عن اوطانهم وإما الدخول في طاعة قشتالة ، وبالتالي أصبح الأندلسيون مجرد سجناء في شبه الجزيرة،ولن يطلق سراحهم إلا بالموت أو بالفرار منها إلى أرض أخرى ،وهذه الحالة سمة من السمات التي طبعت عصر ملوك الطوائف [2].

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 306،281.

(2) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب ت شوقي ضيف ،دار المعارف القاهرة ، ج2 ، ط 3 ، 1953 ،ص21 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 90 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ،ج1 ، ص487.

يعد الدين إبان العصور الوسطى محور الحياة في أوربا الغربية حيث بسط جناحيه من خلال مؤسسة الكنيسة ، على جميع ميادين وانشطة المجتمع سياسية كانت او اجتماعية او ثقافية ،مما جعل هذه العصور تستحق تسمية عصر الإيمان أو عصر الكنيسة .وقد احتلت الكنيسة مواقع هامة في ساحة أحداث القرن الحادي عشر الميلادي ، وذلك من جراء دورها الفعال في بعث الروح الصليبية وتحريكها ضد المسلمين وخاصة في اسبانيا التي تعد الامتداد الجغرافي والديني لأوربا .

فحركة الاسترداد التي نشطت خلال هذا القرن كانت حربا مقدسة مدعومة من قبل الكنيسة، بشر لها البابا في روما و في أنحاء من أوربا موجهة ضد مسلمي الأندلس، لكن تجب الإشارة إلى أن هذا الموقف لم يكن وليد عصر ملوك الطوائف ، بل هو موقف مبدئي ضد المسلمين لاستئصال شأفتهم وإبعاد خطرهم عن الغرب المسيحي وترجع بدايته الى الفتح الإسلامي وظهور المسلمون كقوة سياسية وعسكرية كبرى ، في البحر الأبيض المتوسط .

وقد استحسنت الكنيسة في روما كل نشاط يراد به تقويض أركان هذه القوة الجديدة ،إذ باركت البابوية حرب شارل مارتل( Charles Martel)ضد المسلمين ، وصده لهم عن غالة بعد معركة بلاط الشهداء(Poitiers) غرب فرنسا سنة 103هـ/732م التي أفضت إلى انحصار المسلمين في شبه الجزيرة الإيبرية واعتبرتها حربا دينية ، وأضفت البابوية على شارل مارتل مختلف ألقاب الإجلال والبطولة و اعتبرته حامي المسيحية ومنقذها ،ولما خلفه ابنه(بيبن القصير )(Pépin le Bref )ومن بعده شارلمان (Charlemagne )اللذين سلكا نفس النهج في محاربة المسلمين ، مما زاد لعلاقتهما بالبابوية تدعيما وتوثيقا [1]،إن انحصار الإسلام في الأندلس ما هو إلا تمهيد لتصفيته ، لكن هذا المشروع لم ينجح لسببين ، أولهما قوة الخلافة الأموية في الأندلس والسبب الثاني عدم وجود السند القوي للبابوية في شبه الجزيرة جراء خضوع الممالك المسيحية لدولة الإسلام في الأندلس ، لكن بمجرد ايار الخلافة وتشكل ملوك الطوائف ورجحان كفة القوة المسيحية ، أخذت تعد العدة للقيام بعمليات منظمة ضد المسلمين في الأندلس ،في ظل تأييد وتحريض الكنيسة لها وخاصة بعدما قوية هيبتها ونمت صولتها جراء [2].

(1) محمد العروسي: المرجع السابق ،ص138؛عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط2، 1986،ص 201 ؛ جوزيف رينو : المرجع السابق ، ص 105؛ نورمان كانترو : التاريخ الوسيط ق2، ترجمة قاسم عبده قاسم ،ط2، القاهرة ، 1986، ص 333،

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور: المرجع السابق ،438؛ كارل بركلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلوم للملايين ، بيروت ،ط9، ص 87 ، 88.

الإصلاح الديني الذي حققه بعض الباباوات أثناء هذا القرن(1) . وكانت نتيجة هذه النهضة الدينية وما صاحبها من تعزيز نفوذ البابوية في و **ضع خططها لاحتواء الصراع الدائر بين الممالك المسيحية الشمالية** والمسلمين في الأندلس وجعلته صراعا دينيا محضا . وقد اتخذ هذا المنحى البابا اوربان الثاني ( Urbain II) (1088 -1099م)،الذي أصدر فتواه للحجاج الأوربيين العازمين على التوجه إلى أداء فريضة الحج في **بيت** المقدس داعيا إياهم إلى إنفاق أموالهم في سبيل عمارة مدن قشتالة وأراغون ،وغيرها و التي خربها **المسلمون** أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر،و أصدر أيضا مرسوما يحرم على أهل الممالك الأيبيرية المسيحية المشاركة في الحملة الصليبية الأولى في المشرق، لأن أعداء المسيحية **هم مدوم داخل أراضيهم**[1] وكان قد سبقه في هذا المسعى البابا الكسندر الثاني من روما( Alexandre II ) (1061 -1073م) ، والذي بادر إلى إصدار صك يغفر به لكل من يقاتل من أجل الصليب في الأندلس ،كما سار على أثرهما البابا جيرجيوري السابع الذي وجه نداء إلى أوربا،**يذكر** فيه أن الأندلس تنتمي إلى المقر المقدس وأن **المسيحيين سوف ينعمون بملكية ما يفتحونه من** ارض بهذه البلاد ،واخذ يدعم ويشجع كل حملة تتوجه من اوربا إلى الاندلس . ولم تلبث هذه الجهود العدائية التي باشرتها البابوية ان اعطت اكلها ،**حيث توافدت** جموع من المسيحيين **المتطوعين من إيطاليا وغالة،خاصة من منطقة نورمانديا والمناطق الواقعة بين غالة وبرشلونة ،يحدوها نشوة حارة لمحاربة المسلمين ،أعداء المسيحية** اللدودين كما أوهمتهم البابوية[2]**وكان من بين** هذه الجموع رهبان كلوني*( Cluny)**الكاثوليك يتزعمهم القديس برنارد** (saint Bernard)،والذي رأى في هذه الحركة الفرصة لنشر نظامه الديري في قشتالة

(1) منهم البابا ليون التاسع Leon IX(1049 -1054م) ،و البابا الكسندر الثاني من Alexandre II ( 1061 -1073م ) ،والبابا جريجوري السابع Gregoire VII (1073 -1085م)، ومن مظاهر هذه الحركة محاولة تطهير الكنيسة من السيمونية SIMONIE والتي تعني بيع المناصب الكنسية ، وكذا إقرار انتخاب الباباوات من قبل مجلس الكرادلة Conclave دون تدخل الإمبراطور الألماني ، وكان أن تحولت البابوية إلى جهاز قوي ومؤثر ومهيمن على القرار السياسي . إبن الكردبوس: المصدر السابق،ص71؛نورمان كانترو: المرجع السابق، ص ، 348 ؛ عاشور: تاريخ أوربا ،ص 542.

(2) نورمان كانترو : المرجع نفسه ، ص 333، 348 ؛ عادل سعيد بشتاوي : المرجع نفسه ، ص 78 ؛ سلامة محمد سلمان: دولة المرابطين في عهدعلي بن يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسية وحضارية دار الندوة الجديدة ،ط1 ،1985،ص 184 ,

(3) إبن الكردبوس: المصدر نفسه ، ص71 ؛أحمد ابن عبدون:التاريخ السياسي و الاجتماعي لأشبيلية في عهد دولة الطوائف ، الرباط المغرب 1983 ، ص 555 ؛ عاشور : تاريخ أوربا ، ص 542.

*أسس هذا الدير في القرن العاشر الميلادي الرابع هجري 910 جنوب غالة على يدي غليوم ;Guillaume le pieux،أحدث هذا الدير نهضة دينية في اوربا، عمل على تحرير الاديرة من النفوذ الخارجي لطبقة النبلاء ، وتعزيز الروحانيات للعامة ، وربطها بدرجة كبيرة بالكنيسة المنظمة للأخلاق. انظر محمد مؤنس عوض:الحروب الصليبية ط،عين لدراسات،القاهرة، 1999، 2000، ص 18.

خاصة والممالك المسيحية عامة،انضمت إليهم جماعات كبيرة من المحاربين.لقد حقق الرهبان الكلونيون الكثير مما يريدون في الأندلس،إذ لعب هؤلاء دورا مؤثرا في قشتالة وليون وذلك بعد استقرارهم في دير **ساهكون (Sahagun) ، الذي يتوسط أهم مدن قشتالة** برغش وليون وحولوه مركزا لهم . واشتهرت هذه الفئة بتعصبها الشديد تجاه الأندلسيين [1] ، ذلك انهم اعتبروا التساهل معهم تنازلا مرفوضا، بل كانوا يرونه خيانة صريحة لانهم اعداء الدين ،ودفعوا في اتجاه مكافحتهم ضمن حركة مسيحية اوسع بقيادة الدولة **القشتالية** الناشئة،التي اخذوا يزودونها بالوعي الروحي والمبرر الشرعي [2]**، وهذا عكس ما تدعو له الكنيسة القوطية،** التي اتخذت موقفا متسامحا مع المسلمين .و التي دفعت ثمنه عام **1080م عندما منع ممارسة** مذهبها رسميا في مملكة ليون و قشتالة بموجب قرار مجمع برغش وتم **هذا الحظر أيضا** في كل **من نافار و أراغون وكتالونيا،** و استطاع رهبان كلوني بما تمتعوا به من القوة والحيوية التأثير على مجرى الأحداث ،وتعزز **نفوذهم** بعد زواج ألفونسو السادس بالأميرة كونستانس (Constance) 1079م (من غالة) التي كانت **تميل إليهم** [3]**.**

**و أما القديس برنارد فإنه نا**ل منزلة كبيرة في هذه الظروف حيث رضي عنه البابا أوربان الثاني ومنحه الثوب الكهنوتي ،ونصبه رئيسا أعلى للكنيسة الكاثوليكية في شبه الجزيرة الإيبيرية كلها، بعد ما وجد البابا في الكنسيين الغاليين السند و التأييد لمآربه في الأندلس.و لم يلبث تعيين برنارد في هذا المنصب أن أعطى دفعاً قوياً و ملحوظاً للنشاط العسكري للأديرة خدمة لأهداف البابوية،و تجسدت هذه المساهمة في **انضمام** رجالها إلى ساحة الصراع لقتال المسلمين كفرسان سنت ياغو و قلعة رباح (Al ِcala de robo) **وفرسان** القنطرة **حراس طريق الحجاج سانت ياغو من اللصوص و قطاع الطرق، و لاشك أن هؤلاء الفرسان الذين** انفردوا براية خاصة للمسيحية قد شهد لهم بالدور الفعال في هذا الصراع الإسلامي **المسيحي من خلال نشاطهم العسكري الدؤ**وب والفياض ، وكان يتقدمهم رئيسهم القديس برنارد الذي تولى بنفسه قيادة فرقة من الفرسان يبعث فيهم روح الحماسة و الشجاعة . و هرع كثير من فرسان النصارى من مختلف الأصقاع ليسهموا في الحرب الصليبية ضد المسلمين وكان لذلك أثره في تقوية **جانب الممالك المسيحية بالأندلس .**

(1)أحمد عبدون :المرجع السابق ، ص 252، 254 ؛ محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ،ص 28 ؛ **عادل سعيد بشتاوي : المرجع السابق ، ص 78.**

(2)**ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص 184.**

(3) **إبن الكردبوس : المصدر السابق ص71،70** ؛ أحمد عبدون : المرجع السابق ، ص555 ؛ **هانس إبرهارد ماير : تاريخ الحروب الصليبية** ، ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مجمع الفاتح ، الجماهيرية ، طرابلس ، 1990 ، ص 42.

و هكذا التأمت القوى المسيحية في شمال الأندلس وتكونت جبهة مسيحية في وجه مسلمي الجنوب ، بعد أن تعززت قواعدها بانضمام أعداد غفيرة من المحاربين الوافدين من مختلف أصقاع أوروبا إليها ، تدفعهم رغبة جامحة في خدمة الصليب من خلال تصفية الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس .

و في الحقيقة إذا كان العامل الديني و الصليبي قد ساهم بشكل حاسم في دفع عجلة الهجوم على مسلمي الأندلس و تحقيق التضامن المسيحي عبر الحدود الشمالية ، إلا أن للعامل الاقتصادي أيضا دوره في تحريك الموجات البشرية خاصة من غالة إلى اسبانيا ، إذ عرفت بلاد غالة في غضون القرن الحادي عشر الميلادي و خاصة الاطراف الجنوبية منها ، ظروفا معيشية حالكة بسبب استفحال ظاهرة ندرة الطعام التي افرزتها ازمة زراعية بهذا الإقليم ،و كانت هذه الأوضاع الاقتصادية المزرية سبباً كافياً لطرد السكان منه و حثهم على الهجرة إلى شمال الأندلس للمشاركة في الحركة المعادية للمسلمين [1].

و هذا فضلاً عما سجله شمال الأندلس المسيحي من تطور ديموغرافي ملحوظ كان له دوره في تنامي ثقل الممالك المسيحية سياسيا و عسكريا و يعود سببه إلى نزوح جماعات من المستعربين من الجنوب وارتفاع ملحوظ في نسبة الزيادة الطبيعية لسكان الشمال جراء الاستقرار النسبي ،الذي أعقب عجز قرطبة عن غزو الشمال نظرا للفتن الداخلية ،التي ألهبت الجنوب الإسلامي كله ،وبالتالي أصبحت الأرض الفقيرة التي تحت يد الجانب المسيحي لا تلبي حاجيات السكان مما عجل بحركة الاسترداد [2] .

و مهما يكن من أمر هذه التطورات الهامة التي بات يحياها الشمال المسيحي و هي توهم ظاهريا بانغماسه في واقع الفوضى الهدامة ،إنما توحي في الواقع بقيام صحوة عارمة تزيد في ضعف الكيان الإسلامي المتداعي و تعجل ببلورة حتمية مشروع حركة الاسترداد.

---

(1) محمد العروسي المطوي :المرجع السابق ،ص 156 ؛ هانس: المرجع السابق ، ص 35 ؛ محمد مؤنس عوض : المرجع السابق ،ص 64 ؛محمد محمود : المرجع السابق ، ص 30 ، 31 ؛ عاشور : تاريخ أوربا ، ص541.

(2) عادل سعيد البشتاوي : المرجع السابق، 78؛ المختار بن الطاهر التليلي : ابن رشد وكتابة المقدمات ، الدار العربية للكتاب الجماهيرية الليبية ، ط 1988 ، ص31,الفصل الأول ،ص 14، 17 . و انظر أيضا : , Bartome Bennassar ,op. cit. p.198.

ب/ سياسة إضعاف ملوك الطوائف: لقد تميزت سياسة الممالك المسيحية الشمالية تجاه القوى الإسلامية بالجنوب،بالسعي الحثيث إلى إذلال وإضعاف حكامها من خلال تشجيع ودعم أسباب الخلاف والشقاق القريبة والبعيدة الرامية إلى نسف أركان التواجد الإسلامي في الأندلس.وقد جدت الممالك المسيحية وعلى رأسها قشتالة في إذكاء الصراع الدائر بين ملوك الطوائف ،وبتهديد بعضهم للبعض وسيلة لإضعافهم خدمة لمصالحها على المدى البعيد،فأقبلت كل من قشتالة وبرشلونة على إمداد أطراف الصراع بفرق من جيشهما لمؤازرة المتصارعين على حد سواء مقابل مبالغ مالية عالية تثري بها خزائنها.وفي ظل هذا الصراع الإسلامي اعان الفونسو السادس ملك قشتالة الأمير عبد الله صاحب غرناطة بقوات في صراعه مع ابن عباد صاحب اشبيلية ، الذي لم يتورع هو الأخر عن إرسال وزيره أبي بكر بن عمار إلى الفونسو يلتمس منه عقد تحالف ضد غرناطة ،وذلك مقابل خمسين ألف دينار.وتدخل ابن ذي النون أمير طليطلة من جهته لدى ألفونسو لإقناعه على الاستمرار في تحالفه مع غرناطة [1]،وهكذا حتى يتسنى له أي ابن ذي النون من إفتكاك مدينة قرطبة التي كانت بحوزة ابن عباد ،ولما كانت هذه الأزمة الإسلامية تسير في اتجاه إرادة ألفونسو من أجل تصعيد العداوة بين المملكتين ،سمح لابن ذي النون الاستيلاء على قرطبة سنة 462هـ/1070م،فأسرع ابن عباد لإنقاذها بمساعدة الممالك المسيحية [2]،كما نشب صراع آخر بين مملكة اشبيلية ومملكة بطليوس التي يحكمها بنو الأفطس سنة 421هـ/1030م وتجدد سنة 425هـ/1034م،ودخل بنو هود حكام سرقسطة وبالاستعانة بالنصارى في صراع مع بني ذي النون فخرب بنو هود قرى و بسائط طليطلة ودامت الغارات أربع سنوات بين الجانبين حتى سنة 435هـ/1033م،وتحالف المعتمد بن عباد مع ريموند برنجار أمير برشلونة ضد طليطلة التي تؤازرها قوات قشتالية فانهزم بنو عباد.وقد أسهمت هذه الحروب في إهدار طاقة ملوك الطوائف البشرية ومواردها المادية ،ويبدوا أن دعمها من قبل قشتالة كان سياسة مرسومة كما تدلنا به المصادر ،فهذا المستعرب سيساندو دافيدث ( Sisnado-Davidez) وزير الفونسو السادس يصرح للأمير عبد الله إذ يقول له:(( لا يصح اخذ بلدانهم إلا إذا ضعفت حالهم حتى إذا لم يبقى مال ولا رجال أخذناها بلا تكلف .)) وابن عذاري يقول عن هذه السياسة فقال: ((عنها أنه عندما توالت على أهل طليطلة الفتن المطاعة والحوادث المضطرمة و ترادف عليهم البلاء و الجلاء استباح الإفرنج أموالهم وأرواحهم فاستولى العدو على طليطلة.)) [3].

(1)الأمير عبد الله : المصدر السابق ، ص 72، 73.

(2)ابن بسام : المصدر السابق ، ق1،ج1 ،ص361،362 ، ق1،ج2،ص 124.

(3)الأمير عبد الله : المصدر نفسه،ص 73؛ابن عذاري :المصدر السابق،203، 239، 280؛ المقري:المصدر السابق،ج4،ص356.

إن هذه الفتن الداخلية التي أضحت الشغل الشاغل لملوك الطوائف وما ترتب عنها من انهيار نفوذهم ،يعد أول الإرهاصات الدالة على تغير ميزان القوة السياسي و العسكري لصالح الممالك المسيحية ،وظهر الحكام المسلمون بمظهر الضعف والمسكنة كما سبقت الإشارة إليه ، فإن أهل قرطبة دفعوا المال للمسيحيين في بداية الفتنة ،إذا جمعوا لهم أموالا كثيرة و سألو القاضي ابن ذكوان أن يدفع لهم من أموال الأحباس المودعة في مقصورة المسجد ، فامتنع عن منحها إياهم فكسروا باب المقصورة و أخذوها و دفعوها لهم .من اجل مساعدتهم لقتال البربر سنة 399هـ/1009م[1].

و لما تداعت وحدة الأندلس وتشكلت دول ملوك الطوائف تحول حكامها إلى جباة لضرائب رعاياهم لتدفع بعد ذلك للمسيحيين ،وإظهارا للولاء قدم أهل الثغر الأعلى الجزية على عهد ابن هود لفرناندو قصد شراء مسالمته، فلاذوا بالجزية و أرهق ابن هود رعيته في جمع مالها من قراها،ولم يكتف بذلك بل بعث بالأموال الكثيرة و هدايا و سأله الخروج إلى بلد ابن ذي النون صاحب (طليطلة)من أجل الإغارة عليها وتخريبها ، استغلت الممالك المسيحية تشرذم القوى الإسلامية فتمادت في ابتزازها وفي ذلك أخذت مملكة أراعون نصيبها من المال فدفعت لها الجزية كل من سرقسطة ووشقة (Huesca) وتطيلة (Tudela) .ولما برز ألفونسو السادس كأعظم ملك على شمال الأندلس بعد توحيد مملكتي ليون وقشتالة[2].

انهالت عليه أموال طائلة من قبل ملوك الطوائف وفي هذا المذمار قدم الأمير عبد الله بن بلكين أمير غرناطة لألفونسو ثلاثين ألف مثقال*من الذهب،وسلم له المعتمد عشرين ألف مثقال ،وزاده على ذلك خمسين ألف أخرى لقاء مساعدة عسكرية ضد الأمير عبد الله حاكم غرناطة ،ومن جهته فرض ألفونسو السادس على ابن ذي النون مبلغ مئة وخمسين ألف مثقال تضاف إليها خمسمائة مد**

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ، ج3، ص 97 ، 228 ، 279.

(2) أشباخ : المرجع السابق ، ص 16 .

(3) الأميرعبد الله : المصدر السابق ،ص72 73؛شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج 1 ،ص427 ؛ سحر عبد العزيز سالم : شاطبة الحصن الأمامي لشرق الأندلس، التاريخ السياسي ، مؤسسة شباب الجامعة ،1995 ، ص121.

*المثقال يساوي 4.5496غ من الذهب وهو يعادل الدنار البيزنطي الذي يزن 4.05479غ . محمد فاخوري –صلاح الدين خوام : موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية ، ط1، مكتبة لبنان ،بيروت ، 2000،ص 218 219.

**المد:من اشهر وحدات الكيل التي تعامل بها المسلمون ،ويقال انه قدر من الاصل ان يمد الرجل يده فيملأ كفيه طعاما وبذالك يسمى مدا،وهو وعاء يسع من الحب كالقمح والشعير ما زنته ثلث الرطل .محمد الفاخوري : المرجع السابق،ص 322.

من القمح تدفع لعساكره ضيافة الأيام التي يقضيها في تلك المناطق،كما **كان يقدم لفرقة من الجيش القشتالي** ست قطع ذهبية في اليوم،**وما يكفيهم من طعام وشراب وأقطعهم أراضي عوضا** لهم عن رواتبهم المتأخرة ،حرصا منه على استرضاء القشتاليين ،الذين أصبحت لهم اقطاعات في مملكة بلنسية وتملكوا القرى وكانوا يغيرون و**يقطعون الطرق ويهتكون أعراض الناس** ويأسرون المسلمين و **يبيعوم** [1].

**وسار القادر ابن ذي النون على** منوال ابن هود حيث أرهق هو الآخر **رعيته من أهل طليطلة بفرض** مبالغ كبيرة من المال عليهم **تؤدى لألفونسو السادس** كل سنة من أجل منع خطره ،و اتقاء شره كما تنازل **عن** بعض الحصون التابعة **لمملكته** تكون رهنا في يد ألفونسو مقابل مساعدات عسكرية ،ولم يكتف ألفونسو بالمبالغ التي تدفعها طليطلة ،بل هاجم مدنها وحواضرها الكبرى مثل بلنسية من اجل تحصيل المزيد من الضرائب ، وبالفعل فقد اضطر صاحبها أبو بكر ابن عبد العزيز إلى دفع الجزية والاعتراف بسيادة **قشتالة عليها ،تفاديا لمزيد** من التخريب لقراها وطلبا لمساعدته في حالة ما إذا احتاجها **،كانت الرعية** تتحمل عبا دفع هذه الاموال زيادة إلى اموال الجباية المحصلة والتي ينفقونها على قصورهم ومجالسهم وحروبهم ،مما دفع ببعض سكان طليطلة مغادرتها لكثرة المغارم عليهم وتوجهوا نحوا مملكة سرقسطة **. ويذكر ابن** الخطيب في شان الجزية انها كانت تتضا**عف من ملك لأخر ، فبوفاة فرناندو** وتولي ابنه سانشو( شانجة ) **زعامة قشتالة واستتب له الأمر** ضاعف العدد ولما تولى ألفونسو الحكم ضاعف العددين [2] ، وفي عهده تحولت الجزية إلى أهم مصدر لدخل قشتالة ،وتشير التقديرات أن ألفونسو السادس كان يجمع من أموال الجزية ما مقداره أربعين كيلوا غرام من الذهب ،إضافة إلى التحف التي تنافس ملوك الطوائف في جمعها وإهدائها إياه ، ويبدوا أن جزءا من هذه الأموال تذهب لتنفق على الجيش القشتالي الذي يبتز أموال ملوك الطوائف من خلال التهديد بالحرب ،وكانهم بطريقة غير مباشرة يمولون الحرب ضد انفسهم [3] .

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ، ج3، ص 97 ، 228 ، 279؛ الأميرعبد الله : المصدر السابق ،ص72 73؛شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج 1 ،ص427 ؛ سحر : المرجع السابق ، ص121.

(2) أحمد بن عبدون :المرجع السابق ص 175 ،228، 269 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ،ج 1، ص 126.

(3) إبن الخطيب المصدر السابق ، ص 24 ؛ ألطيبي : النقود العربية و انتشارها و أثرها في أوروبا في القرون الوسطى ، مجلة دراسات وبحوث في تاريخ الغرب و الأندلس منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، رقم 48،الرباط ،1995 ص 324، 332 ؛ عادل سعيد بشتاوي , الأمة الأندلسية الشهيدة تاريخ 120 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، الطبعة 1 المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ص 18.ونظر أيضا: Fossier(Robert),Enfance de l’Europe , Aspects économiques et sociaux,:l’homme et son espace, Tome1, les éditions P.U.F.,Paris.1982,P.127 .

وإمعانا في إضعاف ملوك الطوائف شنت الممالك المسيحية وعلى رأسها قشتالة حربا اقتصادية قوامها سياسة الأرض المحروقة ، فبادرت إلى استعمال أسلوب الغارات التخريبية ضد الأرياف التي تمد المدن الأندلسية الكبرى بما تحتاج إليه من ضروريات الحياة ،مما يجعلها عاجزة عن صد أي هجمة توجهها ضدها مملكة قشتالة. كانت هذه الغارات تتفاوت في حجمها حسب أهمية الغارة , وأهدافها متخذة من عنصر المفاجأة عاملا من عوامل نجاحها ، فتتم عملية قطع الطرق والاستيلاء على مناطق التحصن القريبة من المكان المستهدف ، ثم ينزلون البساتين والجنات فيأكلون ثمارها ويحرقون مزارعها ويقطعون أشجارها ثم يحصلون غنائمها [1].

على هذا النمط تعرضت أغلب مدن الأندلس لمثل هذه الغارات ، إذ استهدفت بلنسية و إشبيلية وطليطلة وبطليوس عدة مرات من قبل فرناندو ملك قشتالة ، بل إن جيشه كان ينزل نزول إقامة في بسائط طليطلة أوقات الحصاد ، فيحمل الغلال إلى قشتالة ليستعملها وقت الحاجة .كما جدد الفونسو السادس هذه الحملات حينما استقر له الوضع في مملكته ليون وقشتالة ،فداهمت قواته مدن بلنسية ودانية وطرطوشة وإشبيلية ،وتوغلت قواته جنوبا إلى مملكة غرناطة ،فألحقت هذه الحملات أضرارا فادحة بفلاحة هذه المناطق ، ونالت طليطلة الحصة الأكبر منها فذهبت أكثر أموال أهلها بتكرار الغارات عليها وفشت فيهم الجوائح [2].

لم يكن لهذه الحملات العسكرية نتائج مدمرة على الأرياف فحسب ، بل كان تأثيرها بالغا على الحواضر الأندلسية أيضا ،إذ انقطعت عنها مواد التموين الضرورية التي تجلب إليها من الأرياف ،و نزح إليها معظم السكان الفارين من الاسر او القتل ، فازدحمت بهم المدن وغلت الاسعار وصار الناس في ضنك من العيش ، بينما أدت هذه الحملات لقشتالة مكاسب منقطعة النظير .وقد كانت كل هذه الأحداث الحاسمة تجري في ظل عجز ملوك الطوائف عن صون ممالكهم ،فيما استمر جنود قشتالة في توغلهم داخل أرضيهم ليتحكموا عندئذ في عملية سير القوافل المارة بمدن شرق الأندلس وعلى رأسها مدينتي مرسيه وغرناطة [3].

---

(1)ابن رشد : الفتاوى ، تقديم تخفيف مختار الطاهر التليلي ، سفر 3 ،دار الغرب الإسلامي ط1 ، لبنان 1407هـ. 1987م ،ص1425،1423، 1434؛ أحمد بن عبدون :المرجع السابق ، ص 234 ؛ عادل سعيد بشتاوي: المرجع السابق ، ص 79 .

(2) ابن الخطيب : المصدر السابق ،ص 243؛ ابن عذاري، المصدر السابق : ص238، 252،253، 278 .

(3) سحر عبد العزيز سالم : المرجع السابق ،ص 122.ونظر أيضا: Lucion Clare , Le Moyen Age Espagnol , Libraire Armand Colin ,Paris ,1972,p.25; Pierre Renouvin , Histoire des Relations Internationa,les T.I.P.84 .

## II/ميدان حركة الاسترداد في الأندلس :

### 1- الجهة الغربية :

بعد التفوق العسكري والسياسي للممالك المسيحية في شبه الجزيرة الإيبيرية ،أخذت هذه الأخيرة توسع حدودها على حساب دول الطوائف ، وكان أول الملوك المسيحيين الطامحين الذي باشر هذه السياسة هو ملك ليون ألفونسو الخامس،الذي وجه أنظاره إلى المنطقة الشمالية من مملكة بطليوس*، و ذلك لعدة اعتبارات منها وجودها في منطقة الثغور على الحدود مع مملكة ليون ومن تم فإنها تشكل خطرا عليها لو توفرت لها القوة الكافية ، كما أنها منطقة زراعية خصبة،تزخر بخيرات كثيرة،تمتد على مساحات واسعة منبسطة مكشوفة خالية من التحصينات القوية،وهي نائية عن عاصمة الإقليم بطليوس [1] .

تلك هي العوامل التي شجعت ملك ليون على الإجهاز عليها ، وقد شرع في مهاجمتها سنة 418هـ /1027م و افتتح بعض حصونها تم طمع في اخذ مدينة بازو(Viseo) لقلة التحصينات فيها ، فألقى الحصار عليها لكنه قتل أثناءه بسهم مسموم رماه به أحد الجنود المسلمين [2] ، على أن نهاية ألفونسو الخامس لم تؤدي إلى أفول مشروع التوسع المسيحي في هذه الجهة ، حيث تكرر هذا الغزو في عهد فرناندو ملك التاجين ليون وقشتالة معا**

(1) الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج2 ، عالم الكتب ، بيروت ط1، 1989،ص 547.

(2)ابن الخطيب: المصدر السابق ، 182 - 183.

*إقليم يقع جنوب غرب الأندلس يحمل قاعدته نفس الاسم بطليوس بناها وعمرها وحصنها عبد الرحمن بن مروان الجليقي بإذن من أمير الأندلس وقتذاك محمد الأول ابن عبد الرحمن الأوسط سنة 262هـ/875م،وتخذها بنو الأفطس بعد ذلك عاصمة لمملكتهم ؛ أنظر ابن الكردبوس ، المصدر السابق ،ص76.

** عن حادثة توحيد هذين التاجين ،ارجع إلى الفصل الثاني من هذا البحث ،ص50.

الواقع أن حملة فرناندو على بطليوس جاءت في وقت جد مناسب ، لأن بطليوس باتت ترزح تحت وطأة تبعات حروبها الدامية مع مملكتي اشبيلية وطليطلة ،والتي أدت فعلا إلى استنفاد طاقتها الداخلية و إلى ترك آثارا عميقة في نفوس أهل بطليوس ،وفي ظل هذا الظرف الصعب (1) .

فوجئ سكان بطليوس بجوم كاسح لجيش فرناندو حيث اخترق أراضي بطليوس الشمالية سنة 449هـ/1057م ، فاستولى على مدينة بازو التي كانت قليلة التحصينات في منطقة مكشوفة والتي كانت محصورة بين جبال استريليا شرقا والمحيط الأطلسي غربا .

ويعتبر احتلال مدينة بازو وما جاورها من الأراضي في هذا الجزء الجنوبي إنجازا معتبرا لهذه الحملة ،حيث انجر عنه تطويق مدينة أخرى وهي منطقة مليقية (Lamego ) المتربعة على نهر دويره بين الحدود القشتالية الليونية ، وبعد بازو المحتلة وبعد محاصرتها من قبل الجيش القشتالي و على الرغم من مناعة قلعتها سقطت في قبضته سنة 449هـ/1057م ،وقد استباح الجيش القشتالي المدينة فهلك من سكانها الكثير ، ثم تبع سقوط مليقية عدد من القلاع والحصون الأخرى على رأسها حصن سان خوستو( san justo ) الذي عمره المسلمون أيام المنصور ابن أبي عامر (2) .

وكانت نتيجة هذه الانتصارات لجيش فرناندو أن اتسعت مملكه قشتالة لتبلغ جنوب نهر دويره على مشارف مدينة قلمرية(Coimbra) الإسلامية من كبرى مدن الثغر الأدنى- ،والتي أصبحت مكشوفة للقوات القشتالية بعد سيطرة فرناندو على أغلب التحصينات التي كانت تحميها (3). توقفت هجمات فرناندو على هذه المنطقة مدة سبع سنوات ،واصل بعدها الملك حملته العسكرية التوسعية بعد أن

---

(1) سحرعبد العزيز سالم : تاريخ بطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة القاهرة ،ج1 ،بدون سنة ولا تاريخ طبع ، ص416 417.

(2) ابن الخطيب: المصدر السابق ص 182- 183 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 84 85.

(3) شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 51.

أوعز له المستعرب سيسناندو دافيدث ( Sisnado-Davidez) أو ششندو (1) ،الذي أملى له بغزو قلمرية وذلك ما وقع ، إذ وصل قلمرية الزحف القشتالي سنة 456هـ/ 1064م ،وضرب عليها الحصار فقاومته المدينة بقيادة أحد أتباع ابن الأفطس وعبيده يدعى رانده ،الذي توفرت له في المدينة قوة قوامها خمسة ألاف مقاتل ، استمر الحصار ستة أشهر وكاد يرفع لولا تدخل رهبان لورفاو المستعربين ( Lorvao ) المقيمين في أرباض المدينة ، قدموا الغلال والضروات وألحوا على الملك أن يواصل حصاره على المدينة ،مما يؤكد دون شك الطابع الديني للحرب التي تقوم بها الممالك المسيحية في الأندلس [2] . وتوافق ذلك مع اشتداد الحصار على المدينة وتباطا ابن الافطس في نجدتها ،ففاوض رانده قائد الحامية فرناندو سرا على تسليم المدينة لقواته مقابل تأمينه هو و أهله فغادرها ليلا،ودلهم على نقاط ضعف المدينة واستمر أهلها في الصمود حتى نفذت أقوام فطلبوا الأمان من الملك القشتالي مقابل تسليم المدينة بعدما وقفوا على خيانة واليهم ، فرفض عرضهم و اقتحم جنوده المدينة عنوة .

فقتلوا الرجال و سبو الذرية والنساء[3] ، ودخلها فرناندو دخول الفاتحين و عين مستشاره سيسناندو حاكما لها و منحه لقب الكونت ،وعمل فرناندو على إخلاء المسلمين من الأراضي الشمالية المجاورة للممالك المسيحية شيئا فشيئا واستبدالهم بالنصارى ،الذين تزايد عددهم في مملكته من جراء تدفقهم عليها من كل أنحاء أوربا وكذا نزوح مستعربي الجنوب إليها،

إضافة إلى الزيادة الطبيعية التي ارتفعت معدلاتها بفضل الاستقرار الذي شهدته مملكة ليون وقشتالة ، وكان لتغير موازين القوى لصالح ليون و قشتالة بصمته على الأرض ، إذ تغيرت معه الحدود السابقة التي أصبحت لا تصلح حدا فاصل بين ملوك الطوائف والممالك المسيحية ،هذه الأخيرة التي أخذت تدفع بها نحو الجنوب مما يخدم طموحاتها في المنطقة كلها [4].

---

(1) هو من المستعربين الذين نشأوا في مملكة اشبيلية .أسره المعتمد بن عباد في إحدى غزواته على مدينة شنترين يعد من أنجب المستعربين الذين إعتمد عليهم المعتمد في السلم والحرب .انتقل إلى خدمة فرديناند بعد أن خاف على نفسه في بلاط المعتمد وقد عمل في بلاط فرديناند سفيرا بينه وبين ملوك الطوائف ثم انتقل إلى خدمة ألفونسو عين على قلمرية ثم طليطلة توفي سنة 484هـ/1091م ، أنظر ابن بسام : المصدر السابق ،ق4،ج1 ،ص161،169ونظرأيضا: . Encyclopédie de l Islam; Edition 1960;p.250

(2) سحر عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، 471.

(3) ابن حيان برواية ابن الخطيب : المصدر السابق ، ج2 ، ص 184؛ابن عذارى: المصدر السابق ،ج 3 ، ص 238 239 .

(4) سحر : المرجع السابق ، ص 424 ؛ عادل سعيد بشتاوي : المرجع السابق ، ص 80 81 .

2 الجهة الوسطى و الشرقية :

أ/ سقوط بربشتر ( Barbastro ) :

بينما كان فرناندو يحشد قواته ويستعد لمهاجمة قلمرية وفتحها ، توجهت قوات عسكرية أخرى من التحالف المسيحي الأوربي نحو سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى المحاذية لمملكة أراغون قصد الاستيلاء على أحدى أهم مدنها ، وهي بربشتر المدينة الحصينة التي قال عنها ياقوت الحموي انها المدينة العظيمة الواقعة على نهر الإبيرو والتي توارثتها أجيال المسلمون فثبت فيها الإسلام كما يذكر عنها المقري[1].

ويعود سبب تحريك هذه الحملة العسكرية التي اتخذت طابعا صليبيا واضحا، إلى مقتل أمير أراغون رميرو الأول( ردمير) أمام أسوار حصن جرادوس (Grados) ،بأراضي مملكة سرقسطة على يد صاحبها المقتدر بن هود وذلك سنة 455هـ/ 1063م [2].

ترتب عن هذه الحادثة أن بادر البابا الكسندر الثاني بالدعوة إلى حملة صليبية،أظهر فيها أن مملكتي أراغون و نافار تتعرض للتهديد من قبل الخطر الإسلامي الأتي من منطقة الثغر الأعلى بسرقسطة ، وقامت حملات التبشير لهذه الحملة على قدم وساق ، في كل من إيطاليا و غالة والممالك المسيحية خاصة في أراغون و نافار [3].

وكانت الاستجابة فورية لدعوة البابا حيث تشكل على إثرها جيشا غفيرا ،يتكون معظمه من عناصر نرمندية ومن أطراف صليبية أخرى من غالة وبرشلونة، التي كان لأميرها مصالح في هذه المنطقة إضافتا إلى فرقة من فرسان روما ممثلة للبابوية .أسندت القيادة العليا لهذا الجيش إلى بلدوين دي فلاندس (flandes balduino de)،الذي كان وصيا على فليب الأول ملك فرنسا،ثم قسم الجيش بمقتضى الخطة الحربية المحددة إلى أربع فرق رئيسية. فرقة تحمل شعار البابوية ،تتكون من فرسان روما ويقودها جيوم دي منتروي ،( el conde Guillaume de Montreuil ).

---

(1)ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 371 ؛ المقري :المصدر السابق ، ج4 ، ص 463.

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج3 ، ص 225 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج2،ص 186، 187

(3) ابن الكردبوس : المصدر السابق،ص70،71؛ دوزي : ملوك الطوائف ، تعريب كامل كيلاني ، القاهرة ، 1967 ، ص 78.

وفرقة أراغونية كبيرة يقودها سانشو راميراز (Sancho Ramirez)ملك أراغون ، الذي خلف أباه المقتول راميرو الأول ،و فرقة ثالثة بزعامة الكونت ابن أخ ملك اراغوان و قائد جيوش الكتلان الكونت اورخيل(Conde Ugel ) ، والفرقة الرابعة مشكلة من ولايتي نورمانديا و اكيتانيا من جنوب غالة ، هذه الفرقة يقودها روبرت كرسبن(Robert Crespin ) (1) .

ولا شك ان هذه الاستعداد السريع يدل على المكانة البارزة والمؤثرة التي يحظى بها البابا في المجتمع الأوربي.وكانت الاستجابة لدعوته كثيفة للغاية حيث انظم تحت غاية واحدة جيش قوامه عشرة ألاف فارس وراجل ، قوة تعد بالغة الأهمية في مثل هذا العصر .ولما اكتمل الإعداد لهذه الحملة أخذ الجيش "الصليبي" يشق طريقه نحو الشرق مخترقا الأراضي الشمالية لمملكة سرقسطة إذ قصد أولا مدينة وشقة إحدى قواعد سرقسطة الرئيسية ، فلم يتمكن منها لحصانة استحكاماتها و قوتها .

ثم سار إلى أن بلغ مدينة بربشتر سنة 456هـ/ 1064م من شهر أفريل (2) ،فسارع إلى ضرب الحصار عليها لكن حامية بربشتر واجهته بالصمود والقتال ،إذ لم يكتف جنودها بالدفاع عن المدينة بل كانوا يغيرون أحيانا على جيش العدو المرابط حولها ، وهذا دون أن يبادر يوسف المظفر صاحب سرقسطة لنجدتها بل تركها لمصيرها .

وظل الجيش يرابط حول المدينة فترة طويلة والمسلمون لا يؤثرون التسليم.استمر الحصار على المدينة أربعين يوما ،قاسى أهلها أثناءه ضيقا شديدا وخاصة بعد أن أخذت أقوات أهلها في النفاذ ووقع بينهم التنازع ، ولما علم الجيش المسيحي وفي مقدمتهم النورمان بذلك ،ضاعفوا جهدهم لفتح المدينة ،واستطاعوا بعد قتال عنيف أن يقتحموا المدينة بخمسة ألف من الجنود المدرعين ،واستطاع السكان التحصن بقصابتها بعدما قتلوا نحو خمسين من مقاتلي الجيش المسيحي ، وكان بإمكان مقاومة أهل القصبة أن تستمر وقتا أطول لولا انقطاع الماء عنهم بانهيار القناة التي تزود المدينة مما زاد من شدة الحصار فطلبوا الأمان لأهاليهم و ذريتهم مقابل تسليم المدينة وما فيها (3) .

(1) تقع شمال غرب فرنسا ، استقر فيها النورمان بموافقة الملك الفرنسي شارل البسيط أو الأبله (Charles le Simple )فعرف الإقليم باسمهم (Normandie)أنظر: Defourneaux(M), Les Français en Espagne aux XIe et XIIe siècles , Presses Universitaires de France Paris,.1949, p.18.

(2) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 70 ، 71 ؛ شكيب أرسلان :المرجع السابق ، ص187.

(3) المقري : المصدر السابق ،ج 4 ، ص 449 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج1، ص 371.

استجاب الجيش المسيحي لهذا الطلب لكنه لم يكد يتمكن من المدينة كلها حتى نكث عهده،حيث انقض جنوده على سكانها فاعملوا فيهم قتلا وسبيا .وقد بلغ عدد القتلى من المسلمين خمسين ألفا فيما قارب عدد الأسرى مائة ألف حسبما ذكره المؤرخان ابن عذاري والمقري .وكان أغلبهم من النساء ،حصل في سهم رئيسهم أربعة آلاف امرأة اختارهن أبكارا من الثمانية أعوام إلى العشرة أعوام، وحصلوا منها على أموال كبيرة و حصل في سهمه من أوقار الأطعمة و الحلي و الكسوة خمس مئة جمل [1] ،وأهدى من السبي للبابوية تعبيرا منهم على عملهم الصليبي ما شاؤوا وأخذوا لصاحب القسطنطينية منهن سبعة آلاف وكان هذا الخطب في هذه المدينة أعظم من أن يوصف [2].

بقيت مدينة بربشتر بأيدي التحالف المسيحي سنة كاملة، تركوها في طاعة ملك اراغون سانشو راميرو ،الذي بدوره ترك فيها حامية بقيادة أخيه الكونت أورخل . وأصبحت المدينة مقصد تجار الرقيق اليهود بعد الحادثة ،وبعض من كان يلتمس فدية أحد من أهلها خاصة بنات الوجهاء من قائد حامية المدينة ،ويذكر المقري أن أحدهم دخل على قومس يعرفه فوجده جالسا في مكان رب الدار في نفيس الثياب ،وحوله سيدات البيت المأسورات عنده يقمن على خدمته وله من أكياس الدراهم و الدنانير و أصناف الحلي الشيء الكثير ،وطلب القومس من اليهودي أن لا يسأله فديتهن [3] .

أثارت الجرائم الوحشية التي ارتكبها الصليبيون في هذه المدينة غضب الأندلسيين عامة وسكان سرقسطة خاصة ، الذين قاموا بقيادة ملكهم سليمان ابن هود و بتأييد عسكري من جانب المعتمد الذي استصرخه علماء اشبيلية ،بمهاجمة بربشتر في السنة التالية من جمادى الأولى سنة 457 هـ/1065م و استولوا عليها عنوة بعد مقتل الحامية التي تركت فيها و على رأسهم اورخل السالف الذكر، و تلقب بعدها سليمان بن هود بالمقتدر بالله بعد هذا النصر الذي أحرزه وعادة المدينة لسابق عهدها بعد الكارثة التي حلت ا [4].

(1) المقري : المصدر السابق ،ج 4 ، ص 449 ؛ ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 225 ، 226 .
(2) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص 370 .
(3)المقري : نفسه ،ج 4 ص 451 .أنظر الملحق رقم 05 ، 06.
(4) ابي عبد الله القضعي : الحلة السيراء ،ت حسين مؤنس ،ج2 دار المعارف ،ط2، القاهرة 1985،ص247 ؛ ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، ت شوقي ضيف ،ج 1، دار المعارف القاهرة ،ط 3 1955 ،ص 239 .ونظر أيضا: Maria Jesus Viguera, Aragon Musulman,coleccion Aragon,Editorial Libreria general .Zaragoza.1981, P.149.

ب- سقوط طليطلة :

- أهمية طليطلة :

تكتسي طليطلة أهمية تاريخية و معنوية لدى المسيحيين و المسلمين في الأندلس على حد سواء، فهي تعني لنصارى الاندلس و الغرب المسيحي عامة انها إحدى حواضره الكبرى و عاصمة دولة القوط فيما مضى و التي أسقطها الفتح الإسلامي في هذه المنطقة .

و استعادتها في هذا الظرف تعني إنعاش الآمال في ضم الأندلس للحظيرة المسيحية من جديد . أما بالنسبة للمسلمين فهي تعني عاصمتهم الأولى إبان الفتح و بعده , فتحها طارق بن زياد و نزل بها موسى بن نصير والي المغرب و من بعده [1] .

و تعد أيضا مركز انطلاق الحملات على بلاد النصارى و منها خرج علماء الأندلس وزهادها و بها قبورهم,

أما أهميتها الإستراتيجية فهي أعظم ، إذ تتوسط طليطلة الحواضر الكبرى للأندلس ، فتبعد عن قرطبة الموغلة في الجنوب و بلنسية في أقصى الشرق و لشبونة في أقص الغرب بنفس المسافة [2] ,وفي أيام الطوائف استولى عليها إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذي النون الهواري سنة 427 435هـ و تلقب بالظافر ثم حلفه ابنه يحي و تلقب بالمأمون 435 467هـ و قوى ملكه و عظم شأنه و غلب على عدة مدن وحواضر واحتلت طليطلة رقعة شاسعة في قلب الاندلس على طول نهر التاجو ( Tajo ) [3] . حيث ضمت مجموعة من المدن و القرى ، وكانت طليطلة الحاجز الإسلامي الأول في وجه العدوان المسيحي لذلك سميت الثغر الأوسط إذ كانت تفصلها عن قشتالة جبال وادي الرملة فقط .

ومن ذلك فإن سقوطها في يد ألفونسو يمثل كارثة كبرى على الإسلام ،إذ لم يلبث خط التاجو بمدنه و قراه ان انهار بعد انهيار قاعدته و أصبحت المناطق الممتدة من طليطلة جنوبا إلى جبال قرطبة ( sierra morina )معزولة فاحتلها المسيحيون و أطلقوا اسم قشتالة الجديدة ، و لذا كان سقوط طليطلة يعني تقسيم الأندلس الإسلامية و احتلالها في وقت وجيز لولا أن تداركها المرابطون [4] .

(1) البلاذوري : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ،ج1 ،بيروت ، 1403 ، ص 232.
(2) الإدريسي : المصدر السابق ، ج2 ،ص 536 .
(3) القلقشندي : المصدر السابق ، ج1، ص 354 ، ج2 ، ص9 .
(4) الإدريسي: نفسه ،ج2 ، ص536 ؛ المقري : المصدر السابق ، ج1 ، ص 70. أنظر أيضا الخريطة رقم 07 .

- العوامل المساهمة في سقوط طليطلة :

اندفعت مملكة طليطلة في سلسلة من الحروب ضد جيرانها من ملوك الطوائف، قصد توسيع رقعتها الجغرافية فدخلت مع بني هود أصحاب سرقسطة في صراع دامي على منطقة وادي الحجارة استمر ثلاثة سنوات 435 438هـ ،ضُمت وادي الحجارة من جرائها إلى طليطلة، ثم نشبت سلسلة من الحروب بينها ومملكة بن الأفطس ببطليوس سنة 443هـ من أجل المناطق الحدودية بين المملكتين ،وفي سنة 457 هـ ألحقت بلنسية بطليطلة وتم الاستيلاء على قرطبة سنة 467هـ ،بهذه الانتصارات التي قام بها المأمون ابن ذي النون على حساب جيرانه من ملوك الطوائف[1].

زادت رقعة مملكة طليطلة و اصبحت مترامية الاطراف .لكن ذلك المجهود الحربي الذي قام به المأمون بن ذي النون ذهب أدراج الرياح ، بتولي حفيده يحي الملقب بالقادر سنة 467 هـ الخلافة ، و لم يبق من نتائجه إلا الإرهاق المادي و البشري للرعية في طليطلة .إذ استرجع ابن عباد قرطبة و سائر أعمالها ، وثار أبو بكر بن العزيز بلنسية و أعلن استقلاله عن طليطلة ،

وخلع طاعة القادر بن ذي النون وهاجم الأرغوانيين الجبهة الشرقية في طليطلة ،وكادت تسقط بعض هـ وا ،و انعكس ذلك الضعف السياسي على الجبهة الداخلية لطليطلة خاصة بعد تهميش دور الفقيه ابن الحديدي *المشرف العام على سياسة طليطلة و الذي يرجع له الفضل في تفوقها العسكري أمام ملوك الطوائف إبان حكم المأمون ابن ذي النون ،الذي كان لا يقطع أمرا دون استشارته و قد عهد إليه المأمون قبل موته بالنصح لخليفته حفيده يحي القادر[2].

---

(1) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، 87؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج1 ، ص354 .ونظر أيضا :Lucion Clare , Le Moyen Age Espagnol ,p.25; Pierre Renouvin , Histoire des Relations Internationa,.P.84 .

(2) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج4 ، ص 40،39؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج2، ص 9 ؛ ليفي بروفنشال : المرجع السابق ، ص134.

*هو الفقيه أبو بكر بن يحي بن سعيد الحديدي كبير وجهاء طليطلة وقاضيها ، طال عهده بتولي المناصب الكثيرة والعالية بهذه المملكة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرق سوسي ، ج3، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط19، ج18، 1413هـ، ص175.

وفي أيام هذا الأخير تعرض الحديدي للإساءة و الأذى ،حيث لم يكتف القادر بتجريد بن حديدي من سلطته وإنما حرض على قتله وهو ما تحقق سنة 468هـ/1075م على أيدي أعدائه بعدما أخرجهم الملك من السجن ، ثم سمح لهم بالتمثيل بجسده في الشوارع ، لكن لم يلبث أن انقلب هؤلاء القتلة على يحي القادر وطالبوه بالثأر لدم بن الحديدي المهدور(1) .

الواقع أن هذه الحركة تنذر ببروز طلائع مشئومة بالنسبة لطليطلة ، ذلك أن القادر لم يكترث بهذا الطلب فقط بل راح يهدد أهل طليطلة بوضعهم تحت رهن سلطة ألفونسو السادس إن لم يجمعوا له أموال الجزية المطلوبة ، فثار أهل طليطلة على ملكهم جراء طلبه هذا ،وفر من طليطلة إلى حصن وبذة هو وأهله سنة 472هـ /1080م ، فاستدعى أهل طليطلة ابن الأفطس صاحب بطليوس ليقوم على أمرها مدة عشرة أشهر استغلها في نقل أموالها لمملكته ، لكن يحي القادر كتب إلى ألفونسو يستعين به على أهل طليطلة في استرجاع ملكه ويعده بان يعطيه في مقابل ذلك جميع اموال المدينة بعد استعادتها، إضافة إلى قلعتين من القلاع الحصينة ذات الأهمية الإستراتيجية (2) .

فوافق على ذلك سريعا فحاصر المدينة التي فر منها ابن الأفطس بعدما لم يجد من يعينه على دفع الحصار ، ودخلها يحي القادر و ألفونسو سنة 474هـ/1081م رغم كره الرعية التي أرهقها كالعادة بجمع الأموال المتفق عليها ، إذ حصل أموال عظيمة من أهل طليطلة إضافة إلى أمواله الخاصة فقدم له خمسين ألف دينار ،وخمسمائة مد من الطعام ضيافة كل ليلة لألفونسو وجيشه ،

كما قدم له بعض الحصون المتفق عليها ، زادت سياسة الخضوع لقشتالة من نقمة الرعية على يحي القادر وأتباعه مما أضعف الجبهة الداخلية لطليطلة ،كما ياس بعض سكانها من العيش فيها بعدما ذهبوا لألفونسو يشكون إليه من ظلم القادر لهم فشتمهم وطردهم فغادروها و التحقوا بسرقسطة المجاورة وإلى البلاد الأخرى (3) .

(1)الأمير عبد الله : المرجع السابق ، ص77 ؛ الذهبي : المصدر السابق ،ص175.
(2) إبن الكردبوس : المصدر السابق ،ص 73؛ ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص 142.
(3)إبن حيان برواية ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص 176، 180 ؛ الأمير عبد الله : المصدر نفسه ، ص 77؛ ابن عذارى : المصدر السابق ، ج3، ص232 ؛ لفي بروفنسال : المرجع نفسه ، ص 143.

## - سقوط طليطلة ونتائجه :

لما وقف ألفونسو على حال المدينة ازداد طمعه في امتلاكها وشجعه على ذلك الجو العام المتردي الذي باتت فيه القوى الإسلامية ، إذ كانت الحروب بين ملوك الطوائف سجالا تشتعل من حين إلى آخر ووضعهم الداخلي لا يسمح بما لا يدع مجالا لشك إمدادها بالمساعدة الضرورية ، بل على العكس من ذلك، ينتظر انتهاج ملوك الطوائف سياسة التواطؤ مع ألفونسو ضد بعضهم كما وقع ذلك أنفا. فالمعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية أقوى ملوك الطوائف حالف ألفونسو سنة 471/ 1078 ، وتعهد بأداء الجزية و بإطلاق يد ألفونسو في طليطلة وذلك انتقاما من طرد جيوشه من قرطبة على يد ابن ذي النون ومقتل أحد أبنائه فيها ، وفي الوقت نفسه يوجه قوات اشبيلية ليُخضع غرناطة وملكها الأمير عبد الله بن بلكين لسلطانه ، بينما الجار الشرقي لطليطلة ابن هود صاحب سرقسطة كان يشتد عليه الخطر الارغوني يوما بعد يوم ، خصوصا بعد أن سقطت بعض القلاع الحدودية في يد سانشو (شانجة) ولا يستطيع إنجاد طليطلة .(1)

وضع ألفونسو خطته الكبرى للاستيلاء على طليطلة مستفيدا من إقامته السابقة فيها إبان سيطرة أخوه سانشو على قشتالة و ليون ،حيث تعرف على خلالها مداخل المدينة و مخارجها و مناطق قوتها و ضعفها ،و استفاد أيضا من حوارات رجال البلاط الطليطلي عن كيفية قهر المدينة المحصنة طبيعيا وهو يسترق السمع (2).

لقد مهد ألفونسو لحصار طليطلة بالغارات التخريبية التي شملت بسائطها و التي صيرها خرابا بعد تجدد الغارات عليها مدة سبع سنوات ،و ذلك من أجل تجريد الحصون المدافعة عن المدينة من أية قوة ، و لما أحس بضعف المدينة زحف عليها بجيش ضخم وقام بحصارها (3)، استصرخ يحي القادر ابن الأفطس صاحب بطليوس لمساعدته،لكنه أحس بالخطر الاشبيلي الزاحف على مملكته فلم يستطع صاحب بطليوس من تقديم مساعدة كبيرة ،إلا أن ابن الأفطس أرسل ابنه الفضل والي مارده بجيش للمساعدة

---

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ،ص126 ؛ أشباخ : المرجع السابق ،ص239.

(2) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ،ص134.

(3)ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص 181، 185؛ عبد الحي الدمشقي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص357؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ،ج3 ،مطبعة الكويت، ط3 ، 1948،ص191 ؛ الذهبي :المصدر السابق ، ج19 ، ص61؛ حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، مكتبة النهضة المصرية ، 1957، ص108 ؛ عبد الله عنان : ملوك الطوائف، 106، دوزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ص120.

بجيش للمساعدة على أن الفضل لم يفلح في حسم الموقف مع ألفونسو إذ لم يلبث أن عاد أدراجه إلى ماردة (1)بعد أن هزمه جيش ألفونسو الذي يفوق قوته عددا وعدة . ولا شك ان هذا الفوز زاد من إصرار ألفونسو على مواصلة حصاره للمدينة . وقد استمر مدة ذاق خلالها السكان الأمرين.إذ استمر حصار ألفونسو للمدينة تسعة أشهر و ازداد الاضطراب في طليطلة و عمت البأساء .

فأيقن القادر أنه لا طاقة له في الدفاع عن المدينة وخاصة بعدما أضنى أهلها الحصار وفقدوا القدرة على الصمود ، ومع ذلك فقد حاول يحي ابن ذي النون الصلح مع ألفونسو السادس وذالك عن طريق التفاوض ومن ثمة بعث إليه بسفارة يعرض عليه رفع الحصار على مدينة طليطلة مقابل جزية مالية باهضة.دامت المفاوضات ثلاثة أيام كاملة دون أن يتوصل الطرفان لتفاق حاسم [2].

لكن ألفونسو عرض على الوفد رؤيته،والتي تقوم على أساس تسليم المدينة بشروط تبدو مرضية للقادر ،وقد تضمن هذا العرض عدة عناصر منها تأمين المسلمين على أنفسهم و أهليهم وأموالهم وأملاكهم ، منح السكان حرية الهجرة أو البقاء في المدينة وللمهاجرين الحق في العودة إلى المدينة واسترجاع أملاكهم كاملة ، وعلى القادر أيضا أن يدفع الجزية على عدد من بقى من أهلها ،

فيما يبقى المسجد الجامع في حوزة المسلمين ،كما تعهد ألفونسو للقادر حينما يغادر المدينة تنصيبه ملكا على بلنسية تعويضا له عن طليطلة ،و لم يكن أمام القادر أي خيار سوى تسليم المدينة إلى ألفونسو و الذي دخل عاصمة القوط القديمة في السابع و العشرين محرم478هـ/ماي 1085م و عادت طليطلة إلى الحظيرة المسيحية مجددا بعدما عاشت تحت الحكم الإسلامي ما يربو عن ثلاثة قرون [3].

---

(1) المقري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 497 ؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ج4، ص 39 40. ونظر أيضا:
Renouvin (p) ;op. cit ;p. 84.

(2) المقري : المصدر السابق ،ص441 ؛ الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج3، ص291؛ دوزي : المرجع السابق،ص 134.

(3) ابن الكردبوس:المصدر السابق ،ص75؛ الأمير عبد الله : المصدر السابق ص77؛ عبد الحي الدمشقي: المصدر السابق ،ص 357؛ القلقشندي : المصدر السابق ، ج2،ص 9؛ابن خلدون العبر ج4،ص 348؛دوزي : المرجع السابق ،ص 271؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص 471؛ عبد الله عنان : دول الطوائف، ص 471.ونظر أيضا : Lucion Clare , Le Moyen Age Espagnol ,p.25; Pierre Renouvin , Histoire des Relations Internationa,.P.84

لما انتقلت طليطلة إلى حوزة الفونسو السادس كانت المدينة تضم جالية كبيرة من المسلمين ، ولم يقتصر سكانها عليهم فقط بل كان بها حارت لليهود والنصارى المعاهدين أو ما يطلق عليهم اسم المستعربين وهم ينتمون للكنيسة القوطية، و أيضا نصارى من الفرقة التابعة للكنيسة اللاتينية ، التي يمثلها رهبان كلوني المتعصبين بقيادة القديس برنار.لقد أصبح هؤلاء المسيحيون المدد الدخلاء على طليطلة ، يؤثرون في سياسة المملكة قشتالة بعدما تزايد نفوذهم ، فتمتعوا بصلاحيات واسعة خاصة بعدما وقع اختيار البابا على القديس برنار ليكون رئيسا على الكنيسة الإبيرية لخدمة أغراضها [1].

فألغى جميع الطقوس القوطية المستعربية في كنائس الممالك النصرانية إبتداءا من سنة 1085م بدعم من روما واستبدالها بطقوس لاتينية وذلك في خطوة لربط قشتالة والممالك المسيحية الأخرى بالكنيسة الغربية الكاثوليكية .لكن لم تلبث الكنيسة المحلية المستعربية تدارك الموقف باسترجاع مكانتها فبادر رجال الدين بإجراءات خلع برنار لما غادر طليطلة إلى روما ليحصل على الثوب الكهنوتي من البابا باعتباره أجنبيا لا محل لتفضيله ، لكن هذه الحركة فشلت لما علم الراهب برنار فعاد سريعا لطليطلة وقام بتصفية المشاركين في تنحيته واستبدالهم برجال دين غاليين ، استهداف رهبان كلوني المسلمين إذ عملوا على نقض اتفاقية تسليم المدينة التي أبرمها يحي القادر وألفونسو السادس ، فحولوا المسجد الجامع إلى كنيسة سنة478 هـ/1085م بعد شهرين من تسلم المدينة ، وذلك من أجل القضاء على المعالم الإسلامية فيها وصبغها بالطابع المسيحي وتحويل المسلمين إلى مسحيين من خلال تحبيبهم في المسيحية و كسب قلوبهم بإشاعة العدل بينهم والاحترام لهم مما اضطر بعضهم لمغادرتها [2] .

شاع جوا من التفوق في صفوف القشتاليين جراء انتصاراتهم وتخاذل المسلمين تعززه دعوات رهبان كلوني التحريضية ، مما دفع الفونسو إلى إنهاء سياسة التعايش مع ملوك الطوائف ، التي دعا إليها المستعربون على رأسهم سسناندو الذي نصح ألفونسو بحكم الأندلس اعتمادا على ملوك الطوائف بدلا من احتلال أراضيهم وذلك بقوله : (( لا تلح على ملوك الجزيرة فلست تستغني عنهم ولا تجد عمال أطوع منهم )) [3] .

---

(1)أحمد بن عبدون : المرجع السابق ، ص 214.

(2) إبن الأبار : المصدر السابق ، ج4 ، ص88 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج1، ص 428 ؛ ليفي بروفنسال : المرجع السابق ،ص 148؛ أشباخ: المرجع السابق ، ص 168 .ونظر أيضا: Bartome Bennassar,op. cit,p.198. .

(3) إبن بسام : المصدر السابق ، ق4، ج1 ، ص 254، 274 ؛ عبد الله عنان: دول الطوائف،ص111.

إن هذه السياسة المسالمة في الحقيقة، نبعت من تأثر المستعربين بالمسلمين من جهة وتخوفهم من استنجاد ملوك الطوائف بدولة المرابطين القوية من جهة أخرى ،الشيء الذي سيؤدي بلا شك من القضاء على مصالح قشتالة .لكن ألفونسو أراد السيطرة الفعلية على الجزيرة ،بل اعتبر نفسه الحاكم الشرعي للأندلس و لعل ذلك ما حمله على اتخاذ لقب إمبراطور ذي الملتين يعني على أهل الدينين الإسلام والمسيحية، (Imperatur Tutius Hispaniae) وذلك بعدما اتخذ طليطلة عاصمة جديدة لمملكته بدلا عن برغش ، لمكانتها وقوة دفاعاتها الطبيعية وموقعها المتقدم الذي يتوسط شبه الجزيرة الإيبيرية ،وقد دفع الطموح ألفونسو إلى الوصول إلى قرطبة لكي يكتمل له النصر النهائي ويبلغ ذروة الملك ويضع التاج على رأسه ،وكانت الفرصة مهيئة لذلك بعد الاستيلاء على طليطلة وسقوط خط التاجو بما فيه من ضياع و مدن ،والتي امتدت جنوبا حتى جبال قرطبة سيرا مورينا ( sierra Morena ) وسميت قشتالة الجديدة (Castilla la Nueva) [1].لكن هذا النصر كان نكبة لملوك الطوائف يتحملها ابن عباد وهو يومئذ أعظم أمرائهم ، لإدراكه التفريط في حق إخوانه من أهل طليطلة ومساعدة ألفونسو على أخذ بلدهم ،وأنه لن يمض وقت طويل حتى يواجه الخطر نفسه ، وقوته كباقي دول الطوائف قاصرة عن إيقاف التمدد القشتالي مما اضطره الاستنجاد بالقوة المرابطية الصاعدة في المغرب لدرء الخطر القشتالي ، فأرسل في طلبها لكن ابن المعتمد وولي عهده المدعو الرشيد تخوف من دخول المرابطين للأندلس و ما ينطوي عليه من مخاطر بزوال عروش ممالك الطوائف من بينها عرش والده ، فرد عليه المعتمد أنه لن يترك الأندلس للنصارى وإنه يؤثر رعي الجمال لسلطان المرابطين على أن يرعى الخنازير لألفونسو [2]. ومن ذلك كله فإن سقوط طليطلة يشكل تطورا سياسيا كبيرا في تاريخ الأندلس ، وعاملا حاسما ينذر ببداية تحول شبه الجزيرة الإيبيرية سيجر هذه الأخيرة إلى دخول عصر جديد . يتميز بأفول نجم ملوك الطوائف وانتقال السيادة فيها إلى دولة المرابطين حامية حمى الإسلام والمسلمين في المغرب والأندلس .

(1) ابن بسام : المصدر السابق ، ص 131، 132؛ ابن الكردبوس: المصدر السابق ، ص 87 ؛ بن تغري بردي :النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج6، دار المعارف ،القاهرة ، 1972، ص 137 ؛ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص149؛ أنظر أيضا ملحق10.

(2) أبن الكردبوس : المصدر نفسه ، ص 89 ؛ ابن خلكان :وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ،ج2،دار الثقافة ،بيروت ، 1968 ، ص 483. ونظر أيضا :.Alphen(L) :L Essor de l Europe , paris. 1967,p.220

ج- بلنسية (valencia) :

تشكل مدينة بلنسية قاعدة من قواعد مدن شرق الأندلس و هي إحدى عواصمه الساسة ، تقع على مستو من الأرض عامرة القطر كثيرة التجارة والعمارة بها اسواق وبحارات على البر والبحر ، فتحها المسلمون سنة92هـ/ 711م [1].فأصبحت مدينة إسلامية .تحولت إلى مركز مقاطعة بأرض الأندلس في عهد بني أمية و بعد سقوط الخلافة غدت من أهم الأهداف المرصودة لحركة الاسترداد[2].

- الإظطراب السياسي ببلنسية:

أصبحت مركزا لحرب السلطان الذي ساد عصر ملوك الطوائف وتمثل نموذجا للفوضى السياسية العارمة وميدانا نشيطا لتقلبات السياسية المثيرة للقلق والاضطراب. استولى عليها الفتيان العامريان مظفر و مبارك سنة 401هـ/1010م، بعدما كانا مفتشين في ميدان الري ببساتين بلنسية إبان الخلافة ، و انتهى حكمهما سنة 408هـ/1017م و تولي أمر بلنسية بعدهما لبيب العامري الذي انتهى حكمه بعدما أساء السيرة إتجاه أهلها و خضع لأمير برشلونة المسيحي الذي فتح له باب التدخل في شؤون المدينة ،وقد اغتاظ أهل بلنسية لهذا السلوك فبادروا بمبايعة أحد أحفاد المنصور ابن أبي عامر و هو عبد العزيز ابن عبد الرحمن المدعو شنجول سنة 411هـ/1020م ،و تلقب بالمنصور ولم تتعرض بلنسية في عهده لهجمات مسيحيي الشمال وارتاحت من شرهم حينا من الدهر توفي سنة 452هـ /1061م ،ومن بعده حكم بلنسية ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر صهر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة ،هذا الأخير الذي وضع مشروعه للاستيلاء على بلنسية و كان له ما أراد بحجة أن عبد الملك بالغ في اهانة ابنته تارة و أنه يأوي أعداء ابن ذي النون تارة أخرى ، وفي سنة 457هـ/1064م صارت بلنسية من أعمال طليطلة و يحكمها احد أتباع المأمون، ولما سيطر ألفونسو السادس على طليطلة انتقلت إلى بني ذي النون مباشرة وذلك بموجب المعاهدة المبرمة بين ألفونسو ويحي القادر بن ذي النون صاحب طليطلة المهزوم. [3]وفي نفس السنة أي 478هـ/1085م تسلم يحي بن ذي النون عرش بلنسية تعويضا لفقدانه عرش طليطلة ، وقامت دولة بني ذي النون من جديد بعدما سقطت في طليطلة وهي دولة ضعيفة تدين بوجودها لملك قشتالة [4] .

(1)الادريسي : المصدر السابق، ص556؛ ياقوت الحموي : المصدر السابق ,ج1 ،ص491 .

(2) شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ج3 ، ص 50 ـ 51.

(3)ابن عذارى: المصدر السابق ،ج3 ،ص163 ـ 164؛ ابن الخطيب :المصدر السابق ،ص 195.

(4) الطاهر مكي: المرجع السابق ، ص 110.

- سقوط بلنسية :

لا شك ان الموقع الجغرافي المتميز الذي تنعم به بلنسية كان سببا في إثارة الاهتمام بها من قبل رواد حركة الاسترداد بشمال الأندلس وكذا تقرير أمر الاستيلاء عليها بعد طليطلة . ويرجع أول هجوم عليها إلى عهدفرناندو ملك قشتالة سنة 457هـ/1064م في عهد عبد الملك المظفر ، وجاء هذاالهجوم كرد فعل نتيجة ما قام به المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة من رفض لدفع الجزية لقشتالة ، وانتزع مدينة بربشتر من يد الصليبيين الذين استولوا عليها عام 456هـ/1063م ،و أعقب ذلك سوء معاملة النصارى المعاهدين المقيمين فيها ، هاجم فرناندو أراضي سرقسطة وشملت الحملة أراضي بلنسية التي حاصرها و عمل الحيلة في القضاء على أهلها. إذ تظاهر فرناندو برفع الحصار عنها و الابتعاد بجيشه عن المدينة فخرج أهلها لمطاردة الجيش القشتالي المنسحب ، وهم يلبسون افضل الثياب وكانهم في يوم عيد وخرج من ليس له دراية في الحرب لجلب القشتاليين ، فخرج عليهم الكمين فقتلوا وأسروا ولم ينج منهم إلا الشريد ،وأعاد فرناندو الحصار على المدينة مجددا والذي لم يدم طويلا بسبب انسحاب الجيش القشتالي إثر المرض الذي أصاب ملكهم [1]. وفي عهد ابنه ألفونسو خضعت بلنسية لنفوذ قشتالة بطريقة غير مباشرة بعدما تمكن ألفونسو من السيطرة على طليطلة وتعهد لصاحبها السابق يحي القادر ابن ذي النون أن يعينه أو يملكه بلنسية في اتفاق تسليم مدينة طليطلة،وكأنما تصبح المدينة تابعة وفي وسع قشتالة السيطرة عليها في أي وقت وهذا ما حصل ، إذ دخل يحي القادر وأتباعه المدينة سنة 478هـ/1085م في موكب مهيب واستقر بقصر الإمارة تصحبه فرقة من جند قشتالة ، واستبد بالمدينة فصادر أموال بعض الأغنياء وفرض على بعضهم الأخر الغرامات ، وثقلت وطأت جند قشتالة على الأهالي ، فانتزع القادر منهم الأراضي ووزعها على جند قشتالة بدلا عن رواتبهم المتأخرة ،فاستعملوا العبيد في فلاحتها وجنوا منها أموالا كثيرة [2] .مكثت الفرقة العسكرية القشتالية ردحا من الزمن في مدينة بلنسية ضمنت أثناءه ليحي بن ذي النون أسباب الاستقرار والبقاء . وبعده قفلت عائدة إلى مملكة قشتالة غير أن النفوذ المسيحي لم يختف من مدينة بلنسية

(1)إبن عذاري : المصدر السابق ، ج3 ،ص252، 253 ؛ ابن سعيد: المصدر السابق ، ج2، ص303، 304.

(2)ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 98 ؛ المقري :المصدر السابق ، ج4، 455 ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج4، ص 349 ؛ ابن بسام : المصدر السابق ، ق4،ج1، ص 130 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ص54 ؛ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والأندلسي ، ص 471.ونظر أيضا: Prieto y Vives(M) , Los Reyes de Taifas, Univesided de Madrid , Madrid ,1961,p.24.

وإنما ظل جاثما يبسط جناحيه عليها وهذه المرة بواسطة رجل مغامر يعمل لحسابه الخاص يسمى يسمى رودريجودياث RedrigoDiaz والمعروف بلقبه الشهير السيد (le cid)* [1]،الذي طمع في الجهة الشرقية من

الأندلس لما رأى ضعف الجبهة الإسلامية وما جرى لها من تفكك وفوضى مستمرة ،فأراد أن يستغل الفرصة ويكون له إمارة ببلنسية او يكون له بها موطا قدم على الاقل ، فخرج من قشتالة في سبعة الاف مقاتل و اتجه نحو المدينة التي لقي بها التكريم والحفاوة من قبل يحي القادر فعرض عليه السيد حمايته من جيرانه مقابل عشرة ألاف دينار شهريا ، استطاع السيد أن يفرض نفوذ القادر على جميع القلاع والحصون التابعة لبلنسية، و أن يرغم قادا على دفع خراج مناطقهم له فاستجابوا لأمر السيد إتقاءا لشره ،ولم يكتف السيد بذلك بل امتد نفوذه على منطقة شرق الأندلس كلها [2] ،وكثر اتباعه حتى من المسلمين الذين إستهوتهم المغانم وأموال الجزية وأصبحت مدينة بلنسية تحت حكم النصارى الذين بدؤوا يتزايدون ، كان بالمدينة حارة المعاهدين النصارى الذين بقوا في المدينة منذ الفتح الإسلامي تدعى ( Los Mozarbes )كما كانت حارة أخرى تدعى ربض الكدية ( Alcudia) في شمال المدينة مخصصة لنزول مرتزقة السيد ، أدى هذا الوضع الذي آلت إليه المدينة إلى سخط أهلها على القادر والسيد على حد سواء فتصلوا بالمرابطين طلبا للمساعدة من أجل الوقوف في وجه المرتزقة ومن والاهم ، وكان على رأس هؤلاء الناقمين القاضي ابن الجحاف[3] .

(1) حسين مؤنس السيد: القنبيطور و علاقاته بالمسلمين , المجلة التاريخية المصرية، ج2، ص28؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ص 52 53.

(2) طه مكي : المرجع السابق ، ص 155.

(3)هو جعفر ابن عبد الله المعافري يكنى أبا أحمد من أهل بلنسية وقد طلب بها الأحكام ا قبل توليه القضاء ،أنظر ابن الآبار : التكملة لكتاب الصلة ، عبد السلام الهراس، ج1 ، دار الفكر ،بيروت ، 1995، ص 194.

* ولد السيد بقرية بيبفار VIVAR قرب مدينة برغش عاصمة مملكة قشتالة و يعرف في المصادر الإسلامية بالقنبيطور أو لذريق ورد عند القضاعي ، الحلة السيراءج2،ص 126، بالكنبيطور أو الطاغية ،ويسميه المقري ،القنبيذور ، وجاء في كتاب ابن الأبار باسم القنبيطور و تعني كلمة campeador الخبير بالغزوات في أرض الأعداء . عمل السيد قائدا للجيش القشتالي في عهد سانشو أخي ألفونسو السادس ملك قشتالة،كما كان يعمل لحسابه الخاص أحيانا أخرى كقائد لفرقة من جند المرتزقة ، قاتل مع بن هود صاحب سرقسطة ، ومع بن عباد صاحب إشبيلية .وعتاد القتال في صفوف المسلمين والمسيحيين على حد سواء. و قد لعب القنبيطور دورا بارزا في أحداث شرق الأندلس في عصر الطوائف .هلك ببلنسية في سنة 494هـ/1099م .أنظر عماد السيد أبو مصطفى :بحوث في تاريخ و حضارة الأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،1993،ص27.حسين مؤنس: السيد القنبيطور ،المرجع السابق، ص28؛ شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ص 52 53.

كانت استجابة المرابطين* لهذه الصرخة سريعة ،حيث وصلت فرقة عسكرية منهم على عجل إلى بلنسية ،وبحجت في فرض واقع جديد بها ،حيث قتل يحي القادر على يد فتى من بني الحديدي انتقاما لمقتل وليه ابي بكر بن الحديدي وزير طليطلة سالف الذكر بأمر من بن الجحاف وحمل رأسه على عصا يطاف به في الأسواق ، واختير ابن الجحاف حاكما للمدينة ودخل قصر الإمارة ووضع يده على جميع أموال يحي القادر في24 رمضان سنة 485هـ/28 أكتوبر1092م [1] .وبعد هذه الخطوة الناجحة ،انكب القاضي بن الجحاف على حشد الجند وتحصين المدينة التي جعل عليها فرقة من ثلاثمائة فارس من المرابطين ومن البلنسيين استعداد للمواجهة مع السيد ، الذي علم بهذه التطورات المتلاحقة و الخطيرة وهو بسرقسطة .الواقع أن السيد الذي اشتهر بروح المغامرة ورباطة الجأش ،لم يكن شخصا هيننا يستسلم للأمر بسهولة إذ لم يلبث أن عاد سريعا لبلنسية لتدرك الموقف ،كأن امتلاكها حق مكتسب له ، وعند وصوله إليها ضرب الحصار عليها ، بعد أن فرض الغرامات على معظم الحصون المجاورة للمدينة وحاصرها ،بعدما اجتمع إليه أنصار الملك المقتول ،إذ بعث السيد إلى ابن الجحاف يطلب المئونة المخزنة في المدينة فرد عليه بأن مؤنته نفدت وأن المدينة أصبحت للمرابطين .

و قد كان رد فعل السيد على هذا الموقف أن زاد إمعانا في تشديد الحصار على المدينة ثم بعث للحصون المجاورة يستمد منها الأقوات لجيشه المرابط حول المدينة فامدوه بها سنة 485/ 1092[2] ، عانى أهل بلنسية من الحصار المحكم و المضايقة الشديدة فظهر بينهم الخلاف،وبدأ ابن الجحاف يضيق بوجود المرابطين في المدينة فاستغل السيد ذلك وأرسل إليه بطرد المرابطين ويتعهد له بأن يتركه ملكا على بلنسية ، وأن يدفع القاضي له الجزية المقدرة بألف دينار مع ما تأخر منها من وقت أن بدأت الحرب ، ويمد السيد ابن القاضي بالعون والحماية كلما طلبها بعدما يغادر المرابطون . ولم يتردد القاضي في الموافقة على هذه الشروط فقام بتقليل رواتب جنود المرابطين وتأخير صرفها ، بل إنه امتنع عن دفعها بحجة أنه لم يعد لديه ما يعطيه لهم فانسحب المرابطون وعادت المدينة خاضعة تدفع الجزية كما كانت وقت حكم القادر [3] .

(1) ابن عذاري: المصدر السابق ،ج3، ص 205؛ ابن الخطيب:المصدرالسابق،ص 203؛ابن الآبار:المصدرالسابق،ج1، ص194.

(2) ابن عذاري : نفسه ، ج3، 205 ؛ ابن الخطيب : نفسه ، 302.

(3) المقري : المصدر السابق ، ج4 ، ص 453 ؛حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص 59؛ أحمد مكي : المرجع السابق ، ص113.

*دولة إسلامية أقامها بربر قبيلة لمتونة وهي فرع من صنهاجة نسبت للمكان الذي انطلقت منه دولتهم،أسسها يحي بن براهيم الجدالي على المذهب المالكي،بسطت نفوذها من السنغال إلى الجزائر شرقا والأندلس شمالا بلغت أوج عظمتها في عهد يوسف ابن تاشفين، سقطت تحت ضربات الموحدين ،دام سلطانها من سنة 1056م إلى 1147م .

على أن ابن الجحاف لم يقدر عواقب تصرفه حق قدرها ، مما يؤشر على نقصه في الخبرة السياسية وعدم درايته بشؤون الحكم ، ويدل هذا السلوك أيضا على جهله التام بطبائع رجال المرتزقة ، الذين لا يدركون مكارم الأخلاق ولا يحترمون عهودا .ذلك أن السيد لم تكد قوات المرابطين تبرح مدينة بلنسية حتى نقض الاتفاق وهو في موقف قوة وتمكين . طلب السيد من القاضي أن ينزل هو وجنوده في ضيافة بلنسية ، فوافق القاضي مرغما على الرغم من أن ذلك يثير شعور السخط لدى سكان المدينة. وبالفعل قام أهل بلنسية بخلع القاضي ابن الجحاف واستبدلوه برجل يدعى ابن الحسن بن واجب سنة 487هـ 1093م صاحب الأحكام في المدينة الموالي للمرابطين [1]،و اشتد الحصار على المدينة في عهده وغلت الأسعار فيها ،فأسترد القاضي مكانته وبايعه أهل المدينة للمرة الثانية سنة 487هـ/ 1094 م ،وما كاد القاضي يستأنف مهامه على راس المدينة حتى اجتمع باعيانها وطلب منهم دفع الجزية للسيد وتوجه إليه لتحاور معه وعرض شروطه ، فكانت التنازل عن نصف دخل المدينة و المزارع المتصلة بها ويقوم على جبايتها رجل يعينه السيد يقيم داخل المدينة ، كما طلب من ابن الجحاف ، أن يرهن ابنه لدى السيد ضمانا منه على تنفيذ الاتفاق [2] .

عندئذ رفض ابن الجحاف وأغلق أبواب المدينة ،وكتب إلى ابن عائشة قائد المرابطين يستغيث به وبعث بنفس الصريخ إلى المستعين ملك سرقسطة وألفونسو السادس فبعثا إليه يعدانه بالعون،استُأنِفَ الحصار على المدينة ، و قطِعَت عنها المرافق و الغذاء و نصب عليها المجانيق و نقبت الأسوار وعدم الناس الطعام واستمر ذلك عشرين شهرا ، فأكلوا الفأران و الكلاب و الجيفة إلى أن أكل الناس من مات منهم ، ومن غامر منهم بالخروج نُكِلَ به وأحرق ، وبلغ الناس من الجهد مالا يطيقون فلما طال عليهم البلاء و عدموا الصبر و لم يجدوا ناصرا وعزموا على تسليم المدينة للسيد الذي تحقق له تملكها بعد ما كتبت لمساعيه النجاح المنشود [3].

---

(1) بنو واجب من أعيان بلنسية وهم ينتسبون للعرب القيسية ومن زعمائهم في عصر ملوك الطوائف أبو الحسن صاحب ولد سنة 446 هـ/1053م وتوفي سنة 1126/519م ، أبن بشكوال ، الصلة ، ج2، ص 574.

(2)ابن عذاري : المصدر السابق ، ج3 ، 305 ، 306؛ ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص203، 204 ؛احمد مكي : ملحمة السيد ، ص 113.

(3) مؤنس : المرجع السابق ، ص66.

كانت نتيجة الصلح المبرم بين الطرفين أن نال أهل بلنسية من السيد الأمان على أنفسهم و أموالهم و أهاليهم و اشترط السيد على ابن الحجاف أن يعين لديه مندوبا يحصل الضرائب ، ويبقى ابن الجحاف قاضيا للمدينة بينما يتولى أحد أتباع السيد أمر المدينة بعد أن تحتلها حامية من النصارى المستعربين ، نزل السيد في قصر بلنسية و ذلك في نفس السنةو كان عليه في البداية ، إتباع سياسة توحي للسكان بحلم وصواب شخصيته وسيرته ،ذلك أنه لم يلبث أن تظاهر باحترام المسلمين من أجل تنفيرهم من قاضيهم ، فأمر بتغطية الأبراج المطلة على المدينة حتى لا يهتك عسكره حرمات دور المسلمين ،و أمر النصارى بأن يظلوا على احترامهم للمسلمين يسلموا عليهم إذا مروا بهم ويفسحوا لهم الطريق إذا قابلوهم ، ورفض السيد أمولا قد قدمها له القاضي بحجة أنه أخذها من الأهالي أيام المحنة ، ولم يتردد السيد في استقدامه أمام الشهود من الملتين المسلمين والنصارى فاستحلفه [1] على البراءة من أموال القادر بن ذي النون ،وأنه لم يخف منها شيئا وليس لديه شيء منها ،وأنذره السيد بأنه إن وجد لديه منها فسوف يعدمه وهذا ما كان ،إذ وقع السيد على مخبأ الحلي والذخائر التي انتزعها من القادر عند مقتله ، وعن عملية تنفيذ هذا الإعدام يقول ابن الآبار: " أمر السيد بتعذيبه ثم أمر به فجمع له الحطب و حفرت له حفرة و أقيم فيها ووضع الحطب حوله و أوقدت فيه النار فكان يضم الحطب إليه بيديه ليكون ذلك أسرع بخروج روحه" [2].على أن السيد لم يستمر في سياسته المبنية على مدارات ومهادنة المسلمين، إذ لم يلبث أن انقلب على البلنسيين فأذلهم وسلط عليهم قهره وأرهقهم بصنوف المظالم و المغارم ،واحتل مرتزقة السيد دورهم وأحياءهم ، وظل السيد يزاول سلطانه من قصر المدينة ،كأنه ملك متوج ،وسيد المملكة الأول بل سيد شرق الأندلس كله [3] .

---

(1) ابن عذاري :المصدر السابق ، ص 305 .

(2) ابن الآبار : المصدر السابق، ج1، ص194؛ المقري : المصدر السابق ، ج4، ص 445 ؛ عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص 23 .

(3) المقري: المصدر نفسه ، ج 1،ص 453 ؛ مؤنس : المرجع السابق ، ص71 ؛ أحمد مكي ،ملحمة السيد ، ص 337 338 ؛ عن ملحمة السيد أنظر الملحق رقم 07.

لما خلا له الجو بالمدينة واستقر له أمرها ، استقدم السيد زوجته إلى بلنسية الدونا خمينا ( Dona jimiena)وابنتيه اللتين تركهما في قشتالة بمنطقة كاردانيا (Cardena ).وفي بلنسية مارس السيد حكما مطلقا دون منازع ثم جعل من هذه المدينة الإسلامية مقره العسكري ، وحول مسجدها الجامع لكنيسة* تحمل اسم سانتا ماريا(Sta Maria) وأخذ في توسيع ممتلكاته [1]، كان لسقوط بلنسية نفس الأثر في نفوس الأندلسيين الذي خلفه سقوط طليطلة واعتبروه نذيرا لما سيحدث لجميع حواضر الأندلس ،وتوالت الرسائل ليوسف ابن تاشفين لتدارك الموقف وإنقاذ ما تبقى من أراضي شرق الأندلس من السقوط في يد النصارى ، ولم يكن خافيا على السيد استعداد المرابطين لاسترداد ما في يده ، فأخذ يعد العدة من أجل مواجهتهم ، فعقد حلفا مع ملك أراغون الملك بيدرو الأول ابن ردمير سنة 487هـ/1094م ،هدفه الأول مواجهة المرابطين ، هذه المواجهة التي لم تطل طويلا إذ زحف الجيش المرابطي على منطقة بلنسية ، وتأهب السيد من جهته للمواجهة وانتزع من أهل بلنسية السلاح لكي لا يقع بين عدوين لأنه كان يتوجس من أهل المدينة شرا بل إنه سجن الذين لا يثق بولائهم له [2] ، باغت السيد جيش المرابطين وتمكن من الانتصار عليهم في معركة كوارت (Cuart) في شوال سنة 488هـ/ اكتوبر1094م وغنم الكثير من العتاد والمؤن ثم عاد إلى بلنسية غانما مظفرا ، حيث تحصن بالمدينة من جديد ، على أن هذا الانتصار المفاجئ الذي أحرزه السيد لم يمنح المدينة الأمن والاستقرار المنشودين ، حيث ظلت بلنسية تعيش تحت طائلة الصراع الإسلامي المسيحي إلى أن استردها المرابطون من قبضة السيد سنة 499هـ/ 1102م و بذلك انتهى الصراع عليها لتعود لحظيرة الدولة الإسلامية ولتنعم بالسلم مجددا [3] .

(1) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص 194.

(2) احمد الطاهر مكي :ملحمة السيد،ص 143.

(3) ابن عذاري : المصدر السابق ، ج4 ، 36 35.

*كان وراء تحول المسجد إلى كنيسة القديس "دون خرينمو" (Don Zeronimo)وهو راهب من أصل (فرنسي) من منطقة غالة ، كان مغامرا تملأ رأسه الأفكار الصليبية ، شارك في القتال إلى جانب السيد ، و منحه ضيعة واسعة في ضواحي بلنسية .انظر ملحمة السيد ، ص211.

## III موقعة الزلاقة ونهاية عهد الطوائف :

إن العلاقة التي ربطت بعض أجزاء الشمال الأندلس بملوك الطوائف تكشف بجلاء عن ميل ميزان القوة لصالح الممالك المسيحية مما جعلها تضغط على حواضر الأندلس الإسلامية يوما بعد يوم وباستمرار قصد إسقاطها،فاشتطت في طلباتها من أجل التحلل من مواثيق عقدوها مع ملوك الطوائف الذين كانوا في حالة عجز عن مواجهتها خاصة بعد سقوط طليطلة في قبضة قشتالة.

ومن ثم كان لزاما على مسلمي الأندلس التطلع إلى جلب عون خارجي فاتجهت أبصارهم تلقاء دولة المرابطين بالمغرب التي كان لتدخلها أثر فعال في تغيير ميزان القوة ردحا من الوقت لصالح المسلمين في الأندلس(1).

وقد حدث في عهد المعتمد بن عباد الذي عرف بولائه لصاحب قشتالة أن وصلت إلى اشبيلية سفارة من لدن الملك ألفونسو السادس ، يتزعمها أحد وزراء قشتالة ، يسمى ابن شاليب اليهودي ، الخبير في شؤون العملة ، ومعه فرقة من الجيش القشتالي التي عسكرت خارج المدينة وذلك سنة 478هـ/1085م ،وما إن حل هذا الوفد بالمدينة حتى سارع ابن عباد إلى تقديم الجزية المفروضة عليه لرئيسه ابن شاليب .

غير أن هذا الأخير رفضها وردها إليه بحجة أن الأموال المتحصل عليها زائفة ومزورة ،ثم وجه لابن عباد تحذيرا يهدده فيه بجتياح سيده ألفونسو لمدائن المملكة إذا لم تستبدل هذه الأموال بعملة سليمة .ورافق هذا التحذير أيضا طلبا يلتمس من خلاله القساوسة السماح لزوجة ألفونسو أن تلد بمسجد قرطبة . فأبلغ المتعمد ابن عباد بكل هذه التطورات فثارت ثائرته وأرسل بالجند فقبضوا على جميع أعضاء السفارة ،وأراد اليهودي أن يتدارك الموقف ، لكن المعتمد رد عليه حسبما يذكر السلاوي ردا شديدا بالقول (( لو أعطيتني العدوة والأندلس ما قبلتها منك ))، فضربه حتى جحظت عيناه وأغمي عليه وقيل أنه ضربه بمحبرة كانت بين يده فأنزل دماغه في فمه ،وأمر به فصلب وعلق على أسوار المدينة وسجن النصارى الذين معه(3) ، كان لموقف بن عباد الصارم تجاه الوفد القشتالي تبعاته ، فهذه الحادثة تعتبر بمثابة نهاية التحالف او الهدنة بين قشتالة و اشبيلية ، إذ أنه لما علم ألفونسو بما وقع اضطر إلى إرجاع بعض الحصون القريبة من قرطبة للمعتمد نظير إطلاق صراح الوفد المرافق لسفارة من المسيحيين المحتجزين عنده ، لكنه عزم على غزو إشبيلية و أن يخرب أراضيها

(1) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج6، دار المعارف ،القاهرة ، 1972 ، ص137.
(2) ابن خلكان : المصدر السابق ، ج5 ، ص 29؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 89.
(3) السلاوي : المصدر السابق ، ج1 ص 38.ونظر أيضا :. Prieto y Vives(M) Los Reyes de Taifas, .p.166.

لأن ألفونسو السادس اعتبر ما وقع مساس بكرامته و صفعة لكبريائه وهو إمبراطور الملتين وقد آثر أن يرد على هذه الإهانة بقوة شديدة لا قبل للمعتمد بها .وتنفيذا لهذا الانتقام تحرك ألفونسو على رأس قوة نحو إشبيلية وعند وصوله إليها أحاطها بالحصار وعسكر هو في مواجهة قصر المعتمد .

وأثناء الحصار أرسل إلى ابن عباد رسالة يسخر فيها منه بان يبعث له من قصره مروحة يروح بها ويطرد بها الذباب،فرد عليه المعتمد قائلا (( ...سأنظر لك في واحدة في يد الجيوش المرابطية تروح منك لا عليك .)) ،وكان قبل ذلك قد أجمع أمره على مراسلة المرابطين يستنفرهم لنجدته ونجدة الأندلس بعدما حذره ملوك الطوائف من مغبة قدوم المرابطين واستئثارهم بالبلد دونهم وقالوا له (( سيفان لا يجتمعان في غمد واحد )) بمعنى ان الجزيرة لا تتسع لكليكما فاجابهم إجابته المعروفة(( رعي الجمال خير من رعي الخنازير ))[1].

وقد أيده في اتخاذ هذا الموقف كل من ابن الأفطس صاحب بطليوس، والأمير عبد الله ،صاحب غرناطة. وأخذت فكرة الاستعانة بالمرابطين طابعها الرسمي حينما بعث الأمراء الثلاثة قضاة حواضرهم إضافة لقاضي الجماعة في قرطبة ليحفزوا يوسف بن تاشفين على الجهاد ،ووزير المعتمد ابن عباد من أجل عقد الاتفاق في جانبه السياسي وأخذ المواثيق السلطانية [2] .

استجاب يوسف بن تاشفين دون تردد لهذا النداء فعبر إلى الأندلس سنة 479هـ/1086م حيث لقي الاستقبال والاحتفاء بمقدمه وسلمت له قلعة الجزيرة الخضراء فشحنها بالأقوات والذخائر لكي تصبح ملاذا له إذا منيت حملته بالفشل،سار جيش المرابطين إلى نواحي اشبيلية والتي انتظر بها ثمانية أيام ليستكمل أهبته وينتظر مقدم الأمراء الأندلسيين،إذ التحق به المعتمد ابن عباد وقوات اشبيلية والأمير عبد الله وقوات غرناطة ثم سار الجيش إلى بطليوس فالتحق ابن الأفطس ،وبلغت التقديرات المعتدلة للجيش حوالي ثمانية وأربعون ألفا ،نصفهم من الأندلسيين والنصف الأخر من المرابطين،وأما ألفونسو فجمع من جهته قوة كبيرة إذ شاركت جميع الممالك المسيحية في هذه الحرب لكونها حرب صليبية واحدة ضد اعداء الدين ، ومن ذلك تلزم كل المسيحيين في الأندلس بالمشاركة فيها[3].

(1) السلاوي : المصدر السابق ، ج1 ، 49؛ المراكشي: المصدر السابق ، ص 103؛ عبد الله عنان ، المرجع السابق ،ص 324؛ أشباخ :تاريخ الأندلس في عصر المرابطين والموحدين ،ص 72.

(2) القضاة هم على التوالي:أبو إسحاق بن بقانة قاضي بطليوس وأبو جعفر القليعي قاضي غرناطة ، إضافة إلى قاضي الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن أدهم وكان أعقل أهل زمانه ، وأما وزير المعتمد فهو أبو بكر بن زيدون . ابن الآبار : المصدر السابق ،ج2، ص ، 99 ؛ السلاوي : المصدر نفسه ، ج1، ص 49.

(3) الأمير عبد الله: المصدر السابق ،ص103 104؛ السلاوي :المصدر نفسه ، ج1، ص 49، دوزي : المرجع السابق ،ص 230.

ولاشك أن ملك قشتالة نجح هو الأخر في جمع شمل القوى المسيحية بالأندلس وتكوين جبهة عسكرية متراصة ، حيث انضوت ت لوائه قوات أراغونية بقيادة سانشو رميراز وصاحب برشلونة بيرنجير رامون ،وجمعت قوات أخرى كبيرة من جليقية وليون وأشتوريس وقشتالة .

وقد قدر حجم الجيش المسيحي الموحد بحوالي خمسين ألف مقاتل وسار ألفونسو. عنويات مرتفعة واثقا من النصر .و التقى الـمعان نطقة الزلاقة ببطليوس ولم يفصل بين القوتين سوى فرع وادي صغير. فرتب المسلمون قواتهم ترتيبا اخيرا وقسموا جيشهم إلى ثلاثة اقسام ، قسم يضم القوة الأندلسية يقودها ابن عباد ،وقسم الجيش المرابطي إلى فرقتين يقود إحداها يوسف بن تاشف وهي فرقة احتياطية.أما ألفونسو السادس فقد جعل القائد البرهانس* (Alvas Hanez) في المقدمة . وقبل أن يلتحم الجيشان في المعركة تراسل الطرفان كما اقتضت تقاليد ارب آنذاك ،فأرسل يوسف بن تاشفين كتابه إلى ملك قشتالة وليون يعرض عليه الإسلام أو ازية أو ارب .وبعد أن قرأه اشتط غضبا ثم امر بكتابة إجابة غليظة كلها تهديد ووعيد ، فعلق يوسف على ظهر كتابه بعبارة "ما يكون غطاءه " [1].

وعلى إثر ذلك اتفق الطرفان على خوض اعركة يوم الاثن لأن أيام الـمعة والسبت و الأحد هي أعياد المسلمين واليهود والمسيحيين على التوالي ، ورغم ذلك لم يخلد المسلمون للراحة خاصة المعتمد بن عباد الذي توقع هجوم ألفونسو السادس قبل اليوم المتفق عليه ، لذلك بث بعض العيون لمراقبة تحركات جيشه . وبالفعل بدأت ركات ايش اسيحي قبل الوقت اوعود ، فأسرع المعتمد بن عباد إلى نقل الخبر إلى يوسف ابن تاشفين الذي وجده على أهبة الاستعداد [2].

(1) اراكشي : اعجب ،ص 133؛ دورزي : تاريخ مسلمي إسبانيا ، ص 233؛ أشباخ : المرجع السابق،ص80.

(2) اراكشي: اصدر نفسه ، ص 103، السلاوي : الاستقصاء ، ص 49 50؛ عبد ا عنان ، ارجع السابق ،ص 324.

*تسميه المصادر العربية البرهانس كان حاكم لمدينة زورتا zorita إحدى ادن القشتالية الشمالية ،وبعدها أصبح من كبار الفرسان في بلاط ألفونسو السادس ، وسفيره لدى دول الطوائف في أحيان كثيرة ،عين حاكما لطليطلة من سنة 1109إلى 1114م وفي العام الأخير أغتاله أهل شقوبية وهو يدافع عن حق الملكية ، وتدعوه ملحمة السيد أنه ابن أخيه ، ا من الموت في معركة الزلاقة ووصل طليطلة مثخننا بالجراح.أنظر ملحمة السيد، ص 202 205.

وفي فجر الجمعة يوم 12 رجب 479/23 أكتوبر 1086 ، واشتبك الطرفان في معركة عنيفة كان النصر*حليف المسلمين وفر ألفونسو إلى طليطلة مع بعض من جنوده في جنح الظلام بعدما أصيب في فخذه وكاد يقتل ،كان لانتصار المسلمون في معركة الزلاقة ضربة قوية وقاصمة لقشتالة ، كبرى الممالك المسيحية في الاندلس ، ويعد منعرجا هاما في تاريخ العلاقة المسيحية الإسلامية بهذه المنطقة ويؤشر ايضا إلى تغيرا ما قد بدأت ملامحه تلوح في الأفق الأندلسي[1].لكن هذه النتيجة لم تؤدي إلى حسم الصراع والقضاء على النفوذ المسيحي نهائيا .ذلك أن ألفونسو وبعد مضي سنتين عن هذه الهزيمة ، تمكن من استجماع قواته وتنظيم صفوفه فعاد إلى سابق عهده ، يسلط تهديده على المسلمين بشن الغارات العسكرية على اراضيهم وفرض الجزية عليهم . بعد انتصار الزلاقة اجتمع يوسف بن تاشفين بملوك الطوائف و حثهم على الوحدة و نبذ الخلاف لكن هذا النصح لم يجدي نفعا ،حيث عادوا لينغمسوا في الخلافات المحلية المثيرة للفرقة والوهن والفوضى وهو ما دفع المرابطين إلى التخلي عن محاصرة حصن لبييط** الذي تحصن به مسيحيي الشمال لمضايقة مدن الأندلس سنة 481هـ/1087م ، وهذا بعد جوازهم الثاني وسرعان ما تغيرت نظرة المرابطين تجاه ملوك الطوائف الذين سعوا إلى التقرب من الملك ألفونسو السادس ،فأرسلوا له رسائل يعربون له فيها عن الصداقة ويطلبون المساعدة ضد المرابطين ،فصمم بن تاشفين على خلعهم فعبرت الجيوش المرابطية للمرة الثالثة لهذا الغرض ،وكان أول من خلع عن العرش هو صاحب غرناطة سنة 483هـ/1090م ،تلاله سقوط عرش دولة بني عباد سنة 484هـ/1091م باعتقال آخر ملوكهم المعتمد بن عباد وإرساله إلى المغرب ليقضي بقية حياته هناك ،ثم جاء دور دولة بطليوس غربي الأندلس سنة 487هـ/1094م حيث انتهى عهدها بمقتل المتوكل ابن الأفطس[2] .

(1) الذهبي : المصدر السابق ، ج15، ص 194 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج7 ، ص117 ـ 118؛ المراكشي : المعجب ، ص 134، حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص 278 ، عبد الله عنان : دول الطوائف ،ص 324.

(2) الأمير عبد الله : المصدر السابق ، ص 106 ـ 108 ؛ ابن خلدون : العبر ج6،ص 385؛أشباخ : المرجع السابق ، ص 99؛ عبد الله عنان : دول الطوائف ،ص 354أنظر الملحق رقم 02. وأنظر أيضا Le Petit Robert, n°2,3ème Edition 1977,p.420-421.

*كان سبب النصر في هذه المعركة هو الوسائل الجديدة التي أدخلها المرابطون معهم ، كالخناجر المرابطية الشبيهة بالمناجل ورماح الزان الطويلة ، كما استقدموا معهم عددا وفيرا من الجمال و التي كانت تهابها الخيل وتفر منها . الذهبي : المصدر السابق ، ج15، ص 194

**شيده ألفونسو لمساعدة بن عمار وزير المعتمد بن عباد لمضايقة غرناطة. لكن ألفونسو سيطر من خلاله على المناطق الشرقية من الأندلس . سحر عبد العزيز سالم :المرجع السابق ، 234.

وهكذا □قفت نبؤة بن □عتمد بن عباد ، □سمى الرشيد حينما توجس خيفة من استقدام □رابط□ الى الاندلس لما ينجر عنه من احتوائهم لعروش ملوك الطوائف . وبهذا الفوز العسكري الباهر بجح بن تاشفين في طي صفحة تاريخ دول الطوائف التي جسدت في أبعد صورة عنصر الخيانة والخذلان والأنانية الضيقة . وبدخول المرابطين الى الأندلس انبلج عهد جديد بالنسبة للمسلمين قوامه الاستقرار والتوازن النسبي بين القوى المسيحية والإسلامية .وإذ كان هذا الواقع الجديد ، السياسي والعسكري ، الذي فرضه المرابطون هو بعيد عن عصر العزة والكرامة الذي عهده حكام الدولة الأموية، إلا أن هؤلاء □لثم□ □كنوا بفصل شجاعتهم وقوة شكيمتهم من اقاف ردحا من الزمن آلة الاسترداد المسيحية الداهمة التي لو استمرت على وتيرة الفونسو السادس لعجلت بنهاية الحكم الإسلامي قبل نهاية القرن الخامس عشر الميلادي .

# الفصل الرابع

مظاهر من التفاعل الحضاري بين شمال وجنوب الأندلس:

I/ بداية نهضة الأوضاع الداخلية بشمال الأندلس مطلع القرن الحادي عشر الميلادي :

- الهيئة الدينية البندكتية :
- محج سانت ياغو :

II/عوامل تغلغل الحضارة الإسلامية إلىالممالك المسيحية :

1/الرصيد الثقافي والحضاري للأندلس:

أ/ التعايش بين فيأت المجتمع الأندلسي :

ب/الرصيد المعرفي ( الكتب والمكتبات ):

2/وسائط نقل الحضارة والثقافة للممالك المسيحيين :

ا/ المستعربين :

ب/ المدجنين :

ج/ اليهود:

د/المرأة:

ه/المظاهر الاجتماعية و الاقتصادية:

III/ملامح من تأثيرات الحضارة الإسلامية في شمال الأندلس :

## بداية نهضة الأوضاع الداخلية شمال الأندلس في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي :

### - الهيئة البندكتية :

عرفت أوربا عامة و الممالك المسيحية بشمال الأندلس خاصة تأخرا حضاريا ملحوظا إبان المرحلة الأولى من العصور الوسطى ،لكن مع بداية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي بدأت هذه الأخيرة تعيش بوادر حركة تتلقى ثقافة دينية تجسدت على أيدي الآباء "البندكتيين" * الكنسيين ينتمي البندكتيين إلى هيئة دينية مسيحية أسسها القديس بندكت سنة 528م في دير مونت كاسينو Mont Cassino بايطاليا ثم انتشرت هذه الهيئة بعد ذلك في أنحاء الغرب المسيحي ،وقد امتاز الكثير من رجالتها باهتمامهم الواسع بالعلم حتى أصبحت هذه الكلمة أي البندكتي تطلق على العلماء المتبحرين في العلوم ، نفذ هؤلاء الآباء إلى الممالك المسيحية وأدوا خدمات جليلة في ميدان الثقافة .وكان شمال الأندلس المسيحي ميدانا خصبا لممارسة نشاطهم وفرض أرائهم فيها ، إذ وجد أعضاء هذه الهيئة طريقا مسطورا نحو قشتالة وأشتوريس ، خاصة في عهد الأسرة النافارية التي وحدت جميع الممالك المسيحية تحت تاجها ، حظي البندكتيون بمكانة بارزة إذ استطاعوا إدخال الكتابة اللاتينية مكان الكتابة المستعربية ،وإحلال الطقوس الدينية الرومانية محل الطقوس المحلية القوطية ، و من ذلك ألغيت الصلاة القوطية في أراغون سنة 1071م . لكن هذه الهيئة لم يلبث أن أمتد دورها إلى الجانب السياسي ومن ثم سعت إلى توطيد نفوذ البابوية وسياستها في كل أنحاء شمال الأندلس ونجحت في حمل الملك على وضع جميع أديرة المملكة تحت سيادة البابا. هكذا شكلت هذه الهيئة عاملا من عوامل بدء التغيير داخل المجتمع [1].

(1) أشباخ : المرجع السابق ، ص 161،125 ؛ محمد العروسي المطوي : المرجع السابق ،ص 156 ؛ هانس: المرجع السابق ،ص 35.

*دَيْر للرُّهبان في إيطاليا يقع بين روما ونابولي .حيث أنشأالقدّيس بنيدكت الرّهبنة البنيدكتّية الكاثوليكّية الرومانية. وفي حوالي سنة 529م، التمس القديس بنيدكت اللّجوء داخل حطام مدينة كاسينو هربًا من الاضطهاد، وبعدها بنا هووأتباعه دَيْرًا في مرتفع فوق المدينة.بلغت الرهبنة البنيدكتية قمة نفوذها في مونتي كاسينو من عام 1058م إلى1087م، وقد حكمها في ذلك الوقت رئيس ديسايدنيوس الذي أصبح البابا فكتور الثالث فيما بعد. ألف أساقفة مونت كاسينو المخطوطات ورسموا لوحات، أصبحت مشهورة في جميع أنحاء العالم. وفي عام 1071م، خصصت كنيسة جديدة لرهبانسمِّيت كاتَدرائيَّة عام1321 م.

- محج سانت ياغو :

سجل شمال الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي حركة نشطة كانت سببا في بعث روح جديدة في الكيان المسيحي الناشئ ، وشكل مركز هذا الانبعاث سانت ياغو* والتي سميت بهذا الاسم نسبة إلى قبر يعقوب المدفون في أحدى كنائس المدينة ، إلى محج للمسيحيين فأخذ الناس يشدون إليها الرحال من شتى نواحي العالم القديم من جنوب غالة و ايطاليا حتى أنه حج إليها مسيحيين من منطقة النوبة جنوب مصر ، و نشأ حول طريق الحج الذي يمر عبر جبال "البرانس" الغربية يشق بلدة جاقة في الشمال الشرقي لإسبانيا و يسير محاذيا لشاطئ بسكاية شمالا حتى يصل إلى سانت ياغو حركة تجارية ساهمت في ازدهار هذه المناطق ، خاصة بعد الاستقرار الذي شهدته قشتالة التي لم تتعرض لأي هجوم إسلامي منذ عهد المنصور بن أبي عامر آخر من غزا هذه المنطقة. لقد كان هذا الطريق من أعمر الطرق الأوربية في العصور الوسطى وأصبحت هذه الناحية البعيدة أكثر النواحي صلة وتمسكا بالعالم المسيحي وأضحى هذا المحج ( سانت ياغو)وسيلة من وسائل عبور شتى المؤثرات الثقافية و الاجتماعية وحتى السياسية للممالك المسيحية .(1)

(1) الإدريسي : المصدر السابق ، ج2، 725 ؛ محمد مؤنس عوض :المرجع السابق ،ص 64 ؛محمد محمود : المرجع السابق ، ص 30 ، 31 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور :المرجع السابق ، ص 541 ؛شكيب أرسلان : المرجع السابق ،ج2، ص 61 ؛ مؤنس :المرجع السابق ،ص 364 .

*قبر الحواري يعقوب او كنيسة سانت ياغو تقع في أقصى شمال غرب أسبانيا في مدينة سانت ياغو ولعل البعض يتعجب ما الذي أتى بالحواري يعقوب من فلسطين إلى أسبانيا،لكن هذا التعجب يزول مع الأساطير والقصص والحكايات .فقد كان تحديد القبر استنادا إلى قصه مفادها أن جثمان الحواري يعقوب تم نقله عن طريق البحر من المشرق إلى أسبانيا ودفن جثمانه في أقصى غرب أسبانيا وتم بناء كنيسه عليه سميت كنيسة سانت ياغو ،وبعد فترة قليله بدأ النصارى في أوروبا يحجون إلى هذا القبر المزعوم حتى أن نصارى روما او رومه كما يسميها العرب يحجون إلى هذا القبر وسلم الناس لهذه الأسطورة و انقادوا لها طائعين غير مناقشين ولا مستفسرين ، والنصارى يقولون إن الحواري يعقوب كان ملازماً المسيح عليه السلام ويسمونه أخو المسيح عليه السلام ، وقد تبين أن السبب في وضع هذه القصة والخرافة هو من أجل تقوية النزعة الدينية للنصارى الأسبان لمواجهة المسلمين في الاندلس وصد هجماتهم وغزواتهم في الشمال حتى إن المعارك التي كان يخوضها الأسبان ضد المسلمين في الأندلس كان النصارى الأسبان يرددون في الحرب شعار يا سانت ياغو وقد أثبت بطلان هذه الخرافة والقبر كثير من الباحثين الأسبان في العصر الحديث. أنظر عبد الله عنان ، الآثار الأندلسية ، ص342 ،344 ، 346 ؛ أشـــباخ : المرجـــع الســـابق ، ص 161،125 .

## عوامل تغلغل الحضارة الإسلامية وثقافتها داخل الممالك المسيحية بشمال الأندلس :

لا شك أن التأثير الحضاري الأكبر جاء من الجنوب خاصة في هذا العصر ، على الرغم من سلسلة من الحروب الكثيرة التي دارت بين المسلمين أنفسهم وبين المسيحيين والتفوق العسكري والسياسي الكاسح المسيحي الشمال بزعامة قشتالة[1] . لكن في فترات السلم امتدت عبرها قنوات الاتصال الكثيرة وأخذت الممالك المسيحية في الشمال تتأثر بالحضارة العربية الإسلامية النافذة بالازدهار والتقدم رغم الضعف السياسي المشهود لأحداا ملوك الطوائف. لقد برعت الممالك الإسلامية الأندلسية في المجال الحضاري والفكري ،وفي هذا الميدان ظهر هؤلاء الملوك في أثواب لامعة تحولت قصورهم المنتشرة في أنحاء أراضيهم إلى منتديات زاخرة يؤمها الشعراء والكتاب والأدباء من كل الأصقاع الإسلامية ،وأصبح عصرهم عصر إحياء فكري وضة فكرية تجاوز أثره حدود الأندلس الإسلامية ، ليعبر للممالك المسيحية في شمال الأندلس ومنها إلى أوربا قاطبة عبر قنوات اتصال وجسور ثقافية مختلفة. لكن يرجع الفضل في هذا كله إلى الرصيد الذي ورثه الجميع عن الدولة الأموية البائدة [2].

(1) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص 281 – 306 ؛ ابن سعيد المغربي: المصدر السابق ،ص21 ؛ ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص 90 ؛ شكيب أرسلان : المرجع السابق ،ج1 ، ص487.

(2) ابن عبد ربه : المصدر السابق ، ج4،ص 498 ؛ الحميري : المصدر السابق ، ص 295 ؛ دوزي : المرجع السابق ، ص 218، و222 وما بعدها .

## 1/الرصيد الثقافي والحضاري للأندلس:

### ا/التعايش بين فيأت المجتمع الأندلسي :

كان الفتح الإسلامي للأندلس حدثاً حضارياً هاماً امتزجت حضارة سابقة كالرومانية والقوطية مع حضارة جديدة هي الحضارة العربية الإسلامية، ونتج عن هذا المزج والصهر حضارة أندلسية مزدهرة أثرت في الحياة الأوربية وتركت آثاراً عميقة مازالت تتراءى مظاهرها بوضوح حتى اليوم.باستكمال حركة الفتح استقر العرب والبربر مع سكان البلاد، وكان للسلوك الإسلامي الإنساني أثر كبير في تآلف القلوب إذ لم يلبث الفاتحون أن أنسوا إليهم وحصل التزاوج والمصاهرة بينهم.فنشأت طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة المولدين التي هي خليط من أهل البلاد الأصليين العرب والبربر، كما ظهرت طبقة جديدة أخرى هي طبقة المستعربين وهم المسيحيون الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية، ولكنهم تعربوا بعد دراسة اللغة العربية وآدابها وثقافتها[1].

وأحسن المسلمون سياسة سكان البلاد، فقد تركوا لهم كنائسهم وقوانينهم وأموالهم وحتى المقاضاة إلى قضاة منهم، ولم يفرضوا عليهم سوى جزية سنوية. .وحرص المسلمون على الوفاء بعهودهم لأهل الذمة حتى في الحالات التي كان يبدو للمسلمين انهم خدعوا فيها، وقد وفى الفاتحون رغم ذلك فقال الرازي نقلا عن المقري " فمضى المسلمون على الوفاء لهم وكان الوفاء عادتهم"[2]. والحقيقة أن الفاتحين الأولين كانوا يعاملون غيرهم بهذا التسامح الكريم الصادر عن إيمانهم برسالتهم الإنسانية التي كان لها اثرها الكبير في اجتذاب أهل الذمة إلى الإسلام وإقناعهم بعدالة الدولة الإسلامية ، وهذا هو السر في إقبال أهل الذمة على الدخول بأعداد كبيرة في

(1) إبراهيم افتديج : حوار الحضارات و الاستفادة من دروس البوسنة والهرسك في الحوار ،مجلة الفيصل ،الكويت1999، ص ، 421 ؛ جورج سارتون: الحضارة الإسلامية ، ترجمة فاطمة عصام صبري ، مجلة التراث العربي، نيسان 1989 ، ص87؛ حسين مؤنس : فجر الإسلام ، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1959، ص421.

(2) المقري: نفح الطيب ،ج1 ،ص247؛ العبادي: ، المرجع السابق ، ص316؛ غوستاف لوبون: حضارة العرب ،دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ، 1985،ص266.

الإسلام، وأدى ذلك إلى دخول كثير من الكلمات الإسلامية للغة السكان المحليين وذلك بتغلغل الكثير من المصطلحات العربية الإسلامية فيه واحتلت في ثناياه موقعا ملموسا وملفتا للانتباه [1].

لقد أثر الفاتحون في أخلاق الشعوب المسيحية فقد علموهم التسامح الذي هو أثمن صفات الإنسان، وبلغ حلم المسلمون الأندلس نحو هؤلاء مبلغاً بعيدا فكانوا يسمحون لأساقفتهم أن يعقدوا مؤتمراتهم الدينية كمجمع أشبيلية سنة 782م، ومجمع قرطبة سنة 852م، وتعد كنائس المسيحيين الكثيرة التي بنوها أيام الحكم الإسلامي من الأدلة على احترام المسلمين لمعتقدات الامم التي خضعت لسلطانهم، فغدا اليهود والمسيحيون مساوين للمسلمين قادرين مثلهم على تقلد مناصب الدولة[2].

وفي مثل هذا الجو من التسامح أصاب البلاد الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي بحيث أصبحت الأندلس أكبر قوة سياسية في المنطقة، وعلى الرغم من هذا التسامح العظيم، فقد ظهر فرق واضح بين هذه السياسة المتسامحة، وبين سياسة الاضطهاد الذي وقع على المسلمين بعد سقوط بعض مدن الأندلس إذ لحقهم بلاء واضطهاد عظيمين جراء عمليات التنكيل التي تعرضوا لها من قبل المسيحيون الصليبيون من أهل قشتالة وغيرها كما سبق ذكره [3].

(1) من هذه الكلمات جاءت كلمه Allah ، القرآن Alcoran الحديث Hadith ، الاسلام Alislam، الفتوة Alfatea، رمضان و السنة Ramadan Alsonna، السلام عليك Al-salamalec، سورة Saurate، مؤذن Muezzin رب Rab، بركة Baraka. توفيق عزيز: المعجم الفرنسي ذا الأصل العربي ، دار الجيل ، بيروت ، 1986 ، ص37.

(2) لوبون: المرجع السابق، ص277.

(3) ماريا روزا مينوكال: الأندلس العربية: اسلام الحضارة وثقافة التسامح ، ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفي جباري، دار توبقال، سلسلة معالم، الطبعة الأولي، 2006، ص 45؛ ؛ لوبون: المرجع السابق ، ص582 ؛ نفسه ص273، 274.

ب/الرصيد المعرفي ( الكتب والمكتبات ):

كان عبد الرحمن الداخل أول أمير أموي عروف باتساع ثقافته وحسن قريضه للشعر وتقربه من العلماء في الأندلس، وقد اتخذ من قرطبة دارا لإمارته وقام بتجميلها وإحاطتها بسور كبير ، وشيد بها المباني الضخمة والحمامات والفنادق ، وبنا بظاهرها قصر الرصافة [1] ،وبرزت قرطبة بدورها الحضاري وغشيها العلماء والأدباء من كل بلد . ونهج الامراء الامويون من بعده نفس النهج في عنايتهم بالعلم والأدب ونشر الثقافة الإسلامية بين شعوبهم ، فقد اشار ابن سعيد إلى ان مكتبة كبرى للأمويين أسست في قرطبة في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم " الأوسط " وقد زودها بكتب كثيرة اشتراها من المشرق الإسلامي[1] ، وعلى ما يبدو أن هذه المكتبة كانت النواة الأولى لمكتبة الخلافة الأموية الكبرى في قرطبة ، والتي تألقت في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي. ولا غرابة أن تتألق مكتبة الأمويين في هذه الحقبة التاريخية ويبرز دورها الحضاري واضحا ، وقد أولاها الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم جل اهتمامهما وعظيم رعايتهما ، فإن شغفهما الكبير بجمع الكتب قد طبقت الآفاق ووصلت إلى مسامع الناس في كل مكان . فها هو الإمبراطور " قسطنطين السابع*" Constantin VI حاكم بيزنطة لم يجد شيئا يتقرب به إلى قلب الناصر حينما عزم على عقد معاهدة معه سوى أن يهديه كتابا جديدا لم يعرفه من قبل ، وهو كتاب " ديوسقوريدس "** في الطب ، وجاءت رسله إلى قرطبة تحمل ذلك الكتاب في مجلد جميل مكتوبا باللغة الإغريقية ، وقد ذهبت حروفه ، وزينت صفحاته بالرسوم الجميلة لبعض النباتات والأشجار التي ورد ذكرها في الكتاب ، ولم يكتف إمبراطور بيزنطة بذلك ، بل أوفد بعد ذلك " نقولا الراهب " ليقوم بترجمته من اللغة الإغريقية إلى اللغة العربية[1] .

(1) المقري : المصدر السابق ،ج1، ص229؛أحمد شلبي :موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج4 ط 6 ، القاهرة ، 1984،ص 41 ؛ عبد العزيز سالم :قرطبة حاضرة الخلافة ،ص 95.

(2)ابن سعيد : المصدر السابق ،ص 44 ، 352 ؛ابن حيان ، المصدر السابق،ج2،ص16.

(3) ابن خلدون : العبر ، ج2،ص282؛ المقري : المصدر السابق ص346؛ خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس . ترجمة الطاهر أحمد مكي ،دار المعارف ، القاهرة،ص 190.

*ولد الإمبراطور " قسطنطين السابع سنة 905م ، تولى عرش الإمبراطورية وهو طفل صغير سنة 913م ،اهتم بالإصلاحات القانونية وإعادة توزيع الأراضي الزراعية،كما عرف باهتمامه بالبحث العلمي واللاهوت وتشجيع الفن.توفي سنة 959م، خلفه ابنه رومانوس الثاني.

**طبيب يوناني، ولد فيعَيْن زَرْبَة Anazarba بقليقيَا Cilicia (منطقة بشمال الجزيرة السورية و جنوب شرق تركيا حاليا) حوالي سنة 40م. درس الطب بأَثِينِيَة (أثينا)، ثم انتقل إلى رُومِيَة (روما)، حيث خدم في جيش الإمبراطور الروماني نيرون، فجاب مناطق أوروبا مستغلا ذلك لدراسة الأعشاب الطبية. له كتاب شهير في المداواة بالأعشاب الطبية يُعرف لدى الغرب باسم =

لم يكن ابن الناصر الحكم الذي حكم بين (350هـ 961م/ 366هـ 967م)، أقل ولعا بهذا الجانب الحضاري إذ اشتهر هو الأخر بتعلقه الشديد بالكتب وحرصه على اقتنائها، ولم يبخل قط ببذل الأموال في سبيل إقتنائها قبل أن تظهر أو تشيع في مواطنها ومن ذلك كان يبعث في الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار ، ويسرب إليهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه " (1) وقد أرسل إليه رجاله الذين بعثهم إلى المشرق لاقتناء الكتب أن أبا الفرج الأصفهاني قد أوشك أن ينتهي من تأليف كتابه " الأغاني " فبعث إليه ألف دينار من الذهب ، وحصل منه على نسخة مبكرة من ذلك الكتاب قبل أن يشيع في أسواق العراق وقد أثمرت جهود الحكم عن تكوين مكتبة كبرى لم يحفل بمثلها حاكم من قبله ، حيث غصت خزائنها بالعديد من الكتب النادرة ، يقول في وصفها ابن حزم : " أخبرني بكية الخصي- وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني مروان- أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين فقط ، وأقام للعلم والعلماء سلطانا نفقت فيها بضائعه من كل قطر (2) ولم تقتصر همة هذا الخليفة على جمع الكتب فقط ، وإنما كان على قدر كبير من الفهم والإدراك لما تحتويه من معلومات وأفكار ،وكان يقضي أغلب وقته في القراءة والاطلاع(3) .لكن ما يثير الدهشة عنده أنه لا يقوم بقراءة هذه الكتب فحسب ، وإنما كان يعلق على كل كتاب يقرأه بخط يده ، ويدلي فيه برأيه ، وكان يكتب عليه اسم صاحبه وكنايته وألقابه ونسبه ومولده ووفاته ، وما يستتبع ذلك من غرائب وحكايات صادفت المؤلف في حياته. على أن ظاهرة الإهتمام بالكتب و اقتنائها

= (de Materia Medica)، نقله اصْطَفن بن بَسِيل إلى اللغة العربية، ثم راجعه أستاذه حنين بن إسحاق، يُعرف في المصادر العربية بعنوان (كتاب الحشائش) أو (كتاب الحشائش والأدوية) أو (كتاب الخمس مقالات) أو (المقالات الخمس) أو (هيولى الطب) أو (كتاب ديسقوريدوس في الأدوية المفردة). توفي ديسقوريدوس حوالي سنة 90م.

(1) ابن خلدون : المصدر السابق ،ج 4 ،ص63 146؛ابن حزم :جمهرة أنساب العرب ،ص100؛ابن الآبار: التكملة لكتاب الصلة ، تحقيق عزت العطار ، القاهرة ، ج1 ،1956، ص 235.

(2)ابن حزم :المصدر نفسه ، ص 100؛ ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ،ج1، 1966،ص 67 ، 114؛ جودة هلال ،محمد محمود فاس :قرطبة في التاريخ الإسلامي ، القاهرة ، 1962، ص 80.

(3) ويذكر المقري أن هذه الكتب التي بلغت من الكثرة درجة حتى ضاقت بها خزائن المكتبة الاموية .وعندما نقلت في إحدى المرات استغرق نقلها ستة أشهر مما يدل على وفرة عددها وحجمها الزاخر . المقري : المصدر السابق ،ج 1 ص 394 ، 395 ؛ ابن خلدون: المصدر السابق ، ج4 ،ص146؛ماريا روزا مينوكال: المرجع السابق ، ص6 ، 7.

لم يكن موقوفا أو مقتصرا على الأمراء والخلفاء والأمويين ، وإنما امتدت وانتشرت في أوساط أهالي الأندلس قبل حكامهم ، حتى صارت عندهم من علامات الرفعة والسؤدد ، لا يستغني الرجل منهم عن تأسيس مكتبة في بيته حتى وإن لم يكن على قدر من المعرفة فكل همه أن يقال عنه : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلاني ليس عند أحد غيره ، والكتاب الذي بخط فلان قد تحصل عليه وظفر به ، ولعل في القصة التي رواها المقري نقلا عن الحضرمي الذي غشى سوق الكتب في قرطبة لشراء أحد الكتب [1] ، ما يؤكد هذه الهواية : " قال الحضرمي : أقمت بقرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيه وقوع كتاب لي بطلبه اعتناء ، إلى أن وقع وهو بخط فصيح وتفسير مليح ، ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد في ثمنه ، فيرجع إلى المنادي بالزيادة إلى أن بلغ فوق حده ، فقلت له : يا هذا . . . أرني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه إلى ما يساوي ، قال: فأراني شخصا عليه لباس رئاسة ، فدنوت منه وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه ، إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده ، قال : فقال لي : لست بفقيه ، ولا أدري ما فيه ، ولكني أقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقي فيها موضع يساوي هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه ، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير . قال الحضرمي : فأحرجني وحملني على أن قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيرا إلا عند مثلك " يعطى الجوز من لا أسنان له " وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب وأطلب الانتفاع به يكون الرزق عندي قليلا ، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه [2]. تلك هي هواية جمع الكتب التي تمكنت في قلوب الأندلسيين ، وكان لها أكبر الأثر في نشر الثقافة الإسلامية ومحو أمية الكثيرين منهم ، ويقول " دوزى " : إن أغلب الناس في الأندلس خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أصبحوا قادرين على القراءة والكتابة

(1) المقري : المصدر السابق ، ج1 ،ص 463، 395؛ليفي بروفنسال: الشرق الإسلامي والحضارة العربية الإسلامية ،دار الطباعة تطوان المغرب ،1951، ص35؛ محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس ،دار الجيل ،بيروت ، 1979، ص133.

(2) محمد ماهر حمادة : المكتبات في الإسلام، ط 2 ، النهضة العربية ، بيروت ،1978 ، ص 99.

كانت مكتبة الأمويين في قرطبة دارا علمية حقا ، إذ لم تكن مجرد مؤسسة لحفظ الكتب وفهرستها على نحو ما هو مألوف الآن فقط ، وإنما نظمت تنظيما دقيقا لتوفر الغاية المرجوة منها ، وقد أقيمت هذه المكتبة بقصر الخلافة في قرطبة[1]. وإن كانت المصادر تمدنا بمعلومات وافية عن وصف بناء المكتبة ، إلا أنه من ا□رجح أن بناءها قد لقي عناية فائقة من الناصر الذي عني بقصر قرطبة عناية عظيمة ، حتى قيل إنه لم يبق فيه ( بنية إلا وله فيها أثر محدث إما بتجديد أو بتزييد )[2] . وحسبك ببناء يتسع لأربعمائة ألف كتاب فكيف يكون اتساعه وعدد حجراته ؟ لقد كانت عدد غرف مكتبة الخلفاء الفاطمي□ أربع□ غرفة في قصورهم الداخلية[3] . فمن المحتمل أن تكون عدد غرف مكتبة الأمويين في قصر الخلافة مساويا له إن لم يفقه ، وقد زودت بالبسط والسجاجيد والستائر والمقاعد ، ونظمت حجراتها على نحو يكفل الراحة لروادها ، فكانت هناك غرفا للمطالعة وأخرى من أجل ا□ناظرات والاجتماعات والبحث ، ومخازن خاصة لخزن الكتب قد أعدت إعدادا خاصا ، ونوعا آخر من الغرف تضم الهيئات العاملة في المكتبة عن النساخين والرسام□ وا□طاط□ والمترجمين والمدققين . وغيرهم ،

(1) دوزي : ا□رجع السابق ،ص 145 ؛ أحمد فكري : قرطبة في العصر الإسلامي ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ، 1983 ، ص 179؛ماريا روزا مينوكال: ا□رجع السابق ، ص6 7.

(2) أحمد فكري: ا□رجع نفسه ،ص 179 .

(3) محمد ماهر حمادة : ا□رجع السابق ،ص 148 .

وقد جهزت هذه الحجرات بما يلزم العاملين من أحبار وأوراق وأدوات كتابية وأصماغ وأصباغ . ولعل في وصف المقري لمكتبة الحكم وإن كان مختصرا ما يعضد وصفنا لها " : وقد جمع في قصره الحذاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد فأوعى في ذلك كله . .[1] .

وسوف نقوم الآن بوصف سريع لأهم أقسام المكتبة لنقف على كيفية إعداد الكتب فيها .يضم هذا القسم أعدادا كبيرة من المترجمين المجيدين للغات الإغريقية واللاتينية والاسبانية وغيرها ، وكان اغلبهم من المسيحيين والصقالبة واليهود ، وقليل من المسلمين ، نذكر منهم : عبد الله الصقلي ، ومحمد النباتي ، وأبا عثمان الجزار الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم ، وحسداي بن شبروط [2].

وقد ساهمت هذه المجموعة في ترجمة كتاب الطب الذي اهداه إمبراطور الروم إلى الخليفة الناصر والذي سبق الحديث عنه ، وكان الخلفاء الأمويون يعتنون بهذا القسم أشد الاعتناء ، يجزلون العطاء للعاملين فيه مما ساعد على ترجمة العديد من الكتب الإغريقية في مجالات الطب والهندسة والفلسفة والفلك وغير ذلك في مجالات العلوم المختلفة.وكان بها قسم التدقيق والمراجعة، يعمل في هذا القسم نخبة من العلماء المعروفين بغزارة علمهم ودقة استنباطهم وحذقهم في القياس ، والضاربين بقسط وافر في اللغة والأدب وعلوم الدين وعلوم الحياة ، كل حسب تخصصه ومواهبه

، وكانت مهمة هذا القسم مراجعة الكتب وتصحيحها والتعليق عليها بعد نقدها وتفنيدها ، نذكر منهم : الرباجي محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي،وكان ضليعا في علم النحو ، وقد استأدبه الخليفة الناصر على ابنه المغيرة،وفي عهد الحكم زاول مهنة المراجعة والتدقيق في مكتبته وأوسع له هذا الخليفة في المنح والعطاء [3].

---

(1) المقري : المصدر السابق ،ج 1 ص 386؛ الزبيدي :طبقات النحويين واللغويين ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1، القاهرة ، 1954،ص 10؛ ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج1، ص 28.

(2) ابن القرضي: المصدر السابق ، ج2،ص 144؛ خوليان ريبيرا : المرجع السابق ،ص 191.

(3) إبـن الفرضـي :نفسـه ، ج2،ص144 . .

ومن المدققين أيضا محمد بن أبي الحسين الفهري القرطبي ، ومحمد بن معمر الجياني ، وكانا خبيرين في النحو وعلم اللغة ، وقد كلفهما الحكم بتدقيق وتهذيب ما لم يهذبه ابو علي القالي من كتابه " البارع في اللغة " حيث قام المؤلف بتصحيح كتاب الهمزة وكتاب العين ، ثم توليا المدققان الباقي منه بالتصحيح والتهذيب ، ولما اكتمل الكتاب ، خرج بخط فصيح في مائة وأربعة وستين جزءا وعدد أوراقها أربع آلاف وأربع مائة وست وأربعون ورقة ، ورفعاه إلى الحكم المستنصر الذي قام هو أيضا بالمقابلة بينه وبين كتاب العين للخليل بن أحمد ، وأضاف عليه إضافات أخرى[1]

كما ضمت المكتبة قسم الوراقة الذي يضم مجموعات كبيرة من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب وتزيينها بالصور وتجليدها ثم عرضها في المكتبة ، نذكر منهم الأديب اللغوي محمد بن أبي الحسين الفهري ، وعباس بن عمرو بن هارون الصقلي ، الذي عينه الحكم وراقا في مكتبته ، وكان يأنس إليه كثيرا ويوسع له في الرزق [2] .

ومما ساعد على ظهور مهنة الوراقة هذه والتي لعبت دورا بارزا في تكوين مكتبة الأمويين ظهور الورق،وانتشاره في الأندلس ، حيث تأسس أول مصنع لصناعة الورق عام339هـ/ 950 م في مدينة شاطبة *ينتج جمع أنواع الورق بما فيها الأبيض والملون[3] والذي ساعد بطبيعة الحال على تأليف الكتب ، وسهل تداولها بين الناس ، جعل أهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة [4] .

(1)ابن حزم : الجمهرة ، ص10؛ ابن بشكوال : المصدر السابق ،ج 1ص 28؛ المقري : المصدر السابق ، ج3، ص 385؛ خوليان ريبيرا : المرجع السابق ص 192

(2) المقري : المصدر السابق ،ج 3 ص 111؛محمد إبراهيم الفيومي : المرجع السابق ،ص 133

(3)محمد ماهر حمادة : المرجع السابق ، ص 74 .

(4) أحمد أمين : ظهور الإسلام ، ،دار الكتاب العربي ، بيروت ،(بدون طبعة ولا تاريخ)،ج3، ص 13.

*شاطبة Játiva وهي مدينة إسبانية تقع في مقاطعة بلنسية وفي حوض نهر البيضاء شرقي إسبانيا. عرفت المدينة في الفترة الإسلامية ازدهارا كبيرا وعُرفت في جميع أوروبا كمهد صناعة الورق . عبد الله عنان : الآثار الأندلسية ، ص 139 – 140.

تعد أعمال النسخ من الهام الأساسيةللوراقين ، وقد أعدت لهم غرف خاصة ، زودت بمستلزمات النسخ من مقاعد ومحابر وأقلام وأوراق .كانت طريقة النسخ المتبعة غالبا أن يقوم الناسخ بنسخ المخطوط مباشرة من مخطوط آخر أمامه ، فإذا انتهى من نسخه يدفعه إلى قسم المراجعة والتدقيق للتأكد من صحة ما نسخ ، وإذا ما طلب أكثر من نسخة كان يجلس مجموعة من النساخ بعدد النسخ المطلوبة ، ويملي عليهم شخص آخر من المخطوط المراد نسخه ، ثم تدفع النسخ جميعها للمراجعة والتدقيق [1] .

فإذا ما انتهى النساخ من عملهم تمر الكتب على قسم الزخرفة لتز ي ص . خدا ا وليتها بالذهب والفضة وبعض الرسومات الجميلة ، ثم تمر بعد ذلك إلى قسم التجليد ليبطن بعضها بالديباج والحرير ، ثم ل د ب. الأدم ي د الموب من مدينة مالقة بالأندلس ، والتي كانت من أكبر مراكز صناعة الجلود الفاخرة والتجليد امتاز[2].قسم الفهرسة، يقوم هذا القسم بفهرسة الكتب التي في المخازن وتصنيفها وتنظيمها حتى يسهل تناولها واستعمالها ، وقد كانت مكتبة الأموي مرتبة حسب واضيع

، فقد كان لكل موضوع فهارسه اصة ، وهو نظام قريب من الفهرسة الموضوعية السائدة الآن في بعض كتبات ، ويتميز هذا النوع من الفهرسة بالسهولة وسرعة حصر محتويات المكتبة ، فهي مكتوبة في مجلدات تستعمل كالكتب يمكن الرجوع إليها بسهولة ، فلا غرو أن يرد في بعض الروايات العربية حصرا لأمهات الكتب في مكتبة الحكم

، فيروي المقري نقلا عن ابن حزم ( أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة ، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين ) وهذه الفهارس هي على ما يبدو فهارس الدواوين الشعرية ، فكيف يكون إذن سائر الموضوعات من فلسفة وعلوم دينية ونحوية وتاريخية وطبية وعلمية . . إلخ ؟

(1)الزبيدي :صدر السابق ، ص10؛ ابن الفرضي : صدر السابق ، ص ج2، ص114؛ محمد ماهر حمادة: رجع السابق، 176
(2)محمد ماهر حمادة : رجع نفسه ص 183.

كان دور هذا القسم هو الإشراف على تأليف الكتب لحساب المكتبة الأموية ، وينحصر عمله في اتجاهين : تلقي المؤلفات من خارج الأندلس ، أو يوصى بالتأليف لأحد العلماء المبرزين في الأندلس ، ومن أمثلة الاتجاه الأول مراسلة أبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب " الأغاني " للحصول منه على أول نسخة من هذا الكتاب ، كما وضحنا سابقا [1] ،

بل كانوا في بعض الأحيان تتم مراسلة مع المؤلف نفسه وإغرائه بالهجرة أو الرحيل إلى الأندلس ، كما حدث مع أبي علي القالي صاحب كتاب ( الأمالي ) الذي ترك العراق ورحل إلى الناصر الأموي واستقبله استقبالا طيبا في قرطبة ، وكان يتم الاتصال بين المؤلفين في المشرق الإسلامي عن طريق بعض الرسل المبعوثين على نفقة الخلافة الأموية ، وكان أغلبهم ممن يمتهن الوراقة ولهم دراية بصناعة الكتب ، وينتشرون في البلدان لانتخاب غرائب التواليف والبحث عنها ومن جملة هؤلاء الرسل : "محمد بن طرخان" في بغداد ، و"أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان" ، و"أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي" في مصر ، وهما من أكبر فقهاء المالكية ، وكان الحكم يدر عليهما أموالا كثيرة لاقتناء الكتب النادرة التي تظهر لدى علماء مصر [2] .

ومن أمثلة الاتجاه الثاني ، وهو تكليف بعض علماء الأندلس التأليف في تخصصات معينة ، "أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى" الذي ألف للحكم كتبا في الفقه .و"محمد بن الحارث الخشني" . الذي ألف للمكتبة الأمويين مجموعة ضخمة من الكتب منها " تاريخ قضاة قرطبة " وقد نقل عنه ابن الفرضي في كتابه ( تاريخ علماء الأندلس ) كثيرا في تراجم الرجال ، ومن كتبه أيضا : فضائل الإمام مالك ، ومناقب سحنون ، وفقهاء المالكية ، وتاريخ الأفريقيين ، وكتاب الرواة عن مالك ، وكتاب التعريف وكتاب الاقتباس ، وكتاب المولد والوفاة ، وكتاب النسب ، وأغلب هذه الكتب تعد من كتب

---

(1)ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، لبنان ، ص 439؛ المقري : المصدر السابق ،ج 2 ، ص 218.

(2) الزبيدي : المصدر السابق ، ص306 307؛ ابن جلجل :طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرفية ، القاهرة ، 1955، ص 98؛ ابن الفرضي : المصدر السابق ،ج1، ص 67.

الطبقات التي تثبت غزارة علم الخشني وقوة إدراكه بالأخبار وأسماء الرجال وأ ﷲ.ام [1].ومن مصنفات الخشني في الفقه : كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك ، وكتاب رأي مالك الذي خالفه فيه أصحابه وكتاب الفتيا ، وكتاب المحاضر ، وكتاب التحاصر والمغالاة ، وهذه المجموعة من كتب الفقه على ما يبدو كانت بتكليف من الناصر الأموي وابنه الحكم ؛ لتدعيم المذهب المالكي مذهب أهل السنة والجماعة في الأندلس ، وذلك للوقوف أمام دعاة المذهب الإسماعيلي الذي حاول الفاطميون في الشمال الأفريقي تسريبه إلى الأندلس [2] .

والمتأمل في أغلب المصنفات التي صنفت لمكتبة الأمويين بناء على طلب الخليفة الناصر وابنه الحكم ، يقف على ملاحظة هامة جديرة بالدراسة الموضوعية وهي ربط التأليف الخاص بالمكتبة بالاتجاهات العامة والسياسة العليا للدولة سواء على الصعيد المحلي أو الصعيد الخارجي . فقد تألق نجم الدولة وبلغت ذروة مجدها في عصر الناصر مما دفعه إلى إلغاء نظام الإمارة وإعلان الخلافة الأموية ، وبذلك أظهر استقلال بلاده وانفصالها سياسيا عن الخلافة العباسية في بغداد ،

واستتبع ذلك أن يبرز شخصية بلاده العلمية في إطار مستقل عن المشرق الإسلامي ، فنرى الناصر يكلف العالم الأندلسي " مطرف بن عيسى الغساني " أن يؤلف كتابا عن كور الأندلس فيؤلف له كتاب " المعارف في أخبار كورة البيرة وأهلها وبوائرها وأقاليمها وغير ذلك من منافعها " [3] ثم ينحى التأليف بعد ذلك منحى جديدا ، وتظهر بعض الكتب الأندلسية التي تعارض الكتب المشرقية ، فنرى ابن فرج الجياني الأديب الأندلسي المعروف يؤلف كتابا سماه ( الحدائق ) عارض فيه كتاب ( الزهرة ) لابن داود الأصفهاني[4].

(1) الحميدي :جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث، تحقيق محمدأبو الفضل ، ط1، القاهرة ،1964، ص 235،38.

(2) الزبيدي: المصدر السابق ،ص238و281؛ ابن الفرضي: المصدر السابق،ص 14؛ الحميدي : المصدر السابق ، ص 49.

(3)ابن الفرضي :المصدر السابق ، ص ج2، ص 137؛ ابن حزم : فضائل أهل الأندلس وأهلها ، نشره صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ،ط10، 1986، ص17.

(4)المقري: المصدر السابق ، ج1،ص 222 .

وكان كتاب ابن داود يتكون من مائة باب في كل باب مائة بيت من الشعر ، أما كتاب الجياني فقد جاء في مائتي باب ، في كل باب مائتا بيت من الشعر ليس في أبوابه تكرار ، وكل أشعاره من شعر الأندلسيين وقد أثنى عليه ابن حزم قائلا : " أحسن الاختيار ما شاء ، وأجاد فبلغ الغاية ، فأتى الكتاب فردا في معناه "[1] .

لا شك أن هذه النهضة العلمية إذ كانت تعد صفحة إيجابية ومشرقة في تاريخ الحضارة الإسلامية إلا أن لسياسة الأمويين أثرها السلبي والواضح على لب وتوجه هذه الحركة والتي يرجع جانب منها إلى العداء القائم بين الأسرة في الأندلس وأعدائها الفاطميين في الشمال الإفريقي . ومرد ذلك أن الخليفة الناصر كان يخشى تسرب مبادئ التشيع* إلى بلاده ، وتعدد الفرق المذهبية بها ، وتصاب الأندلس من جراء ذلك بتمزق جبهتها الداخلية ، التي وحدها المذهب المالكي ، مذهب أهل السنة والجماعة في هذه البلاد ؛ لذا نراه يحظر على علماء الأندلس التأليف في مسائل الفلسفة أو الفكر الاعتزالي أوالشيعي ، حتى استقر في أذهان الأندلسيين أن تناول أمثال هذه الأفكار تعد كفرا وخروجا عن الدين القويم ، ويروي المقدسي عن الأندلسيين قولهم : " لا نعرف إلا كتاب الله وموطأ مالك "[2] .

(1)المقري: المصدر السابق ، ج1،ص 222 .

(2)الحميدي :المصدر السابق ص 38و235؛ابن حزم : الفضائل ، ص8 9؛ أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين ، دار الفكر لبنان ،1995،ج1، ص 89؛المقري: المصدر السابق ، ج1،ص 220 221؛ ابن عذاري : المصدر السابق ،ج2، ص54 55؛ ليفي بروفنسال : الحضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة الطاهر مكي،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ،1972، ص 163؛ فيلالي: المرجع السابق،ص 81.

* أول محاولة قام بها شيعي في الاندلس هي تلك التي قام بها بن حفصون الذي ظهر في جنوب الأندلس و قام بثورات دامت لسنوات طويلة،وقد استغل فرصة وجود الفاطميين بإفريقية (تونس) ليقيم دعوتهم بالأندلس.و من الرجال الذين حاولوا نشر التشيع في الأندلس عباس بن ناصح الثقفي الشاعر الذي أوفده أبو مطرف عبد الرحمان بن الحكم إلى العراق لالتماس الكتب القديمة التي تتناول العلوم المختلفة من طب و نجوم, وعاد إلى بلاده بأفكار تنم عن التشيع مثل القول بخروج المهدي, والقول بالرجعة و الأئمة السبعة إلى غير ذلك.وكما انتشر التشيع على يد أمثال هؤلاء فإنه انتشر أيضا بجهود بعض أعوان الفاطميين الذين يستعملونهم للدعاية لمذهبهم في الأندلس, وكان هؤلاء يسترون أهدافهم الحقيقية تحت ستار من المصالح المشروعة كالتجارة أو العلم .و من هؤلاء الذين كان لهم أثر كبير في نشر الفكر الشيعي بالأندلس أبو اليسر الذي تأثر بالدعوة الشيعية و إن لم يكن له إسهام في نشر تعاليمها, فقد ذكر صاحب "البيان المغرب" أنه كان بالأندلس معلم للقرآن لم تحفظ المصادر اسمه قام في شرق الأندلس سنة 237هـ و ادعى النبوة, وكان يتأول القرآن على غير تأويله, وقد قبض على هذا المتنبئ, وحوكم بتهمة الزندقة و عرضت عليه التوبة, فلما رفض إعلان التوبة صلب, وهده النزعة إلى تأويل القرآن تدل على أنه كان متأثرا بالدعاية الشيعية . ابن عذاري ،البيان المغرب ،ج2 ، ص 82, 134 ؛ المقري ، نفح الطيب،ج1ص344 ،350 ؛ أنخل جنتالت ، تاريخ الفكر الاندلسي ، ص325.

وظل هذا الحظر قائما طوال عهد الناصر مدعما من السلطة الحاكمة من جهة ، ومن حرص فقهاء المالكية على سلامة العقيدة من جهة أخرى إلى أن رحل الفاطميون إلى مصر. وبعد رحيل الفاطميين إلى مصر جت الحكومة الأموية نهجا اخر في التاليف ، حيث امر الحكم باتساع حركة التاليف لتشمل شتى أنواع الفكر - بما فيه فكر خصومه من الفاطميين- حيث لم يعد هناك ما يهدد أمن بلاده

، وأصبح لديه ولدى شعبه من الوعي الديني ما يضمن عدم انحراف عقيدتهم ، فيطلب من العلماء التصنيف في اخبار الفاطميين وانسابهم ، فنرى معاوية بن هشام المرواني المعروف بابن الشباني- يؤلف له كتابا في نسب العلويين اسمه " التاج السني في نسب آل علي " وهو كتاب يحتوي على أخبار الشيعة في المغرب والأندلس ، أما فيما يخص شئون الشمال الأفريقي ، فقد كلف الحكم " محمد بن يوسف الوراق " بتأليف كتاب ضخم في إفريقية ومسالكها وممالكها وحروبها والقائمين عليها ، والف له ايضا في اخبار تيهرت ووهران وتنس وسجلماسة ونكور وغيرها تواليف حسانا ، ثم أهداها للحكم. امتاز العهد الأموي بميل الأندلس الشديد إلى العناية بالآداب والعلوم والفنون، فأنشأوا المدارس والمكتبات في كل ناحية وترجموا الكتب المختلفة، ودرسوا العلوم الرياضية والفلكية والطبيعية والكيماوية والطبية بشكل ملحوظ (1).

ولم يكن نشاطهم في الصناعة والتجارة أقل من ذلك، فكانوا يصدرون منتجات المناجم ومعامل الأسلحة، ومصانع النسائج، والجلود والسكر وبرعوا في الزراعة براعتهم في العلوم والصناعات، ولا يوجد في الأندلس من أعمال الري خلا ما أتمه العرب، وأدخلوا إلى حقول الأندلس زراعة قصب السكر

(1)ابن حزم : المصدر السابق ، ص 8 9 ؛الحميدي : المصدر السابق ،ص 90؛ ابن الأبار :التكملة،ج1،ص366؛ أحمد أمين : المرجع السابق ،ج3،ص275؛

والأرز والقطن والموز وأكثروا من انشاء الطرق والجسور والفنادق والمساجد في كل مكان، وكانت البحرية الإسلامية في الاندلس قوية جدا، وبفضلها كانت تتم صلاتهم التجارية بجميع مرافئ اوربا وافريقيا وآسيا، وظل الأندلسيون وحدهم سادة البحر المتوسط زمناً طويلا. ولكن الأحداث التي توالت على الخلافة الأموية بعد عهد المستنصر قد أثرت على الحياة الثقافية وعلى مكتبة الأمويين في قرطبة بصفة خاصة ، حيث قام المنصور بن أبي عامر بحرق كتب الفلسفة والفلك ليرضي فقهاء الأندلس ويكسب تأييدهم له لكن الحركة العمرانية استمرت في جميع النواحي (1).

وحين قضي على خلافة بني أمية وزال ملكهم وتوزعت الأندلس إلى دويلات ، وبدأ عصر الطوائف ، بيعت تلك المكتبة وتوزعت كتبها في دويلات الأندلس القائمة آنذاك وعلى الرغم من مرارة هذه الأحداث التي أودت بمكتبة الأمويين في قرطبة ، فإن هواية جمع الكتب والنهضة العلمية والأدبية العمرانية التي أنشأها عبد الرحمن الداخل و نماها الخليفة الناصر وابنه الحكم لم تتوقف ، فقد انتهى الحال بهذه المكتبة إلى ايدي عشاق الكتب ، وانتهى بها المطاف إلى خزائنهم في إشبيلية والمرية وبطليوس وطليطلة وسرقسطة وبلنسية وغيرها من أمراء الطوائف الذين عبروا عن هويتهم العلمية والأدبية ، وكانوا سببا في تعدد المكتبات الخاصة في بلاد الأندلس ، حيث كثر هواة الكتب وراجت تجارة الوراقة ، ويكفي أن نضرب لذلك مثلا واحدا ، فقد ذكر المؤرخون أن الوزير أحمدبن عباس جمع في مكتبته بالمرية وحدها ما يزيد على الأربعمائة ألف كتاب ، فضلا عن الرسائل والكراسات (2).

من خلال هذا نستشف أنه استمر ، حب الأندلسيين لجمع الكتب واقتنائها وحفظ التراث العربي والإسلامي باقيا ، حتى بعد انتهاء عصر خلافة بني أمية وزوال مكتبتهم في قرطبة ، حيث بدأ ملوك الطوائف يقلدون الخلفاء الأمويين في تعلقهم بالعلم والعلماء ، وتشجيع الكتاب والمؤلفين ، وجمع الكتب النادرة ، وإقامة المكتبات الخاصة بحواضرهم والتي تليق بجلال القدرة الحكم في عواصمهم التي ازدهرت بالقصور الفارهة والحدائق العامة والمنشأت الضخمة ،

(1)ابن خلدون :المصدر السابق ،ج4 ،ص 146 ؛ المقري : المصدر السابق ،ج1، ص 220 221؛ ابن حزم: المصدر السابق ، ص 18 19؛ لوبون ، المرجع السابق ، ص 273 274.

(2) ابن عذاري : المصدر السابق ،ج3، ص 59؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج4، 323؛ المراكشي : المصدر السابق ،ص 43، خوليان ريبرا : المرجع السابق ،ص 156.

و انعدمت مركزية الحكم ، فتعددت المكتبات الكبرى بتعدد الدويلات التي أقامتها ملوك الطوائف ، وحوت خزائنهم الآلاف من المجلدات والمخطوطات النادرة في شتى فروع العلم والمعرفة ، وظلت هواية جمع الكتب التي وضع اساسها الخليفة الناصر متمكنة في نفوس الناس بالاندلس طوال حكم المسلمين بها (1) ،

وقد برز علماء أفذاذ في عصر ملوك الطوائف بنو على ما توفر لهم من ثروة علمية في العصر السابق ، من أمثال مسلمة المجريطي 398هـ / 1008م في الفلك، أوسع الأندلسيين إحاطة بعلم الفلك وحركات النجوم، ويعتبر المجريطي من نوابغ علماء العرب والمسلمين في الاندلس إذ كان موسوعة زمانه في جميع فروع المعرفة . انتشرت شهرته كعالم رياضيات في الأندلس وكعالم كيمياء في المشرق . امتاز بالدقة وقوة الملاحظة بين علماء عصره ، لذا يرى أن المتخصص في فرع من فروع العلوم التطبيقية كالكيمياء مثلاً، يلزمه الإلمام التام بالرياضيات لأن الرياضيات بطبيعتها تعتمد على التفكير المنطقي والاستنتاجات الدقيقة (2).

ساهم المجريطي في تحرير علم الكيمياء من الخرافات والسحر والطلاسم التي كانت مسيطرة عليه آنذاك . قاد الحركة الفكرية في الأندلس ، فكان له ريادة في حقل الكيمياء فاعتنى فعلاً بالتجارب والاحتراق والتفاعلات التي تحدث بين الأجسام تحت ظروف معينة . نال المجريطي شهرة عظيمة بتحضيره اكسيد الزئبق . بالإضافة إلى ضلوعه في علم الكيمياء . يعتبر المجريطي من المع علماء الأندلس في الفلك والرياضيات والكيمياء والمنطق والموسيقى(3).

(1) المراكشي : المصدر السابق ، ص 43؛ ابن خلدون :المصدر السابق ، ج4،ص 323.

(2)خوليو سامسو: مسلمة المجريطي وكتاب الفونسو في لإنشاء الإسطرلاب ، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ،سوريا ،عدد 2، 1980، ص 312 -313.

(3)ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،شرح وتحقيق خزار رضا ، دار الحياة بيروت ،بدون تاريخ ولا طبعة ،ص 482 .483.

وفي مجال الطب تألق أبو القاسم الزهراوي 403هـ / 1013م في الطب، أكبر جراحي زمانه. ساهم بجهود في إثراء هذا الحقل باكتشافاته الرائدة إذ يعد أول من ألف في الجراحة من العرب، وهو أول

من أستعمل ربط الشريان بخيط من الحرير، أول من أوقف النزيف بالكيّ، وقد توسع باستعماله في فتح الجراحات وإستئصال السرطان، في كتابه ( التصريف لمن عجز عن التأليف ) أشار إلى أهمية درس التشريح وقد شرح العمليات ونوّه آلالا وأمتاز برسومه للآلات الجراحية أهتم بطبابة الأسنان وأستعمل الكلاليب لقلعها كما أستعمل المبارد لنشر الزائد منها ووضع عظام الحيوانات أسناناً مكان الأسنان المفقودة أو المخلوعة، أستأصل اللوزتين

، صنع آلة لاستخراج الجنين في حال الولادة المستعصية، أول من أستعمل القثطرة في غسيل المثانة أو في إزالة الدم من تجويف الصدر أو من الجروح، أول من أستعمل السنانير في استئصال البوليب، أول من أجرى عمليات تفتيت الحصاة في المثانة،كما أن إبن حزم 456هـ / 1064 ، قال بكروية الأرض وأستدل على ذلك(1).

بقوله تعالى: يُكوِّرُ اللَّيلَ عَلى النَّهَار وَيكوِّرَ النَّهَار عَلى اللَيّل(2).في التنجيم، في كتابه (الفصل في الملل والاهواء والنحل) حارب الاوهام, ورد الاحداث إلى اسبابها الطبيعية ورفض مزاعم من يقول: إن الفلك و النجوم تعقل وتسمع وترى وأن لها تأثيرا في أعمالنا وخالف الأقوال التي كانت تزعم أن الليل وجيحون ودجلة والفرات تنبع من دجلة، وتحكم على قائليها، فهذه الانهار لها منابع معروفة في الارض.وتعزز ميدان علم الفلك أيضا بما أنتجه العالم الفلكي (3).

(1) ابن جزم : المصدر السابق، ص18؛ الحميدي : المصدر السابق ، ص 195 .ونظر أيضا:

A. Gonzalez : Historiade la Literature Aravigo-Espanola, ,Editorial Labor,Barcelona, 1945,p.290; Meyerhof:: science and Medicine The Legacy of Islam, University press Oxford, 1968, p.331 .

(2)القران الكريم :سورة الزمر، الآية5.

(3) ابن خلدون : المقدمة ،ص905 906 ؛حاجي خليفة:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج1،دار الفكر بيروت لبنان ،1990، ص 107.

إبن الزرقالي (ت 493هـ / 1099م ) حيث ، صنع أصطرلابا عرف باسمه,وصار بذلك أكبر راصدا في عصره , ، شارك في وضع جداول فلكية لمدينة طيطلة. و ابن زهر 464هـ / 1071م عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن مروان بن زهر الأيادي أبو مروان الأشبيلي عالم طب وطبيب معالج ولد بمدينة

اشبيلية ونشا في اسرة انجبت اطباء نابهين وظهرت فيها طبيبتان ماهرتان في تطبيب النساء هما : أم عمرو ابنه عبد الملك وابنتها وفي اشبيلية درس ابن زهر علوم الدين واللغة والحديث واخذ الطب عن أبيه ولم يمارس طوال حياته غيره من العلوم ، وكان حسن المعالجة والتشخيص وماهرا في معرفة الأدوية المفردة والمركبة وفوائدهما وقد ربطت بينه ربين ابن رشد صداقة قوية . وقد قام ابن زهر برحلة في شبابه ، فزار القيروان ومصر، وربما العراق طلبا لمزيد من المعرفة بالطب والعلاج ، واستقر في أشبيلية بقية عمره وقد عرف ابن زهر في أوروبا باسمه(1).

أما في الأدب والسياسة فقد برع أبو الوليد أحمد بن عبد الله الشهير بإبن ز يدون. ولد في قرطبة عام 1003 م، من أسرة تنتمي إلى بني مخزوم، ونشأ فيها ودرس على أبيه وعلماء قرطبة وأدبائها، فحفظ الكثير من الشعر واللغة والأخبار والسير والحكم والأمثال.وكانت قرطبة في ذلك العهد غاصة بالعلماء والأدباء، وأهلها في رخاء من العيش، ميالون إلى اللهو والطرب، فمثلهم إبن زيدون في شخصه أحسن تمثيل إذ كان خفيف الروح، كثير الدعابة، ميالا إلى المجون، فنال شهرة واسعة في مجالس قرطبة الادبية والاجتماعية. وكان للنساء أثر عظيم في هذه المجالس، ولبعضهن منتديات ادبية، فاثر ذلك في اخلاق الادباء، وتسابقوا إلى نيل الحظوة عند هؤلاء النساء. وظهرت آثار ذلك في نثرهم ونظمهم منهم إبن زيدون، وخاصة في مواقفه من ولادة بنت المستكفي، ومنافسة إبن عبدوس له، وإلى جانب تأثره الشديد بالحب والجمال كان ابن زيدون واسع الطموح في السياسة .وقد تهيات له الفرصة ليساهم بشكل مباشر في وضع الاحداث التي شهدتها قرطبة وإشبيلية في عصره وفي سنة463هـ/ 1070م توفي بإشبيلية وهو شيخ مريض أثر تكليفه من ابن عباد بتهدئة أوضاعها المتأزمة (2).

(1) ابن جلجل: المصدر السابق ،ص113؛ الدوميلي: (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالي) ،ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة 1962 ص353؛حكمت نجيب: تاريخ العلوم عند العرب ،مجلة اتحاد المؤرخين العرب ،العدد الثالث عشر ،1980 ، القاهرة ،ص103 231 .

(2) ابن زيدون :ديوانه ، تحقيق يوسف فرحان ،ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،2003، ص 3؛ محمود على مكى :ابن زيدون وشعر التروبادور ، مجلة الفيصل ، المملكة العربية السعودية ، 1992،ص 34.

وهكذا ازدهرت الحضارة بمختلف جوانبها ، في ربوع الأندلس وصارت عنونا مميزا لهذا الإقليم الأوربي وخاصة في عهد ملوك الطوائف ، هذا وعلى الرغم من الفوضى السياسية والتفكك الإقليمي فإن الممالك

الإسلامية استطاعت التاثير حضاريا على جيرانها المسيحيين في الشمال ،بما يثبت وجودها ويؤكد ذاتها ، على الرغم من أن ذلك كان شكليا ومؤقتا في خضم الصراع الدائر بين الطرفين الإسلامي والمسيحي .

- **وسائط نقل الحضارة والثقافة للمالك المسيحية :**

**أ/ المستعربون :** شكلت اللغة العربية عاملا حاسما في التغيير **الاجتماعي الذي سجلته الأندلس على** مستوى السكان المحليين . ويشير الواقع إلى أن اللغة **العربية غلبت على المسيحيين بالأندلس وصارت عندهم أسلوب حياة ،** يمارسون بها علاقاتهم الاجتماعية **وغ.ا ملام اليومية من بيع وشراء ومراسلات ،** حتى عباداتهم **و عقائدهم تقام بالعربية ،لأن اللاتينية** لم تكن مفهومة إلا عند فئة **قليلة من رجال الدين ،** واضطروا إلى **شرح الكتاب المقدس و القوانين الكنسية بالغة العربية ليسهل فهمه على المستعربين** ،و في هذا **السياق وضع كتاب سنة 436هـ/1049م لكبار رجال الكنيسة** لتحقيق هذه الغاية ، **وهو ما يكشف** حقا عن مستوى التدني **الذي انتهت إليه اللغة اللاتينية** [1]، **. ولا شك أن تلك حالة المجتمع المسيحي بالأندلس** وتوجه الشباب منهم إلى تعلم العربية قد أثار استياء الكنيسة المحلية ولعل هذا الموقف له ما يبرره **، حيث أصبح الشباب المسيحيون** يحبون قراءة الأشعار وتراث الخيال العربي، **إن إقبال الشباب المسيحيين على معرفة الحضارة العربية وثقافتها** صار أمرا واقعا في الأندلس وبلغ هذا الواقع من التطور حتى انحصرت معارف هؤلاء الشباب في دائرة اللغة العربية وادابها ، وكانت نتيجة هذا الزخم الحضاري **أن انتشرت** مكتبات هائلة ذات الأثمان الباهظة في وسط النسيج المسيحي ، كما ساد الاهتمام البالغ بدراسة الكتب العربية لدى الشباب المسيحي ، الذين اقبلوا في كل مكان ومناسبة على الافتخار بهذه الاداب والثناء عليها .لقد نسي المسيحيون حسبما بدوا في ظل هذه المستجدات بالاندلس اصول حضارتهم بل حتى بلغة **دينهم** المسيحية ،ولعل لا يكاد يعثر بينهم إلا في حدود ضيقة على شخص يجيد كتابة رسالة لصديق باللغة اللتينية [2] **.**

(1) الطاهر أحمد مكي :داسات عن ابن حزم ، ط4، دار المعارف ، القاهرة ، 1993، ص25؛ إبراهيم بيضون: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3، 1986 ، ص 253 ؛ أحمد علي الملا: أثر المسلمين في الحضارة الأوربية ، دار الفكر ، دمشق ط2، 1981، ص 214.

(2) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، عصر الإيمان دار الجيل ، بيروت ، 1998 ص283 ، 303.

أما إذا كان الغرض الكتابة بالعربية فإنك تجد جمهرة من الأشخاص يعبرون على وجه موافق وبلياقة فائقة في هذه اللغة، ومنهم من ينظم أشعاراً، تفضل من وجهة نظر الفن الأشعار التي ينظمها العرب أنفسهم ،وهذا يدل وبشكل جلي عن مدى ما حدث من تعرب المسيحيين حتى كانوا يؤثرون أسماء العرب وازياءهم، وحتى هجرت كثرة شبابهم دراسة الكتب المقدسة المكتوبة باللاتينية، محاولين بكل ما استطاعوا أن يتقنوا الكلام والكتابة باللغة العربية(1).

ويذهب كثير من الباحثين إلى أنَّه ظلت تشيع- مع ذلك عامية لاتينية بـ□ ا□ستعرب□، ويتوسع بعض الباحثين فيقولون: إن هذه اللاتينية العامية شاعت أيضًا بين المتكلمين باللغة العربية، وأنه كان يسود الأندلس ازدواج لغوي، إذْ كان الناس هناك يستخدمون العربية ويستخدمون معها لاتينية عامية، ما عدا قبيلة بَلى في شمال قرطبة إذ انهم:"لا يحسنون الكلام باللاتينية لكن العربية فقط ، نساؤها ورجالها" كما ذهب إلى ذلك ابن حزم.واستنتج الدارسون من هذه الإشارة أن القبائل العربية ،بالأندلس في مختلف ا□ضارب تتكلم اللاتينية الدارجة والعربية، لقد كانت العربية حاضرة في الممالك الشمالية قبل سقوط طليطلة، و□ا سقطت طليطلة وأصبحت عاصمة جديدة □ملكة قشتالة، كانت اللغة العربية هي اللغة الغالبة في الدواوين، وضربت العملة القشتالية أيام ألفونسو السادس وكتبت بالعربية ،وبلغ من ذيوع اللغة العربية، انها استخدمت داخل الكنيسة، فنجد في الكتب الدينية المكتوبة باللاتيية شروحًا بـ□ السطور بالعربية،وهناك امثلة عديدة على هذه الشروح، ويستدل منها على انها اضيفت إلى ا□سيحي□ لغتهم الأولى العربية،وإلمامهم باللاتينية محدود،(2) .

وقد عثر على شواهد قبور □سيحي□ مكتوب عليها بالعربية أو بالعربية واللاتينية معًا وتبدأ بالبسملة، أما اللاتينية فكان يلم بها فئة محدودة من المثقفين ورجال الدين، يمارسون بها شعائر دينهم إلى جانب معرفتهم باللغة العربية، الأمر الذي أهَّلهم لأن يقوموا بدور المترجمين والسفراء بين حكام الأندلس وبين مسيحيي الشمال (3).

(1)- إبراهيم بيضون: ا□رجع السابق، ص ،253؛ الطاهر مكي :ا□رجع السابق ،ص33.

(2)- ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ،ص 464؛ عُبادة كُحيلة: أندلسيات ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1989، ص28،13 ؛ شوقي ضيف: ا□ضارة الأندلسية من ا□شرق وا□غرب، دار المعارف ،القاهرة ، 1994ص 156-157.

(3)ليفي بروفنسال: ا□رجع السابق ،ص 72.

وتدل التوقيعات العربية على الوثائق على ثقافة المستعربين العربية، فلا نعجب إذا لجأ رجال الدين والملوك إلى هذه العناصر المستعربة لتنمية الدراسات وازدهارها، وهم القادرون على قراءة الكتب العربية وتفسيرها،حيث دلت حواشي الكتاب المقدس والتراتيل الكنسية والمؤلفات الخاصة بهم انها مكتوبة باللغة العربية، وهي لغتهم الأم؛ لذلك كانوا أقدر من غيرهم على نقل التراث الإسلامي من اللغة العربية إلى الرومانسية*، وعلى هذا النحو تمت أكثر الترجمات، ولا نعجب بعد ذلك إذا شوهد فيها نقص، فإنه بالإضافة إلى الصعوبات التي كانوا يلاقونها في النقل من لغة إلى اخرى، ظهرت صعوبة اخرى هي العثور على الكلمات التقنية في مختلف فروع العلم والمعرفة، فاستخدمت اللغة العربية لغة ، والرهبان المتشوقون إلى اكتشاف كنوز العلم عند المسلمين لم يتورعوا من أن ينهلوا منها ،كما أن الأندلس امتاز ت عن غيرها من حيث هي ملتقى الحضارتين الغربية والشرقية، مما اجبر الناس على تعلم العربية لانها لغة العلوم المختلفة ، وبعد استرداد الأسبان طليطلة التي تعايش فيها المسلمون واليهود والمستعربون تحولوا إلى وسطاء لا يمكن الاستغناء عنهم بسبب معرفتهم اللغة العربية إلى جانب اللغة الرومانسية [1]

، رغم التضييق على الطقوس المستعربية في العبادة داخل الكنائس واتهامها بانها خاضعة لشكوك الهرطقة في نظر البابا، بعدما الغى المجمع الديني المنعقد في مدينة برغش سنة 473هـ/1080م الطقوس المذكورة، فحلت الكتابة الطقوسية الكارولنجية(الغالية) محل الكتابة المستعربة، يبدو أن تمسك مستعربي طليطلة ادى إلى الاحتفاظ بطقوسهم في ابرشياتهم القديمة، كما في ابريشية سانتا خوستا إي روفينا،وكان تمسكهم بذلك التراث حتى أيامنا هذه في المصلى المسمى مصلى المستعربين (Capilla Mozàrabe) في كاتدرائية مدينة طليطلة.وظلت الثنائية اللغوية للمستعربين حية لاستعمالها في شؤونهم اليومية، فاسهمت بذلك في إغناء اللغة الرومانسية بمختلف الألفاظ العربية [2] ،وأصبح يطلق عليها العربية القشتالية التي وضعت في إسبانيا في العصور الوسطى،وكان التأثير متبادلا إذ أن اللغة العربية

(1)- رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، (بدون تاريخ) ، ص 480 ؛ أحمد علي الملا : المرجع السابق ، ص 215.

(2)- ترند : اسبانيا والبرتغال ، ترجمة حسين مؤنس ، دار النهضة المصرية ، ط2، 1967، ص36 ؛ عبادة كحيلة : المرجع السابق ، ص 117 ، الطاهر مكي : المرجع السابق ، ص33.

*هي عامية الأندلس المعروفة باسم العجمية أو الرومانسية أو اللطينية شاعت في الأندلس ، وهي لغة تختلط فيها الألفاظ العربية واللاتينية .والراجح أنها كانت شائعة لدرجة كبيرة حتى أن ابن حزم يبدي استغرابه من كون إحدى العائلات الأندلسية المشهورة وهي " دار بلي " لا يحسن أهلها التحدث باللاتينية. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ،ص 464 .

هي الأخرى قد نالت نصيبها من التأثر حيث تلقت قسطا وافرا من الألفاظ الرومانسية ويتضح ذلك في الكلمات العديدة المتبقية من أصل رومانسي وتتواجد في التعابير العربية في المناطق التي استقرت فيها جاليات أندلسية بالغرب الإسلامي أو في المدن الكبرى للساحل الإفريقي ، و كذا المدن التي استردت من أيدي المسلمين في مرحلة عصر الطوائف كوشقة(488هـ/1095م) و ما جاورها ومناطق الثغر الأعلى الأندلسي[1]

، وإذا ما قمنا بإجراء إحصاء دقيق لديوان ابن قزمان لوجدنا عامية الأندلس واضحة في الخرجة في كل زجل تناقلته الأجيال من الأندلس إلى أسبانيا وممالكها الشمالية أو بروفانس.وعلى الرغم من أن فرنسا كانت في العصور الوسطى في عزلة عميقة بسبب وضعها الجغرافي، إلا أن هذا لم يحل دون تأثر بعض النواحي مما يجري في الأندلس منذ مشاركتها في الحملة الصليبية الشهيرة على مدينة بربشتر عام(456هـ/1064م) ،وكما تدين غالة للأندلس عصر ملوك الطوائف بالتأثيرات الثقافية والفنية التي كانت تعبر إليها من خلال الأسرى الذين تمكنت منهم القوات الصليبية الكلونية ،ويمكن الإشارة إلى أن سانشو الكبير ملك نافار كان مولعا بالحضارة العربية إذ أرسل لقرطبة لطلب بعض العلماء المسلمين لتعليم أبنائه فأرسلوا إليه عالما لتهذيب أبنائه

، وكان فرديناند على ما يذكر ابن بسام متعربا هو الأخر ، وقد وصل المستعربون إلى درجات مناصب المستشارين في البلاط القشتالي وأبرز مثال يمكن أن نضر به في هذا المقام المستعرب سيناندو ، الذي تربى في بلاط المعتضد بن عباد في اشبيلية فبرزت مواهبه لكنه فر إلى بلاط فرديناند ملك قشتالة حيث رحب به واتخذه مستشارا له ، وكان له دور كبير في عهد الفونسو السادس ،كان تأثير العربية قويا على ملوك المسيحيين في ذلك العهد ، فهذا بيدرو الأراغوني كان يوقع رسائله بالعربية ، وكان السيد يتكلم العربية بطلاقة في قصر بلنسية وأن الشعراء المسلمين والمسيحيين كانوا يتنافسو ن بين يديه كل بلغته في إنشاد اشعارهم التي يتغنون بها ، وقد تعرب في مظهره الخارجي [2] .

(1) يوسف عيد: الفنون الأندلسية وأثرها في أوروبا القُروسطية، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1990 ص،230 ؛مارغريتا لوبيز غوميز:المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة ، ط1، 1989،ص،281 ؛فيديريكو كورينتي: ديوان ابن قزمان نصا ولغة وعروضا ، مدريد، 1980 .

(2) بروفنسال: المرجع السابق ص79 ،87 88 ؛ طه مكي : المرجع السابق ،ص40 ؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ص135 ؛ رينو : المرجع السابق ،ص 242- 243.

ب/ □دجني□ (Mudéjares):

□دجني□ هم □سلمون الذين بقوا □ت حكم □سيحي□ في الأماكن المستردة حفاظا على أملاكهم والكلمة تعني المالوفين في المجتمع □سيحي[1]، وعرفت هذه الظاهرة الإنسانية الاجتماعية منذ وقت مبكر مع البداية الأولى لحرب الاسترداد سنة 133هـ/750م إذ مكث عدد من □سلم□ قي كل من أراغون ونافار ومناطق من أستورياس بعد استيلاء □سيحي□ عليها، وتوطدت العلاقات بينهم وب□ □سيحي□ المقيمين هناك ، لكن هذه المناطق غلبت عليها عادات □سيحي□ ولغتهم ولباسهم وبدئوا يفقدون اللسان العربي جملة [2]، وبنشاط حركة الاسترداد خلال القرن الخامس الهجري/ □ادي عشر ميلادي، وخاصة في مناطق غرب ووسط الأندلس في كل من قلمرية التي سقطت سنة 456هـ/1064م ومليقية سنة 449هـ/1057م وهما من كبرى حواضر مملكة بطليوس، وسقوط طليطلة عاصمة الثغر الأوسط سنة 487هـ/1085م، وبعد هذه التطورات كلها ازداد عدد المدجنين بشكل كبير وصاروا يشكلون عنصرا بارزا وفعالا في المجتمع □سيحي بعدما، س□ِ محَ لهم بالإقامة حسب معاهدات الاستسلام ،وظهر نوعا من التسامح لدى □سيحي□ مع هؤلاء □دجني□ لعدة أسباب منها دورهم الاقتصادي □رموق حيث أم فئة نشطة عاملة لا تعرف البطالة و مثال لنظام و السكينة ، وأفضل العناصر في جميع المهن وبذلك أصبح اعتماد □سيحي□ عليهم كبيرا ، وبهذه الصفة تحولوا إلى ضرورة في المجتمع النصراني ، خاصة بعدما اصبح النصارى يترفعون عن المهن والحرف ويسعون لأن يكونوا جنودا في الجيش القشتالي لأن هذه المهنة أصبحت تغري كل من يرغب في الثروة ، إضافتا إلى انها فئة تدفع ضريبة الراس للمسيحي□ نظير بقائها وهذا يصب في خانة الممالك □سيحية وتمدنها، وكما انه توجد في الجهة المقابلة نظائر لهؤلاء المدجنيين من □سيحي□ في بلاد □سلم□، يعرفون با□ستعربين مما فرض على □سيحي□ الرفق با□دجني□ خوفا من الانتقام من هؤلاء المستعربين المقيمين في الأندلس الإسلامية[3] .

(1) سيد رضوان علي : "العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية"، الرياض، دار المريخ 1407هـ/1987م، صص.111-112 ؛ الطاهر أحمد مكي :□ضارة العربية إسبانيا ، ط3 ،دار المعارف القاهرة ، 1414هـ/ 1994م، ص 123 .

(2)ليفي بروفنسال :□رجع السابق ، ص 123 ؛ شكيب أرسلان :□رجع السابق ، ج 1،ص 388- ج2،ص117.

(3)ليفي : □رجع نفسه ، ص 173، 187؛ السيد عبد العزيز سالم : □رجع السابق ،ص 80 ؛ □راكشي : □صدر السابق ، ص 134؛ ابن عذاري : □صدر السابق ، ج 3، ص 228 ؛ابن الكردبوس : □صدر السابق ، ص 73؛عصمت دندش: علاقة الأندلس □ملكة قشتالة من خلال الأقليات أهل الذمة ، مجلة الدراسات وبحوث في تاريخ الغرب و الأندلس ، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، رقم 48،الرباط ،1995 ، ص110-112 ؛ جلال مظهر: "□ضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي □ديث" ، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة ،ص129 ؛أمريكو كاسترو : □رجع السابق ، ص42.

ج/اليهـود:

أما الجسر الثالث لنقل الحضارة فهم اليهود الذين لعبوا دورا كبيرا في التبادل الحضاري بين الشمال المسيحي والجنوب المسلم ،و سكن اليهود في أحياء من مدن معينة مثل قرطبة ومالقة وطليطلة وإشبيلية وسرقسطة وغرناطة كما كانت لهم مدن خاصة بهم مثل مدينة البيرة واليسانة ولا يداخلهم فيها مسلم وأهلها مياسير أغلبهم تجار [1]، إذ راجت تجارتهم داخل الاندلس وخارجها، وكان اليهود يحتكرون بعض المهن والحرف والصناعات التي يرون انها تدر عليهم اموالا طائلة، واحتكروا بعض انواع التجارة كتجارة العبيد والجواري البيض والحرير والتوابل، [2] .

وبفضل هذه الممارسات التجارية جمع اليهود الذين كانوا يعيشون تحت ظل الحكم الإسلامي في الأندلس أموالا طائلة، وكانوا لكثرة ثرائهم يرسلون الأموال إلى اليهود الفقراء خارج الأندلس.انتشر اليهود في كثير من انحاء الاندلس وشكلوا جالية متميزة في دينها وسلوكها وتعاملاتها ، وتعد مدينة سرقسطة مركزا هاما لهذه الجالية إذ تعد عاصمة الثقافة اليهودية بشرق الأندلس، كما توجد جالية يهودية معتبرة بمدينة وشقة (Huesca) والرِّيف المحاذي لمملكة أراغون، حيث أبرزت الوثائق وجود ممتلكات يهودية ومعاملات تجارية بين الجالية اليهودية والمستعربين الأسبان في تواريخ مختلفة، ففي سنة 491هـ/1098م في مدينة وشقة أن ممتلكات كنيسة أصبحت في حكم صاحبها ثباكسوردة (Zavaxorda) اليهودي، وتتمثل في ضيعة تابعة لكنيسة سان بيدرو(San pedro)شمال وشقة، وتدل الوثائق على ملكية اليهود لمساكن ومحلات تجارية منذ القرن الحادي عشر الميلادي، واستمرت بعد سقوط وشقة وحدودها الشمالية في 491هـ/سبتمبر1098م، في يد المستردين الأراغونيين .كما أن بالمنطقة والريف الشمالي للثغر الأعلى عقارات للجالية اليهودية بما في ذلك مقبرة قديمة تدل على استقرار الجالية بمنطقة عاصمة الثغر الأعلى سرقسطة البيضاء [3]

---

(1) الإدريسي :المصدر السابق ، ج2 ، ص 571- 572 ؛ ابن قتيبة :عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الحياة ، بيروت ج1، 1985،ص532؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس ،الشركة العربية للطباعة والنشر ط1، القاهرة ، 1959.

(2) محمد بحر عبد المجيد:اليهود في الأندلس، سلسلة المكتبة الثقافية العدد 237، القاهرة 1970، ص 20- 21.

(3) محمد الأمين بلغيث : الحياة الفكرية في الأندلس عصر دولة المرابطين ، رسالة لنيل الدكتوراه دولة ، إشراف الدكتور عبد الحميد حجيات. نوقشت بجامعة الجزائر 2000/2001، ص584- 585.

مارس اليهود مهنة جباية الضرائب في الوسط الإسلامي والمسيحي بالأندلس ، وهي أخطر مهنة امتهنها اليهود لما تجلبه لهم من حنق وكراهية الناس، ولا شك أن هذا الدور المالي والإداري ، والذي حفظه شعر عصر ملوك الطوائف ، كان محط اهتمام الجانب المسيحي بشمال الأندلس ، حيث استغل الملوك المسيحيون اليهود الذين يحسنون اللغة العربية ولغات حواضر وأرياف الأندلس في نقل معارفهم العربية والإسلامية إلى قصور وقلاع الملوك والقادة العسكريين،واستخدموهم في أعمال السفارة والتجسس،وفي عهد ألفونسو السادس لقي اليهود تقديرا بالغا نظير خدمتهم لمملكته، إذ كان الملك ألفونسو يحترم يوم عيدهم ويقربهم إليه فجعل منهم وزراء وكتابا وأكثر خدم العسكر منهم فلا غنى عنهم[1] ، كان حقل التجارة هو الميدان الذي برع فيه اليهود بشكل حساس ،ذلك انهم فرضوا انفسهم كوسطاء في معظم التعاملات التجارية الدائرة بين الأندلس وبين أسبانيا المسيحية وأقاليم البحر المتوسط وبيزنطة والغرب الأوروبي من جهة ، وبين الأندلس و المشرق الإسلامي من جهة أخرى ،وقد أكسبهم هذا الدور النصيب الأوفر في هذا التبادل التجاري العالمي نظراً لحالة الحرب التي تعرفها الأندلس مع الممالك الأسبانية، بالخصوص منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي [2] .

ولم يكتفي اليهود بهذه المكاسب المادية بل اخترقوا حدود السياسة فشقوا لانفسهم الطريق لاحتلال أرفع المناصب على مستوى الجانبين الإسلامي والمسيحي ، كالمناصب الوزارية .وكان تصرف الحكام اتجاههم ينم عن اعتقادهم بأنهم لا يشكلون خطرا سياسيا على عروشهم ، وذلك لقلة عددهم في المجتمع وظنا منهم أيضا أن هم اليهود الوحيد في السلطة هو جمع الثروة وكسب الجاه فقط ، وهو ما وفرته لهم الظروف من خلال توليهم مهمة جباية الأموال سواء لدى المسلمين في عهد ملوك الطوائف ،أو عند المسيحيين في عهد الفونسو السادس ، وفي هذا الصدد يمكن القول أيضا أن اليهود سبقوا المسلمين في شغل هذه المهام لما أتيحت لهم الفرصة لخدمتهم في هذا المجال إبان الفتح الإسلامي للاندلس [3].

(1) ابن حزم : الرسائل ،ص173 ؛ الأمير عبد الله :المصدر السابق ، ص 30 ؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص134.
(2) محمد الأمين بلغيث :المرجع السابق ، ص 584، 586.
(3) الأمير عبد الله : المصدر السابق ، ص 30 ؛ السلاوي :المصدر السابق ، ج1 ، ص 38 ؛ محمد زيتون : المرجع السابق ، ص 305؛ حسين مؤنس : فجر الأندلس ، ص523، 526.

## د/المرأة ودورها في نقل الثقافة العربية الإسلامية إلى الشمال المسيحي:

كان للمرأة المسلمة عامة والأسيرة خاصة ، أهمية واضحة في نشر العادات الاجتماعية والثقافة الإسلامية إذ كان للمرأة الأندلسية ثقافة عالية ومعرفة واسعة بالفن والأدب والتاريخ ولم يكن مجرد مصادفة بحتة أن المرأة البروفنسية كانت أول امرأة أوربية اشتغلت بالأدب فقد كانت مقاطعة بروفانس تضم ابتداء من القرن الخامس هجري /الحادي عشر ميلادي أفواجا من هؤلاء الأندلسيات و المقدر عددهم بآلاف الأسيرات اللائي نقلن من مدينة بربشتر .وفي الجانب المسيحي من الأندلس كانت المرأة العربية في قصور الملوك الأسبان ففي مدينة برغش أقيم في قصر شانجة غرسية كنت قشتالة 999/1017 وقد تميز الحفل بعدد من المغنيات والراقصات أهداهن إليه الخليفة في قرطبة فأمرت زوجة شانجة واحدة منهن بالغناء فغنت بالعربية [1] .

كان عدد هؤلاء الأسيرات كثيرا و دورهن في الثقافة أكبر مما نتصوره على امتداد الأندلس كله وحتى فيما وراء حدود الأندلس . ذلك أن هزيمة المسلمين النكراء في معركة بربشتر الشهيرة قد أدى إلى وقوع عدد مهول من النساء والبنات والأطفال في الأسر المسيحي المهين ، وقدره المؤرخون بحوالي مائة ألف أسير أغلبهم من الطبقة العالية و الوسطى . على أن هذا الحجم إذا كان يبدو مبالغا فيه إلا أنه يؤشر إلى ضخامة افواج الاسيرات وإلى حجم التاثير الحضاري الذي قد يتلقاه المجتمع المسيحي في الشمال [2]، فالمرأة تكون أسيرة في البدء ثم زوجة أو وصيفة أو جارية أو عشيقة وفي النهاية يبرز دورها القوى في التأثير على الرجل الذي اختارها .ولما كانت المرأة الأندلسية عادة أرقى من الرجل المسيحي الذي آل إليه أمرها فهي تطبعه حتما بطابعها يحب ما تحب ويكره ما تكره وأخيرا يتعلم منها لغتها العربية الفصيحة أو عامية وتأخذه بتقاليد مجتمعها وبيئتها و بالتالي نجد أولئك الزوجات يفرضن أنفسهن فرضا على المسيحي ونتصور أنه قد أصبح لكل قشتالي أو مسيحي من الشمال له امرأة أندلسية من هذا السبب ففرضت نفسها عليه وحملت أولادها طابعها فلا عجب أن تنتشر الثقافة العربية الإسلامية،ويشير ليفي

---

(1) احمد مكي : المرجع السابق ، ص40 .

(2) ياقوت الحموي: المصدر السابق ،ص371 ؛ أحمد المقري : المصدر السابق ، ج4 ،451 ؛ ابن عذاري:المصدر السابق ، ج3،ص225؛ شكيب أرسلان ،المرجع السابق ،ص 187؛ احمد مكي :نفسه،ص 40.

برفنسال أن هناك سيدة مسلمة دخلت البلاط القشتالي كزوجة لألفونسو وهي إحدى زوجات أبناء المعتمد ابن عباد وهو الفتح الذي قتله المرابطين فتزوجت ألفونسو السادس و التي تعرفها الرواية القشتالية "زايدة" وكان زواجها من على سبيل الانتقام من المرابطين حيث أصبحت ضمن حظايا ألفونسو السادس وأنجب منها ابنه الوحيد شانجة الذي قتل في معركة إقليش عام 50هـ/1107م(1).

## ه العلاقات الاجتماعية و الاقتصادية:

ربطت بين المسيحيين في الشمال و المسلمين في الجنوب سهول شاسعة اعتاد الطرفان اللقاء و الاختلاط فيها وكان هذا الوسط الجغرافي ميدانا خصيبا لتشابك العلاقات بين الخصمين بين الخصمين الإسلامي والمسيحي .وقد تميزت بديناميكية نشطة وفعالة قوامها التناحر والتفاعل والتجانس ، فلا غرابة إذ قيل أن ظروف الحرب التي عاشها المسلمون والمسيحيون قد أدت إلى ميلاد تفاعل حضاري و اجتماعي لا يمكن أن يحدث إلا في الأندلس الغريبة ففي هذه الأوقات الحربية كثرت التحالفات إذ تحالف المسلم مع أمير مسيحي لمحاربة آخر مسلم أو مسيحي ووجود جنود مختلطين من المسلمين ومسيحيين في جيوش أمراء الشمال المسيحيين أو الأمراء الجنوب المسلمين وظهور قواد لا يدينون بالولاء لأحد وإنما يقاتلون بجيش مكون من عناصر مختلفة مع من يدفع لهم أجرا كبيرا أو ضد من يلتمسون فيه ضعفا أوطلبا للغنائم أو حبا للمغامرة وفي فترة استراحة المحارب كان هؤلاء المرتزقة يتذاكرون قصص الفروسية والبطولة والسير العربية ،فكان القنبيطور أو السيد تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب فإذا انتهى إلى قصة تعجبه إستخفه الطرب وطفق يعجب منها ويعجب .عندما أخذ المسيحيون بعض الحواضر الكبرى من أيد المسلمين كانوا يستولون على القصور بمن فيها من شعراء يقعون أسرى ثم يعيشون في كنف الأمراء الجدد وهذا ما وقع في بربشتر وطليطلة وبلنسية مما أدى إلى ظهور علاقات اجتماعية جديدة ميزت هذه الفترة بطابعها الحضاري (2).

(1)أحمد طه مكي : المرجع السابق ، ص 43 ؛ ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص 151.

(2) ابن عذاري المصدر السابق ، ص 225- 226 ؛ ياقوت الحموي :المصدر السابق ، ص 370 ؛ المقري :المرجع السابق ،ج4 ، ص451 ؛ طه مكي : المرجع نفسه ، ص35 ، 38؛ ليفي بروفنسال : المرجع نفسه ، ص194.

إن الحروب الطويلة والمتواصلة التي استحكمت بين شمال وجنوب الأندلس لم تؤد إلى قطع أوشاج العلاقة بينهما وخاصة الاقتصادية منها إذ لم يحجم مسيحيو الشمال عن الذهاب إلى الحواضر الكبرى الاندلسية في الجنوب بل كانوا ياتونها بسلعهم ليبيعوها إلى سماسرة لهم ويطلبون سلعا أخرى لا تتوفر في بلدهم بل أن هؤلاء توافدوا إلى قرطبة واشبيلية بعد سقوط طليطلة وتشير المصادر إلى أن عدد هؤلاء كان كبيرا. ولا شك أن المصاهرات بين المسيحيين المستعربين والمسيحيون الجدد في المدن المستردة قد نتج عنه نقلا كبيرا لمقومات الحضارية بين الجانبين (1).

## 2/مظاهر من تأثيرات الحضارة الإسلامية في شمال الأندلس :

لا شك أن الأحداث التي عايشها الجانبان الإسلامي والمسيحي في الحرب والسلم ، قد انجر عنها وقوع تفاعل حضاري لا يكن إنكاره مس جوانب متعددة من الواقع كاللغة والعادات والدين والفن والآداب العامة جراء التداخل الذي استمر عقودا من الزمن ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن الممالك المسيحية لم تكن شيئا في الجانب الحضاري ، و التي أخذت تتطعم من خلال الروابط والقنوات الاتصال بين المسلمين و المسحيين التي كانت بلا شك مؤثرة و فعالة ، ظهرت لها ألوان من التأثيرات بين الجانبين فهؤلاء ملوك قشتالة و أراغون أصبحوا يحطون أنفسهم بعلماء و شعراء مسلمين أو مستعربين و يتنعمون بخير ما في الثقافة الإسلامية دون أدنى حرج ،أدى الاحتكاك بين المسلمين والمسحيين على أرض الأندلس إلى تخلص المسيحيين من همجيتهم وأخذوا يقتبسون من المسلمين الخصال النبيلة إلى أن قال بعض مؤرخي المسيحيين و مدنيتهم انه يشك في ان المسيحية بإمكانها ان تاتي بمثل ذلك التاثير مهما بولغ في تاثيراها ،فقد تحولت المدن المستردة إلى مراكز لنقل الحضارة العربية الإسلامية على رأسها طليطلة التي احتوت على كتب الرومان ، واليونان المنقولة إلى العربية،إضافة إلى المدارس والمكتبات الكبرى التي كانت مصدرا للثقافة(2) ، ولا حظ في هذه الكنوز لمن ليس له ثقافة عربية ، ويكفينا في هذا المقام ،

---

(1) ابن رشد : الفتاوى ، السفر الأول ص618 ، السفر الثالث ص 1434، 1423 1425،

(2).طه مكي : المرجع السابق ص39 ؛ غوستاف لوبون :حضارة العرب ،تعريب محمد عادل زعتر ،القاهرة 1945 ، ص 597 ؛ محمد حمام الهلال:الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية سلسلة ندوات رقم 48 العربية للطباعة و النشر ، ط1995 ،ص 97.

شهادة " أنجل جنثالث بالنسيا palencia " مؤلف تاريخ الفكر الأندلسي والذي نقله عن الأسبانية " الدكتور حسن مؤنس " يقول : " إن الفضل في قيام الدراسات الطبية في أوربا يرجع إلى ما كتبه المسلمون الذين كانوا يبعثون بالسفراء لاستجلاب الكتب القيمة ما بين إغريقية ولاتينية ، ويقيمون المراصد لدراسة الفلك ، ويقومون بالرحلات ليستزيدوا من العلم بالتاريخ الطبيعي ، وينشئون المدارس لتدرس فيها العلوم بشتى صنوفها "[1] بل انتقلت الحضارة الإسلامية خارج أبيريا إلى غالة المجاورة حين كان رهبان كلوني لا تتوقف رحلاتهم بين مقرهم في غالة وأديرتهم في طليطلة ،إضافة لما نقله الحجاج من القبر المقدس بشنت ياقب في الشمال ، تدفقت العلوم العربية الإسلامية على أوربا من خلال الأندلس بعد أن فتح العرب الطريق عبر جبال البرت إلى فرنسا وإيطاليا، حيث عبر العلم والفلسفة العربيان من خلال رأس الجسر الثقافي الذي أقيم في شبه جزيرة ايبريا إلى أوربا[2]وظهر التأثير الإسلامي في فن العمارة في الأندلس ،إذ كان الطراز السائد قبل حركة الاسترداد هو الطراز القوطي*، ولكن بعده تطعم هذا الطراز فأقيمت المدن والقصور على الطرز الإسلامية أطلق عليه فن المدجنين والمستعربين الذي كان في كنائس المستعربين في كل من قشتالة وليون وأشتورياس والذي إقتبس أشكاله من الفن الإسلامي مما يدفعنا للقول بأنه لا اقتباس أصول من الفن المعماري الإسلامي ، إذ ليس هناك من مشابهة بين الطراز العربي الإسلامي والطراز القوطي وإن تأثير فن العمارة الإسلامية واضح في كثير من الكنائس القشتالية والنفارية بل تعدى ليصل لغالة في الشمال ككنيسة مدينة (ماغلون) 1178م، التي كانت ذات صلات بالشرق، وكنيسة (كانده) وكنيسة (غاماش)... إلخ، وألمح مسيو شارل بلان إلى ما اقتبسه الأوروبيون من العرب في فن العمارة بقوله: أرى من غير مبالغة فيما لأمة من التأثير في أمة وذلك خلافاً لما يسار عليه اليوم أن الصليبيين الذين شاهدوا ما اشتمل عليه الفن العربي من المشربيات، وشرفة المآذن، والأخاريز أدخلوا إلى فرنسا المراقب والجواسق والأبراج والأطناف والسياجات التي استخدمت كثيراً في العمارات المدنية والحربية في القرون الوسطى[3].

(1) علي محمد راضي : الأندلس والناصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ص 115 - 116؛ غوستاف لبون : المرجع السابق ،ص 292 - 293.

(2)شاخت وبوزورث: (تراث الاسلام) – ترجمة محمد زهير السمهوري تحقيق شاكر مصطفى ،الكويت 1978 ص125.

(3)لوبون: نفسه ، ص572 - 573.

*يسمى بالفن القوطي نسبة إلى فرع الجرماني المعروف بالقوط" GOTH " صدرت هذه التسمية عن الإنسانيين الإيطاليين في عصر النهضة ، استهجانا واستخفافا بقيمة هذا الفن المعماري .

ولا شك أن من العناصر الإسلامية التي آثرت البقاء في الأراضي المستردة قد مارست مهنة الزراعة والتي قوامها الماء ، فحافظ على أساليب الري ووسائله التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس منها ، (قنوات الري والنواعير) التي تعتمد على قوة تيار الماء المعروفة باسمها العربي (الشادوق) والقنوات هي مجاري المياه تحت الأرض يتكون عن طريق الربط بين سلسلة من الآبار ويستخدم في استنباط موارد المياه الجوفية ونقلها مسافات شاسعة، فكلمة (مجريط) في الاسبانية مشتق من الاسم العربي (مجرى) وهذا الاسم يتعلق بهذه المعمرات الإسلامية وقد أسهمت أساليب الري التي أخذت عن المسلمون بشكل هام في تكثيف الزراعة في الممالك المسيحية وفي جنوب أوربا، واستعملت الألفاظ العربية الدالة على السقاية أيضاً مثل: الساقية Aceqiua، الناعورة Naria، السد Azud، البركة Alburca [1]،أما فيما يخص التنظيم الإداري و العسكري للممالك النصرانية نجد كما هائلا من المفردات ذات الأصل العربي منها رتبة ملازم (Alferes) و هي كلمة عربية يقصد ا الفارس، و المقدمة في الجيش هي (Atalaya)و هي الكلمة العربية الطليعة و المؤخرة هي ( Zaga )و هي الساقة بالعربية .أما المصطلحات الفنية والمعمارية فنجد أسماء كثيرة مثل (Albanil) المنقولة عن الكلمة العربية البناء ،ويدعى الأجر الطوب (Adobe) و الضرائب تدعى(Alcabala) و تعني الغرامة ،و اسم شيخ الجماعة تدعى (Alcalde)وهي كلمة القاضي العربية , إضافة إلى أسماء المدن و الحصون و القرى هي الأخرى أصلها عربي ألفت فيها الكتب [2] ،كما يبدوا أثر التراث الإسلامي في ملحمة السيد واضحا ، فشاعر الملحمة من المستعربين عكس صور وأخلاق عربية مثل الكرم والشرف والثأر، ومؤثرات إسلامية مثل تخميس الغنائم، وزواج ابنتي السيد مرتين، والدية في حال القتل الخطأ، والمنشد فيها أخبار الفروسية، كالمبارزة بين بطلين مثلا، وملحمة السيد القومبيطور تصور مغامرات السيد تصويرًا تاريخيًا، هي نتائج وقائع تاريخية وخيالية في نهاية عصر الطوائف وبداية عصر المرابطين بالاندلس، والتأثير الإسلامي فيها على درجة كبيرة من الوضوح [3].

(1)شاخت: المرجع السابق ، ص308- 310.

(2) ليفي بروفنسال:المرجع السابق ، ص80 – 81؛ ترند :المرجع السابق ، ص 45

(3) الطاهر أحمد مكي:المرجع السابق .ص:110 ؛ بروفنسال: نفسه ص:79 ص:87 88 ؛إبراهيم أحمد الشريف: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي،القاهرة ، 1976، ص 190؛ مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا ،دار الصديقية ، الجزائر 1980،ص 77.

اما في المجال الذي له علاقة بحياة الاسترخاء واللهو، فقد مال المسيحيون إلى أغاني العرب و موسيقاهم فمعظم أسماء الآلات الموسيقية عند الأسبان مشتقة من اسمها العربي فالعود عندهم (Laud) و الرباب (rabeb ) و البوق (elboque)و الطبل و غيرها وهناك أيضا ما يدل على تفهم النصارى لموسيقى الأندلس فقد حدث حينما سقطت مدينة بربشتر الإسلامية في يد النصارى عام 456 /1064 و استولوا على ديارها بما فيها من متاع و جواري فجلس أحدهم مكان صاحب الدار و طلب من إحدى الجواري العربيات أن تأخذ العود و تغنى له [1] ، كما كان تأثير المسلمين في مسيحيي الشمال الإسباني في مجال الزى و الملابس عظيما في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي و يقلدونهم في اتخاذ الفرش المستخدمة للجلوس فيقول ابن بسام (( ...دخلنا على شانجة ملك قشتالة فوجدناه جالس على مرقبته عليه ثياب من ثياب المسلمين و رأسه مكشوف أصلع كهل لم يغلب عليه الشيب أسمر اللون جميل الصورة...)) [2] ،و أخذ المسيحيون أساليب اللهو مثال الشطرنج الذي أحيط بشعبية كبيرة و ربما كان زرياب المغني هو أول من أدخله إلى الأندلس في القرون متقدمة و من الأندلس انتقلت هذه اللعبة إلى مملكة ليون تحت اسم (Ajedrez)وأخذوا يقبلون عليها،و يذكر عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب أن ابن عمار وزير المعتمد ابن عباد رد ألفونسو السادس عن مدينة اشبيلية حينما غلبه في لعبة الشطرنج (2)،.
إن اللغة الاسبانية مشتقة من حيث جوهرها من اللهجات الأيبيرية اللاتينية التي كانت تشكل اللغة الرومانسية الاسبانية لكنها وجدت نفسها مضطرة طيلة مرحلة نموها و حتى القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي على الأقل إلى الأخذ من العربية كل ما ينقصها ، وساعد على ذلك الامتزاج بين المسلمين و المسيحيين في الحروب و الأحلاف الكثيرة مما عزز دخول العربية في المفاهيم الجديدة لدى المسيحيين في المؤسسات و الحياة الخاصة التي لم تكن موجودة في اللغة الرومانية [3] ،كما كان تأثير المسلمين الخلقي على الأندلس وعلى رجال الممالك المسيحية كبير جدا، فقد أشار لوبون ما ذكره سبوباونلي في كتابه عن القرآن بقوله: ( أسفرت مخالطة العرب وتقاليدهم عن تهذيب طبائعنا الغليظة في القرون الوسطى وتعلم فرساننا أسمى العواطف وأنبلها وأرحمها من غير أن يفقدوا شيئاً من شجاعتهم[4].

(1) الطاهر أحمد مكي :المرجع السابق ، ص 123،122.
(2)ابن بسام :المصدر السابق ، ص 149؛المراكشي : المصدر السابق ، ص 119؛ أحمد المقري :المصدر السابق ، ج4 ص ،471.
(3) ليفي بروفنسال : المرجع السابق ، ص80 – 81؛ ترند ، المرجع السابق ، ص 45 .
(4) لوبون: المرجع السابق ،ص576.

الواقع أن استقرار المسلمين في الأندلس يشكل محطة مفصلية في تاريخ هذه المنطقة ، **خاصة وأوربا عامة** ، وما حققه المسلمون بإسبانيا من إنجازات حضارية لهو جدير بالتنويه والاحترام .

ومما يدل على اصالتها وسؤددها ، بقائها واستمرار مؤثراتها حتى في عهد ضعف اهلها المسلمين . وما ناله المسيحيون في الجنوب والشمال من تأثيرات الحضارة العربية الإسلامية يدفع إلى وضع سؤال تقليدي شائع مفاده .هل تواجد المسلمين في الأندلس يعد نقمة أو نعمة على أهلها المسيحيين؟.

# ا□ا□ة

## الخاتمة

يشكل القرن الحادي عشر الميلادي /الخامس الهجري فاتحة عهد جديد بالنسبة لتاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية في الأندلس ، حيث تحولت هذه البلاد أثنائه الى ميدان نشيط وخصيب لتطورات سياسية وعسكرية حاسمة، أدت الى رسم معالم مستقبل جديد لمنطقة اشتهرت بتمايزها الحضاري الخلاق وتعايش سكانها الفريد وتفاعلهم الإنساني البناء.يعد شمال الاندلس فعلا والمعروف بطابعه المسيحي المتميز مهدا لهذه التحولات الإستراتيجية والتي سمحت بلا رجعة بتغيير مجرى الأحداث في بلاد الأندلس، كما مكنت من فرض واقع جديد وثقيل بها والذي فشل المسلمون في إحباطه تماما .ومن ذلك فان القرن الحادي عشر الميلادي /الخامس الهجري كان منعرجا هاما ومزلزلا في تاريخ الأندلس سجل خلاله شمال هذه البلاد ميلاد ممالك مسيحية تبوأت الريادة في التغيير الجذري المذكور.أدى الوضع المضطرب في الأندلس أيام حكم الولاية الى قيام نواة الممالك المسيحية في شمالها بفضل الظروف المختلفة منها ما هو سياسي ومنها ما هو طبيعي ، وبالتالي نشأ وضع جديد كان مهددا للوجود الإسلامي في شبه الجزيرة إذ انقسمت الى شطرين جنوبي مسلم وشمالي مسيحي هذا الأخير وان كان ضعيفا فقد بات يتحين الفرص المتاحة للتوسع.هذا على الرغم من قوة وسيطرة المسلمين طيلة القرون الثلاثة الأولى من بعد دخولهم المنطقة.

في ظل هذا الانقسام عاشت القوى السياسية والعسكرية المسيحية والإسلامية الأندلسية في صراع مستمر وطويل ميز بشكل واضح الواقع في اسبانيا ، انتهى بعد ثمانية قرون بالقضاء على الدولة الإسلامية ،وعودة شبه الجزيرة الايبيرية الى أهلها . شكل سقوط الخلافة الأموية بقرطبة وقيام دول الطوائف بداية عهد جديد في الأندلس لما يحمله من عوامل التأثير على مستقبل المنطقة ،ذلك أن هذه الدويلات الإسلامية لم تلبث أن دخلت في حرب ضروس ضد بعضها تميزت بالاستنزاف القاتل ولسان حالهم يقول((الإمارة ولو على الحجارة)).ولم تقف القوى المسيحية في خضم هذه الأزمة الإسلامية موقف المتفرج ، إذ دأبوا على استغلال هذا الوضع بتحريك الخصومات وتأجيج الأحقاد ومد يد العون لبعضهم كل ما التمسوا منهم ذلك ، ولم يقف المسيحيون عند هذا الحد بل راح بعضهم كفرديناند وابنه الفونسو السادس ليتدخلوا في شؤون ملوك الطوائف الداخلية ،وإملاء الشروط عليهم وإجبارهم على دفع الجزية لهم ،والتنازل عن بعض الحصون والأراضي والاستيلاء على بعضها في ، وبهذا حقق للمسيحيين مكاسب تمثلت في استرداد نصف بلاد الأندلس تقريبا ،

ا جسد بشكل ساطع هشاشة وإفلاس هذا النظام (نظام ملوك الطوائف)،وهو ما جعل تدخل قوة المرابطين الناشئة في شؤون مسلمي الاندلس امرا حتميا لإصلاح صرح اوضاعهم وتدارك انهياره.

إن تشكل الممالك المسيحية وتفرز اركانها وتحولها الى حاجز منيع يحول دون اجتياز الإسلام جبال البرانس والوصول الى قلب أوربا المسيحية مرة اخرى.

ومهما يكن من أمر هذه التطورات فانه ما كان لجهود القوى المسيحية في الأندلس أن تثمر لولا ارتباط اسبانيا بأوربا جغرافيا ،إذا كانت هذه الأخيرة بحكم متاخمتها للأندلس تزودها دون كلل بالدعم المادي والعسكري ، ولعبت البابوية دورا فعالا في هذا الصراع الإسلامي المسيحي ولم تدخر جهدا في سبيل تحريض الفرسان في غالة وايطاليا وفي جميع أنحاء أوربا على وجوب المشاركة في هذه الحرب المصيرية التي باركتها وأضفت عليها صبغة صليبية مقدسة ،وفي هذا المضمار أيضا برزت الهيئتان الدينيتان وهما كلوني (Cluny)،وسيتو (citeaux) بجنوب فرنسا كعنصر حساس في هذه المواجهة من خلال دورهما النشيط في حشد الهمم وبعث الوعي الديني في نفوس الأوربيين ، ومن ثم تأجيج شعور الحقد والكراهية فيهم تجاه المسلمين .لقد شكل شمال اسبانيا منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري ميدانا خصيبا لتطورات سياسية وعسكرية هامة أثرت بشكل جذري على مستقبل الأندلس على المدى القريب والبعيد.ويعود تحقيق هذا المشهد الجديد الى الدور الاستراتيجي و الريادي الذي لعبته إحدى القوى المسيحية ألا وهي مملكة نافار في بداية القرن ،حيث حملت لواء المعارضة في وجه المسلمين بعد أن نجحت في توحيد الجبهة المسيحية تحت زعامة واحدة والمتمثلة في الملك سانشو الأول الملقب بالكبير ،ثم مملكة قشتالة في منتصف القرن ونهايته حيث حملت لواء الاسترداد ونجحت في ذلك تحت زعامة فرديناند وابنه الفونسو السادس بإسقاط مملكة طليطلة عاصمة القوط التاريخية.

وليس هناك من شك أن للزعامات السياسية دور حاسما في توحيد الأمم والشعوب وجمع شملها من اجل تحقيق غاية قومية عليا وما أشبه البارحة بالأمس القريب ذلك أن ما وقع في شمال اسبانيا في هذه الحقبة يشبه الى حد بعيد الواقع الذي عاشته كل من ألمانيا وايطاليا في غضون القرن التاسع عشر الميلادي وما كان للوحدة الترابية الوطنية إن تتحقق في هذين البلدين لولا زعامة بروسيا في ألمانيا ومنطقة البييونت في

شمال ايطاليا وهما اللتان حملتا على عاتقهما مسؤولية تجسيد هذا المشروع القومي رغم كل الصعاب والتحديات .إن مشروع فتح الاندلس واستقرار المسلمين بهذه المنطقة يعتبر منعرجا قوي الدلالة في تاريخ الإنسانية وحضارا ، ويدل على ذلك ما انجزه الحكم الإسلامي بها يشهد له الاوربييون أنفسهم في هذه البلاد الغريبة والبعيدة .انكب المسلمون على تثبيت وجودهم وتأكيد شخصيتهم وقد افلحوا في ذلك حتى غدت الأندلس بلدا عربيا وإسلاميا مميزا ، مما ترك انطباعا في الأذهان أن هذا الواقع كان أمرا مقضيا لا سبيل الى تبديله.وأما الشمال المسيحي فقد دخل هو الآخر عهدا جديدا ميزه الشعور الديني الضيق والوعي المحلي العادي للمسلمين الدخلاء ، وكذا السعي الى استجماع قواهم الفاعلة.في خضم هذه التطورات عاش هؤلاء المسيحيون حراكا حثيثا راودهم أثناءه حلم استرجاع ملكهم الضائع ، ومن اجل ذلك لم يغفلوا عن التربص بأوضاع الجنوب ولم تغمض لهم أجفان في سبيل تحين الفرص للإجهاز على خصومهم ، وكان لهم ذلك حينما انهارت الخلافة الإسلامية وانشغل المسلمون الاندلسيون بحروبهم الاهلية الداخلية ، ولم يتخل المسيحيون في الشمال عن كراهيتهم واحقادهم الدفينة التي يكنونها للمسلمين ولعب هذا الشعور دورا كبيرا في إصرار القوى المسيحية على مقاومتهم ثم طردهم وملاحقتهم حتى في شمال إفريقيا.

لا شك أن المواجهة بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس كانت عنيفة و موجعة للطرفين ولم تحقق القوى المسيحية نصرها المنشود إلا بعد أن خاضت حربا ضروسا ومكلفة، لكن لهذه العلاقة العنيفة جوانبها الايجابية بالنسبة للطرف المسيحي ذلك أن هذا الاحتكاك وان تميز بالعنف فقد استفاد هذا الأخير من الناحية الحضارية مما سمح له بإثراء رصيده الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وهو ما يسر له السبيل الى تعزيز قدراته الحضارية ، ومن ثم احتلال مكانة رائدة في مصاف الدول الأوربية الكبرى التي ساهمت في رسم صرح العالم الجديد.وإذا كان لمسلمي الأندلس الفضل في نقل مسيحي اسبانيا من ظلمات التخلف الى نور الحضارة والتقدم فان ذلك لم يشفع فيهم أمام حقد وغطرسة خصومهم حيث أوسع هؤلاء فيهم تقتيلا وتنكيلا وتشريدا ، ولا غزوة إذا قيل إن هذه الصفحة تعد اكثر بشاعة ودموية في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية إبان العصور الوسطى.

إن ميدان الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي/ الخامس الهجري وما بعده كان حقا طافحا بجلائل الاحداث ،التي تستوجب التوقف عندها، إنها جديرة بالدراسة العلمية الـادة بل جديرة بأن تشجع دراستها وتحليلها ،وهذه المبادرة تعد اكثر من ضرورة ينبغي التأكيد عليها حتى يتم استخلاص العبر وتفادي تكرار الأخطاء .

## ملحق رقم (01) : ملوك نبرة ( نافار )

ونقة بن شانجة ( أنيجوآرستا)

فرتون بن ونقة ( 226 هـ)

1 غرسية بن ونقة ( 229هـ)

ينقة بن ونقة ( 229 237هـ/841 851م )

3 فرتون الأنقر ( أسيرقرطبة ) ( 266 290هـ/ 879 905م )

غ

شانجة بن غرسية ( أول ملوك نافار) ( 290 344 هـ/905 926هـ)

بلشك

5 غرسية ( 314 359هـ/926 969م)

أوراكة

6 شانجة الثاني ( 359 384هـ/969 994م )

7 غرسية ( 384 391هـ/994 1000م)

8 شانجة الثالث ( 391 426هـ/1000 1035م )

غريسة ( ملك نبرة) ( 426 446هـ/1035 1054م )

فرديناند (ملك قشتالة وليون) ( 426 458هـ/1035 1065م)

ردمير الأول (ملك أرغونة) (426 456هـ/1030 1063م)

جونقالو (ملك سوبراب) ( 426 429هـ/1035 1038م)

شانجة ( ملك قشتالة) ( 458 463هـ/1065 1071م)

الفونش السادس (ملك ليون و اشتريس) ( 458 502هـ/1065 1109م)

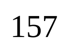
غرسية ( ملك جيليقية و البرتغال) ( 458 464هـ/1065 1071م )

البيرة

أوراكة ( أميرة سمورة)

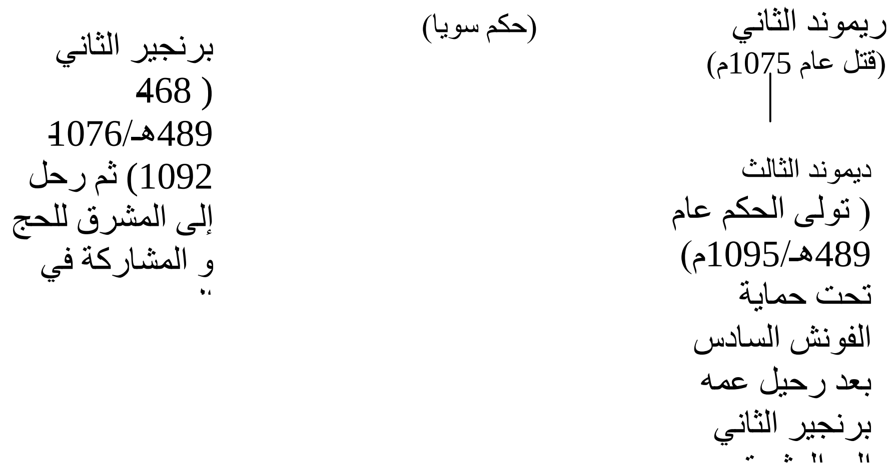
تيريزا تزوجت من هنري البرجووني

شانجة (قتيل اقليش 506هـ )



أمراء كتلونية ( برشلونة )

1- ريموند برنجير الأول (رامون)




يمثل الملحق الأول رسم بياني تسلسلي لحكام الأسرة النافارية وملوكها المتوجين والأسرة الحاكمة في برشلونة .

رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، (بدون تاريخ)، ص 519.

ملحق رقم 02 :

جدول تاريخي مفصل لجميع دول الطوائف :

دولة بني جهور في قرطبة

أبو الحزم بن جهور 422 435هـ/1031-1044م

أبو الوليد بن محمد بن جهور 435 457 هـ/ 1044-1064م

عبد الملك بن محمد بن جهور 457 463 هـ/1064-1070م

المعتمد يستولى على قرطبة سنة 463هـ

دولة بن عباد في اشبيلية

القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد 414- 433هـ/1023-1042م

عباد بن محمد المعتضد433 461هـ/1042-1069م

محمد بن عباد المعتمد 461 483هـ/ 1069-1091م

اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني الأفطس في بطليوس

عبد الله بن محمد بن مسلمة المنصور 413 437هـ/ 1022-1045م

محمد بن عبد الله المظفر 437 461هـ/1045-1068 م

يحي بن محمد المنصور 461 464 هـ/ 1068-1072م

عمر بن محمد المتوكل464 488هـ/1072-1094م

بطليوس تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني يحي في لبلة

أبو العباس أحمد بن يحي 313 434 هـ/1023-1042م

محمد بن يحي عز الدولة 434 443هـ/1042-1051م

فتح بن خلف ناصر الدولة 443 445هـ/1051-1053

لبلة تسقط في يد المعتصم بن عباد

دولة بني مزين في باجة و شلب

الحاجب عيسى محمد 432 هـ/ 1041م

محمد بن عيسى عميد الدولة 432 440هـ/1041-1048م

عيسى بن مزين المظفر 440 445هـ/1048-1053م

محمد بن عيسى الناصر 445 450هـ/1053-1058م

عيسى بن محمد المظفر 450 455هـ/1058-1063م

شلب تسقط في يد المعتضد بن عباد

| |
|---|
| دولة بني البكري في ولبة وجزيرة شلطيش<br>عبد العزيز البكري عز الدولة 403 443هـ/ 1012 1051م<br>ولبة و شلطيش تسقطان في يد المعتضد |
| دولة بني هارون في شنتمرية الغرب<br>سعيد بن هارون 417 433هـ/1026 1031م<br>محمد بن سعيد المعتصم 433 443هـ/1031 1051م<br>شنتمرية الغرب تسقط على يد المعتضد |
| دولة بني ذي النون في طليطلة<br>إسماعيل بن ذي النون الظافر 427 435هـ/ 1036 1043م<br>يحي بن إسماعيل المأمون 435 467هـ/1020 1075م<br>يحي بن إسماعيل بن يحي القادر 467 478هـ/1075 1085م<br>طليطلة تسقط في يد الفونسو السادس |
| دولة بني مناد في غرناطة<br>زاوى بن زيري 403 410هـ/1013 1019 م<br>حبوس بن ماكسن 411 428 هـ /1020 1037م<br>باديس بن حبوس المظفر 328 465هـ/ 1037 1073 م<br>عبد الله بن بلكين 465 483هـ/1073 1090 م<br>المرابطون يستولون على غرناطة . |
| دولة بني برزال في قرمونة<br>محمد بن عبد الله بن برزال 404 434 هـ/1013- 1042م<br>عزيز بن محمد المستظهر 434 459 هـ / 1042 1067م<br>قرمونة تسقط قي يد ابن عباد |
| دولة بني دمر في مورور<br>نوح بن أبي تزيري الدمري 403 433هـ/1013 1041م<br>محمد بن نوح عز الدولة 433 445هـ/1041 1053م<br>مناد بن محمد عماد الدولة 445 458هـ/1053 1066م<br>مورور تسقط في يد ابن عباد |

دولة بني خزرون في أركش

محمد بن خزرون عماد الدولة 402 420 هـ/1011- 1029م
عبدون بن خزرون 420- 440 هـ /1029- 1053م
محمد بن محمد بن خزرون القائم 445 461 هـ /1053- 1068م
أركش تسقط في يد ابن عباد

دولة بني يفرن في رندة

هلال ابن أبي قرة اليفرني 406 445 هـ/1015- 1053م
باديس بن هلال 445 449 هـ/1053- 1057م
أبو نصر فتوح بن هلال 449 457هـ/1057- 1065م
رندة تسقط في يد ابن عباد

مملكة ألمرية

1- خيران العامري 405 419هـ/1014- 1028م
زهير العامري 419 429هـ/1028- 1038م
عبد العزيز المنصور 429 433هـ/1038- 1041م
2- معن من صمادح 433 443هـ/1041- 1051م
محمد بن معن المعتصم 443 484هـ/1051- 1091م
أحمد بن محمد معز الدولة 484 هـ/1091م
المرابطون يستولون على ألمرية

مملكة مرسية

1- خيران العامري 403 419 هـ/1012- 1028م
زهير العامري 419 429هـ / 1028- 1038م
أبو بكر بن طاهر 429 455 هـ/1038- 1063م
أبو عبد الرحمن بن طاهر 455 471هـ/ 1063- 1078م
( حكم بنو طاهر باسم عبد العزيز المنصور صاحب بلنسية وولده عبد الملك) ، ثم المعتمد يستولي على مرسية
ابن عمار 471 473هـ /1078- 1081م
ابن رشيق 473 484هـ/1081- 1091م
المرابطون يستولون على مرسية

## مملكة دانية والجزائر

1- مجاهد العامري الموفق 400- 436 هـ/1009- 1044 م

على بن مجاهد إقبال الدولة 436 468 هـ /1044- 1076 م

2 –المقتدر بن هود صاحب سرقسطة 468 هـ- 474 هـ /1076- 1081م

المنذر بن هود 474- 484 هـ /1081- 1091م

المرابطون يستولون على دانية .

## مملكة بلنسية

الفتيان مظفر ومبارك 400 408 هـ/ 1009- 1017م

لبيب العامري 408- 411 هـ / 1017- 1021 م

عبد العزيز المنصور 411 452 هـ / 1021- 1061م

عبد الملك بن عبد العزيز 452- 457 هـ/1061- 1065م

المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية .

نائبه عليها أبو بكر بن عبد العزيز 457 478 هـ /1065- 1085م

عثمان ابن أبي بكر 478 ...../1085- .....م

القادر بن ذي النون 478 485هـ/ 1085- 1092م.

القاضي بن الجحاف 485 487هـ/1092- 1094م

السيد الكمبيادور و القشتاليون 487 495هـ/1094- 1102م

المرابطون يستولون على بلنسية .

## إمارة شنتمرية الشرق .

هذيل بن عبد الملك بن رزين 403 436هـ /1012- 1045م

عبد الملك بن هذيل 436- 496هـ /1045- 1103م

يحي حسام الدولة 496 497 هـ /1103- 1104 م

المرابطون يستولون عليها .

## إمارة البونت

عبد الله بن القاسم 400 431هـ /1009- 1039م

محمد بن عبد الله يمن الدولة 431 434هـ/1039- 1042م

احمد بن محمد عز الدولة 434- 440هـ/1042- 1048م

عبد الله بن محمد جناح الدولة 440 495 هـ/1048- 1102م

المرابطون يستولون على ألبونت

مملكة سرقسطة
المنذر بن يحي التجيبي 408 414 هـ/ 1017 1023م
يحي بن المنذر المظفر 414 420 هـ/ 1023 1029م
المنذر بن يحي معز الدولة 420 430 هـ/1029 1039م
سليمان بن هود المستعين 431 438 هـ/ 1039 1046م
احمد بن سليمان المقتدر 438 474 هـ/ 1046 1081م
يوسف بن أحمد المؤتمن 474 478 هـ/ 1081 1085م
احمد بن يوسف المستعين 478 503 هـ/1085 1110م
عبد الملك بن احمد عماد الدولة 503 000 هـ/1110- 0000م
المرابطون يستولون على سرقسطة

يعطي الجدول نبذة تاريخية عن دول الطوائف وتسلسل حكامها وانتهاء حكمهم في كل إمارة قامت بالأندلس ، خلال القرن الحادي عشر الميلادي الخامس هجري .

عبد الله عنان، ملوك الطوائف ، ص 432.

ملحق رقم 03:

الحرب بين بني الأفطس وبني عباد :

يشير النص لإحدى حروب الاستنزاف التي قامت بين ملوك الطوائف وأهلكت الحرث والنسل وصيرت الأندلس كيانا سياسيا معتل فيقول ابن بسام الشنتريني : ((... في سنة اثنين وأربعين و أربعمائة أوقع ابن عباد بابن الأفطسإلى جانب يا بر ة ، وكان سبب هذه الحرب إن فتح بن يحي صاحب لبة يومئذ حليف ،ابن الأفطس والي عباد لضرورة ،فكاشفه ابن الأفطس وخانه فيما كان ائتمنه عليه من ماله الصامت ،عندما حمله إليه وديعة وقت تورطه في الحرب عباد قبل ،وأنبتت بينهما العصمة ،وأرسل ابن الأفطس في ذلك خيله للضرب على ابن يحي فاستغاث ابن عبادا فأرسل إليه خيلا منتقاة ،فلحقت الخيل الافطسية وهي قد شنت الغارة على لبلة ،فكرت عليهم اذ كانوا ضعفهم ،واسترسلوا في إتباع العباد يين ولا يشعرون، فإذا بعباد بجملته في كمين قد خرج إثرهم فدهشوا وو لوا الأدبار فركبهم السيف، وبذل عباد المال في رؤوسهم، وكانت نقاوة خيل ابن الأفطس وأبطال رجاله، فجز لعباد من رؤوسهم مائة وخمسون رأسا ومن خيلهم مثلها.فقص جناح قرنه، وأفنى حماة رجاله.ثم إن عبادا اثر ذلك جميع خيل حلفائه وخيله وقود عليها ابنه إسماعيل مع وزيره ابن سلام ،وخرج نحو بلدابن الأفطس يا برة . وقد استدعى أيضا ابن الأفطس حليفه إسحاق ابن عبد الله فلحقت به خيله مع ابنه العز بعد أن جمع ابن الأفطس بقايا جيشه من هزيمتهم المتقدمة الذكر، واخر ج كل من قدر على ركوب دابة من البياض ببلده، وحشرمنرجال البوادي بعمله خلقا كثيرا، واقبل بجمعههذا المنخوب ليدفع خيل ابن عباد عن بلد يا برة وقد كان برابرة حليفه إسحاق في عسكره قالوا له:لا تلقهم فلست تعرف قدر من زحف نحوك، ونحن رأيناهم وسمعنا بجمعهم باشبيلية، فلم يسمع منهم ومضى.فالتقى الفريقان من غير نزول ولا تعبئة، فاختلطوا واجتلدو مليا ،فحقق العباديون الضراب ،وتابعوا الشدات ، فحاد البرابرة عنه اصحاب إسحاق ،وانهزم ابن الافطس ،وحمل السيف على جميع من معه ، فاستأصلهم القتل ،وقتل ولد إسحاق العز ،وحز رأسه وبعث به إلى اشبيلية مع رأس ابن عمابن الأفطس صاحب يا برة يدعى عبد الله الخرار ،ونجى ابن الأفطس في قطعة من خيله إلى يابرة.

ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ط الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا، ج2،ق 1، 1986 ، ص361، 362.

## ملحق رقم 04:

**الدعوة للوحدة و عدم الاستعانة بالنصارى** : هذه رسالة من أحد ملوك الطوائف في بداية القرن الخامس الهجري ،جاءت على لسان كاتبه أبي عبد الله البزلياني إلى صاحبي شاطبه يدعوهما فيها إلى السلم و ترك الخلاف و الصراع مع المظفر أبي محمد ، ذلك الصراع الذي ادى بهما إلى الاستعانة بنصارى الشمال الاسباني، والرسالة تبين خطر هذا الاتجاه كما تصف حالة البلد في ذلك الوقت ، فهي رسالة هامة مستقاة من كتاب ابن بسام فيقول :

: ((كتبت يا سيدي ومشارب الآمال قد تكدرت ، ووجوه المحاسن قد تغيرت و أيدي التآزر قد قصرت , وسبيل التناصر قد توعرت ألا أن يتلافى الله الخلل بتسديد نظركما وينعش الأمل بحميد أثركما ، فينظم الشمل و يصل الحبل و يسد الثلم ويشد الحزم و يرفع المنخرق و يجمع المفترق و يضع الإصر و يرفع الوزر و يعيد الكلمة متفقة و الامة متسقة و الأيدي متأيدة و النفوس متوددة و الأهواء متعاضدة و الأنحاء واحدة و الدماء محقونة و العاقبة مأمونة و الله تعالى يعين كلا على الصراح و يفضي بنا إلى النجاح بعزته ، و اتصل بي ما وقع بينكما و بين المظفر أبي محمد من التنازع الذي أختف أن يفضبكم الى التقاطع وورد على كتابكما الكريم في ذلك مما ترقبت انعدام اجله و تنظرت انحسام علله حتى خشيت أن يتمادى بكم اللجاج و يتعاصى في أموركم الصلاح و أشنقت من أذلال الشيطان ..وقد علمتم أنه لم يهلك من هلك من الأمم الماضية والقرون الخاليةإلا بتقاطعهم وتحاسدهم وتدابرهم وتخاذلهم ،وإن اللجاجة مطية الجهل، والهوى آفة العقل والحمية من أسباب الجاهليةوالعصبية من العنجهية والحرب مشتقة من الحرب ، مع ضنك المتغلب وكأنه المنغلب ، تيتم الأطفال وتلتهم الرجال ،سوق لا ينفق حاضرها غير النفوس والأرواح ،وشرب يتعاطون المنايا بظبا السيوف وأطراف الرماح مصرعهم دائر وصارعهم خاسر ، وماضيهم نادم وباقيهم واهم والذي يحملون من أوزارهم وأوزارا مع أوزارهم ويحتقبون من أعمارهم ، تسليط النصارى على المسلمين. وعبثهم في بلادهم ،يقتلون ويأسرون، فالأموال مستهلكة ، والحرمات منتهكة والدماء مراقة، والنساء مستاقة ، وعقد الدين مفسوخ وعهد الإسلام منسوخ ، والكفر عال على الإيمان و السواء غالب على الإحسان ،فقد بلغني أن مذهبكم الإستجاجة بالنصارى إلى بلاد المسلمين ، يطئون ديارهم ويعفون آثارهم ويجتاحون أموالهم ، ويسفكون دمائهم ويستعبدون أبنائهم ويستخدمون نسائهم وإن نفد هذا_أعوذ بالله __فهي حال مؤذن بالذهاب ، وجريرة تؤذن بالخراب ... فتلك الواقعة التي لا ينتعش عثورها والقارعة التي لا يجبر كسرها ... )).

---

ابن بسام : الذخيرة في محاس أهل الجزيرة ، ق1 ، ج2 ، ص454، 456.

ملحق رقم 05:

## أحداث وأطوار سقوط مدينة سقوط بربشتر بالتفصيل كما يرويها المقري نقلا عن ابن حيان :

(( ...وقال ابن حيان ، وكان تغلب العدو خذله الله تعالى على بربشتر قصبة بلد برطانية ،وهي قرب سرقسطة سنة ست وخمسين وأربعمائة ،وذلك أن جيش الأردمليس نازلها وحاصرها ،وقصر يوسف بن سليمان بن هود في حمايتها ،ووكل أهلها إلى نفوسهم فأقام العدو عليها أربعين يوما ،ووقع فيما بين أهلها تنازع في القوت لقلته واتصل ذلك بالعدو فشدد القتال عليها والحصر لها ، حتى دخل المدينة الأولى في خمسة ألاف مدرع ،فدهش الناس وتحصنوا بالمدينة الداخلية ، وجرت بينهم حروب شديدة ، قتل فيها خمسمائة إفرنجي ، ثم اتفق أن القناة التي كان الماء يجري فيها من النهر إلى المدينة تحت الأرض في سرب موزون اارت وفسدت ، ووقعت فيها صخرة عظيمة سدت السرب بأسره فأنقطع الماء عن المدينة ويئس من ا من ياة ، فلاذوا بطلب الأمان على أنفسهم خاصة دون ال والعيال ، فأعطاهم العدو الأمان فلما خرجوا نكث بهم وغدر وقتل ، وحصل للعدو من الاموال والامتعة مالا يحصى ، حتى إن الذي خص بعض لقومي العدو صنه و هو قائد خيل رومة نحو ألف وخمسمائة جارية ومن أوقار الأمتعة والحلي والكسوة خمسمائة جمل ، وقدر من قتل وأسر بمائة ألف نفس وقيل خمسون ألف .

المقري : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، المجلد 4 ،دار صادر بيروت ،1988، ص 450.

ملحق رقم 06:

يشير النص المنتقى إلى بعض ما جرى في مدينة بربشتر بعد نكبتها :

(( ... قال ابن حيان ،وأختم هذه الأخبار الموقظة لقلوب اولي الألباب بنادرة منها يكتفي باعتبارها عما سواها ،وهي بعض تجار اليهود جاء بربشتر بعد الحادثة ملتمسا فدية بنات بعض الوجوه ممن نجا من أهلها حصلن في سهم قومس يعرفه ، قال فهديت إلى منزله فيها وسأذنت عليه فوجدته مكان رب الدار مستويا على فراشه رافلا في ثيابه ، والمجلس والسرير كما تخلفهما ربهما يوم محنته ، لم يغير شيئا من ريشهما وزينتهما ، ووصائفه مضمومات الشعور قائمات على رأسه ساعيات في خدمته فرحب بي ، وسألني عن قصدي فعرفته وأشرت إلى وفور ما أبذله في بعض اللواتي على رأسه وفيهن كانت حاجتي ، فتبسم وقال بلسانه ما أسرع ما طمعت فيمن عرضناه لك ، أعرض عمن هنا وتعرض لمن شئت ممن صيرت لحصني من السبي وأسراي ، أقاربك فيمن شئت منهن ، فقلت له أما الدخول إلى الحصن فلا رأي لي فيه وبقربك أنست وفي كنفك اطمأننت ، فسمحلي في ببعض من هنا فإني أصير إلي رغبتك ، فقال وما عندك ، قال العين الكثير الطيب والبز الرفيع الغريب ، فقال كأنك تسمي لي ما ليس عندي ، ياجمه ينادي بعض أولئك الوصائف بر ديا جة بعجمة ، قومي فاعرضي عليه ما في الصندوق ، فقامت إليه وأقبلت ببدر دنانير وأكياس دراهم وأسفاط الحلي ، فكشف وجعل بين يدي العلج كادت تواري شخصه ، ثم فال لها ادني إلينا من تلك التخت ، فأخرجت منه عدة من القطع الوشي و خز والديباج الفاخر ، [illegible] استرذلت ما عندي ،ثم قال لي لقد كثر عندي هذا حتى ما ألذبه ثم حلف بإلهه أنه لو لم يكن عنده شيء من هذا ثم بذله اجمعه في ثمن تلك ما سخت بها يدي ، فهي ابنة صاحب المنزل وله حسب في قومه اصطفيتها لمزيد جمالها لولادتي ،حسبما كان قومها يفعلون بنسائنا نحن ايام دواتهم وقد رد لنا الكرة عليهم فصرنا كما ترى .))

المقري : نفح الطيب ، ج4، ص 449، 451، 452.

ملحق رقم07 :حصار بلنسية وسقوطها حسب ما ترويه ملحمة السيد وهي عبارة عن نص شعري قشتالي مترجم من قبل الدكتور أحمد مكي ، يصف فيه صاحبه بعض نواحي الأحداث التي واكبت السيطرة على بلنسية فيقول :

ذلك ما قاله سيدى ، القنبيطور المخلص ،

ثم عاد إلى مدينة مربيطر ، ومن قبل استولى عليها ،
واعلم الرسل مضوا عبر كل الجهات ينادون بما قال السيد ،
وانتشرت رائحة الغنائم فما تخلف احد عن المجيء ،
و آخرون جاؤوا مدفوعين بعقيدم المسيحية الخالصة ،
وطارت أخباره وشاعت فبلغت كل الأنحاء ،
والقادمون لينضموا أكثر عددا من الذاهبين ،
وبدأت تتضخم ثروات سيدي ابن بيبار ،
وغمره الفرح عندما رأى كثيرين يتوافدون ،
ولم يرد سيدي دون لذريق أن يمضي في صبره ،
فتقدم نحو بلنسية مباشرة وانقض عليها ،
وضرب سيدي حولها حصارا دقيقا صارما لا يفك منه إنسان ،
لا أحد من سكانها يستطيع خروجا أو دخول ،
وضرب لهم اجلا لعل اشقاءهم لمساعدتهم يقدمون ،
ودام الحصار مستمرا تسعة أشهر بلا انقطاع ،
ومجيء العاشر أحنت المدينة رأسها مستسلمة ،
يااللبهجة الغامرة تطوق سكان المكان ،
عندما استولى سيدي على بلنسية ودخل المدينة ظافرا ،
والذين كانوا بالأمس مشاة عادوا على صهوات الخيل يسرعون ،
والذهب والفضة من الغنائم ، من يستطيع عدها ؟
وكل الذين كانوا هناك من أتباع السيد أصبحوا أغنياء ،
وكان الخمس لسيدي دون لذريق فأمر بأن يعزل في مكان ،
فخص من المال العين ثلاثون ألفا من الماركات ،
وما أصاب من الغنائم الأخرى ، من يستطيع إحصاءه ،
وغمرت الفرحة سيدي وكل أتباعه هناك ،
عندما بدأت رايته خفاقة أعلى القصر تداعب الهواء ،

أحمد مكي : ملحمة السيد ، دار المعارف، ط1، القاهرة ، 1970 ، ص 337، 338.

ملحق رقم 08:

## عودة ألفونسو عن غزوي قرطبة واشبيلية بحيلة ابن عمار وزير المعتمد ابن عباد:

عزم ألفونسو على غزو قرطبة واشبيلية بعد سقوط طليطلة وهوان أمر ملوك الطوائف عليه ، لكن حيلة وزير ا□عتمد ابن عباد ا□دعو ابن عمار إنطوت عليه وجعلته يعود أدراجه ، بعدما قدم رشا لأعوان الفونسو و□صل هو على جزية سنت□ مقدمة من إشبيلية .

فابن عمار هذا هو محمد بن عمار يكن أبا بكر أصله من شلب ليس له ولا لأسلافه في الرياسة في القديم الدهر ولا حديثه حظ ولا ذكر يكتب في الأندلس لاستجداء والاستعطاف الى أن ، ورد ا□عتضد با□ فامتدحه بقصيدته استحسنها وأمر له □ال وثياب ومركب وأمر أن يكتب في ديوان شعراء ، وتقوت العلاء بين المعتمد وابن عمار وتتأكد إلى أن صار ألزق بالمعتمد من شعرات قصه وقربه أشد تقريب حتى كان يشاركه فيما لا يشارك فيه الرجل أخاه ولا أباه ... وجعل إليه جميع أمور مملكته خار جها وداخلها ولم يزل يناط به أمر إلا اضطلع به وكان فيه كالسكة المحماة واشتهر أمره ببلاد الأندلس حتى كان ملك الروم الأدفنش إذا ذكر عنده ابن عمار قال هو رجل الجزيرة وكان ابن عمار هو الذي رده عن قصد اشبيلية وقرطبة وأعمالها وذلك انه خرج في جيوش ضخمة يقصد بلاد ا□عتمد طامعا فيها فخانه الناس وامتلأت صدور أهل تلك الجهات رعبا منه وتيقنوا ضعفهم عن دفاعه فتولى ابن عمار رده بألطف حيلة وأيسر تدبير وذلك أنه أقام سفرة شطرنج في غاية الاتقان والابداع لم يكن عند ملك مثلها جعل صورها من الابنوس والعود الرطب والشدل وحلالها بالذهب وجعل ارضها في غاية الاتقان فخرج من عند المعتمد رسولا الى الادفش فلقيه في اول بلاد المسلمين فأعظم الأدفنش قدومه وبالغ في اكرامه وامر وجوه دولته بالتردد الى غبائه والمسارعة في حوائجه فأظهر ابن عمار تلك السفرة فرآها بعض خواص الأدفنش فنقل خبرها إليه وكان العج أعني الأدفنش مولعا بالشطرنج فلما لقي ابن عمار مسألة كيف أنت في الشطرنج وكان ابن عمار فيه طبقة عالية فأخبره بمكانه منه فقال له بلغني أن

عندك سفرة في غاية الاتقان قال ابن عمار نعم فقال كيف السبيل الى رؤيتها فقال ابن عمار لترجمانه قل له أنا آتيك بها على ان العب معك عليها فإن غلبتني فهي لك وإن غلبتك فلي حكمي فقال له الأدفنش هلمها لننظر فأمر ابن عمار بها فلما وضعت بين يدي العلج صلب وقال ما ظننت أن اتقان الشطرنج يبلغ الى هذا الحد .ثم قال لابن عمار كيف قلت فأعاد عليه الكلام الأول فقال له الأدفنش لا ألعب معك على حكم مجهول لا أدري ما هو ولعله شيء لا يمكنني فقال ابن عمار لا ألعب إلا على هذا الوجه وامر بالسفرة فطويت وكشف ابن عمار سر ما اراده لرجال وثق بهم من وجوه دوله الأدفنش وجعل لهم الأعطية على أن يؤازروه على أمره ،ففعلوا فتعلقت نفس العلج بالسفرة وشاور خاصته فيما رسمه ابن عمار ، فهونوا عليه وقالوا له إن غلبته كانت عندك سفرة ليس عند ملك مثلها وابن عمار غلبك فما عساه أن يحتكم وقبحوا عنده إظهار الملك العجز عن شيء يطلب منه وقالوا له إن طلب ابن عمار مالا يمكن فنحن لك برده عن ذلك ولم يزالوا به حتى أجاب وأرسل الى ابن عمار فجاء ومعه السفرة فقال له قد قبلت ما رسمته فقال له ابن عمار فاجعل بيني وبينك شهودا اسماهم له فامر الادفنش بهم فحضروا وافتتحا يلعبان فغلب ابن عمار الأدفنش غلبة ظاهرة لجميع الحاضرين لم يكن للعلج فيها مطعن فلما حقت الغلبة قال له ابن عمار هل صح أن لي حكمي قال نعم فما هو قال أن ترجع من ههنا الى بلادك فاسود وجه العلج وقام قعد و قال لخواصه قد كنت أخاف من هذا مت هو نتهوه علي و هم بالنكث و اعتمادي فقبحوا ذلك عليه وقالوا له كيف يجعل بك الغدر و انت ملك ملوك النصارى في وقتك فلم يزاولوا به حت سكن و قال لا ارجع حتى اخذ إتاوة عامين خلاف هذه السنة فقال ابن عمار هذا كله لك و جاءه بما اراد فرجع وكف الله بأسه ودفعه بجولة وحسن دفاعه عن المسلمين .

راكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ط1، 1368 - 1949 ص 120 ، 121.

ملحق رقم 09:

الحلـــــــف بـــــــــين برشـــــــــلونة واشـــــــــبيلية:

كان ابن عمار نزل ضيفا على ابن طاهر في صعوده إلى ابن ريمند صاحب برشلونة فاستبان ضعفه فدخل

أعيان مرسية مخبلا وخذلا ،ثم وصل ذلك عند اجتماعه بريمند بمعاقدته على أن يعينه في محاصرته و بذل له عن ذلك عشرة ألاف مثقالعلى أن ينحدر بعسكره إلى مرسية ،و يأتي هو في عسكر ابن عباد و يرهن كل واحد منها معاقدة مما يثق به فرهن البرشلوني ابن عمه ،و أصعد ابن عباد ابنه المسمى بالرشيد في جيش اشبيلية و ابن عمار فاجتمعا بريمند عليها على ميعاد عيناه ،و حاصر مرسية و شنا الغارات عليها فلم ينالوا منها أكثر من ذلك ،و كان ابن عمار عند فصوله من اشبيلية قد قدر أن ينظر له في المال المذكور و يلحق به و ذلك لأجل ضربه البرشلوني فانصرم الأجل ،و لم يصل المال و تحرك المعتمد إلى قرطبة ثم إلى جيان و معه الرهينة على عادته من التؤدة و الالتواء و أبطأ على ر ند ما عوقد عليه ، و اعتقد أن ابن عمار مكر به فقبض عليه و على الرشيد

و قيدهما ،و انقلب عسكر اشبيليه مفلولا و المعتمد قد فصل من جيان و شارف عمل شقورة ،فلما وصل إلى وادي آنة لم يمكنه خوضه لمده السيول فأقام عل شاطئه الغربي ،

و اذا سرعان فل العسكر قد أطلوا على الشاطئ الشرقي فاقتحمه منهم فارسان أجازا إليه و أخبراه بالنبأ الكريه فسقط في يده و نكص على عقبه، و قد استوثق من الرهينة و رجع الى جيان و قد كان ابن عمار أوصى اليه مع هذين الفارس أن يقيم لعله يلحق به ، فورد عليه بعد ام عشرة أيام وتوافق معه على إطلاق رهينة البرشلوني مع المال لينطلق الرشيد إلى اشبيلية ، حكي غيره أن ابن عباد سعى في خلاص الرشيد حتى فداه بثلاثين الفا ضربها زيوفا ولحق الرشيد بابيه المعتمد .

ابن الآبار: الحلة السيراء ،تحقيق حس مؤنس ،ج2 دار المعارف ،ط2، القاهرة ، 1985، ص 121، 122.

ملحق رقم 10:

رسالة ألفونش السادس إلى المعتمد بن عباد

قبل موقعة الزلاقة عام 479 هـ/1086م

هذه رسالة هامة أرسلها الفونش السادس ملك قشتالة و ليون و أقوى ملوك اسبانيا النصرانية إلى المعتمد بن عباد ملك أشبيلية ، و اهمية هذه الرسالة تكمن في إشارتها إلى خيانة المعتمد و تواطئه مع ألفونش السادس في استيلائه على طليطلة عام 478 هـ/1085م من يد بني ذي النون و هذا نص الرسالة:

(( من الأنبيطور ذي الملتين الملك المفضل الأدفنش ابن شانجة إلى المعتمد بالله ، سدد الله رأيه و بصرة مقاصد الرشاد و سلام عليك من مشيد شرفه الغنى و ثبت في المنى فاهتز اهتزاز الرمح بعامله و السيف بساعد حامله، و قد أبصرتم بما نزل بطليطلة و أقطارها و ما صار بأهلها حين حصارها بما صار في هذه السنين ، فأسلمتم إخوانكم و عطلتكم بالرعاية زمانكم ، و الحذر من ايقظ الله قبل الوقوع في الحبالة ، ولولا عهد سلف بيننا نحفظ زمامه و نسعى بنور الوفاء أمامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم و رايده ، ووصل رسول العدو وارده ، لكن أنذر يقطع الأعذار ، ولا يجعل الأمر خوف الفوت فيما يرومه، أو خشي العاقبة على من يسومه ، وقد حملنا الرسالة إليك القمط البرهانس و عنده من التجريد الذي يلقى به أمثالك و العقل الذي يدبر به بلادك و رجالك ، فيما وجب استنباته فيما يدق و يجل ، و فيما يعلم لا فيما يحل ، و أنت عندما تأتى به من ورائك و النظر بعد هذا من ورائك و السلام عليك يسعى بينك و بين يديك (1).

---

(1) ابن الخطيب : تاريخ اسبانيا الإسلامية أعمال الأعلام ، تحقيق ليفي بروفنشال ،ط2 ،دار الكشوف بيروت , 1956 ، ص 22 23 .

## رد المعتمد بن عباد على رسالة الفونش السادس :

و لما وصلت رسالة الفونش السادس المشار اليها إلى المعتمد بن عباد كتب الأخير الرد عليه بخطة فيمايلي فقال :(( من الملك المنصور بفضل الله المعتمد على الله محمد بن المعتمد بالله أبي عمر بن عباد إلى الطاغية الباغية أدفونش بن شانجة الذي لقب نفسه ملك الملوك و سماها بذي الملتين قطع الله بدعواه سلام على من في العدد العديد و النظر السديد .و لدينا من كمات الفرسان و حيل الإنسان وحماة الشجعان يوم يلتقي الجمعان ، رجال تدرعوا الصبر و كرهوا الفقر، تسيل نفوسهم الشفار و تناهم السهام في القفار يديرون رحى الفنون بحركة العزايم و يشفون عن خطب الجنون بخواتم العزائم ،و لم تستجبر (1) أن تأمر بإسلام البلاد في ارجالك وأنا لنعجب من استعجالك برأي ، لم تحكم إنجازه و لا حسن انتخابه و إعجابك بصنع رافقتك فيه الأقدار و اغتررت بنفسك أسوا اغترار ، قد أعدوا لك ولقومك جلادا أزلية الاتفاق و شفارا حداد شحدمه (2) ألاصفاق، وقد يأتي المحبوب من المكروه ، والندم من الشهورة (3) ، نبهت من غفلة طال زمانها و ايقظت من نومة عاد إيمانها . و متى كان لأسلافك الأقدمين مع أسلافنا الأكرمين يد صامدة أو رفلة مساعدة الأذل تعلم مقداره و تحقق شاره ، والذي جرك على طلب ما لا تدركه ، قوم كالحمر لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أومن وراء جدر ، ظن العاقل تعقل ، و الدول لا تنتقل ،وكان بيننا و بينك من المسالمة ما اوجب العقود على نصرتهم و تدبير امورهم ، ونسال الله سبحانه المغفرة فيما أتيناه في أنفسنا و فيهم من ترك الحزم ، وأسلامهم لأعاديهم ، و الحمد لله الذي جعل عقوبتنا توبيخك و تقريعك (4) بما أطارت من دونه ، وباله نستعين عليك ، ولا نستبطى مسيرتنا إليك ، و الله ينصر دينه الكريم و لو كره المسلمون ، والسلام على من علم الحق فاتبعه و اجتنب الباطل و خدعه. )) .(5)

---

(1) تتجرأ .

(2) لعلها : شديدة

(3) لعلها : التهور

(4) لعلها: تقرعها .

(5) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص23 25

الخريطة رقم 01:




**الفتوح الإسلامية في الأندلس و غالة**

تشير الخريطة لمسيرة الفتح الإسلامي للأندلس و غالة في عهد الولاة **والتوغل في قلب أوربا** .

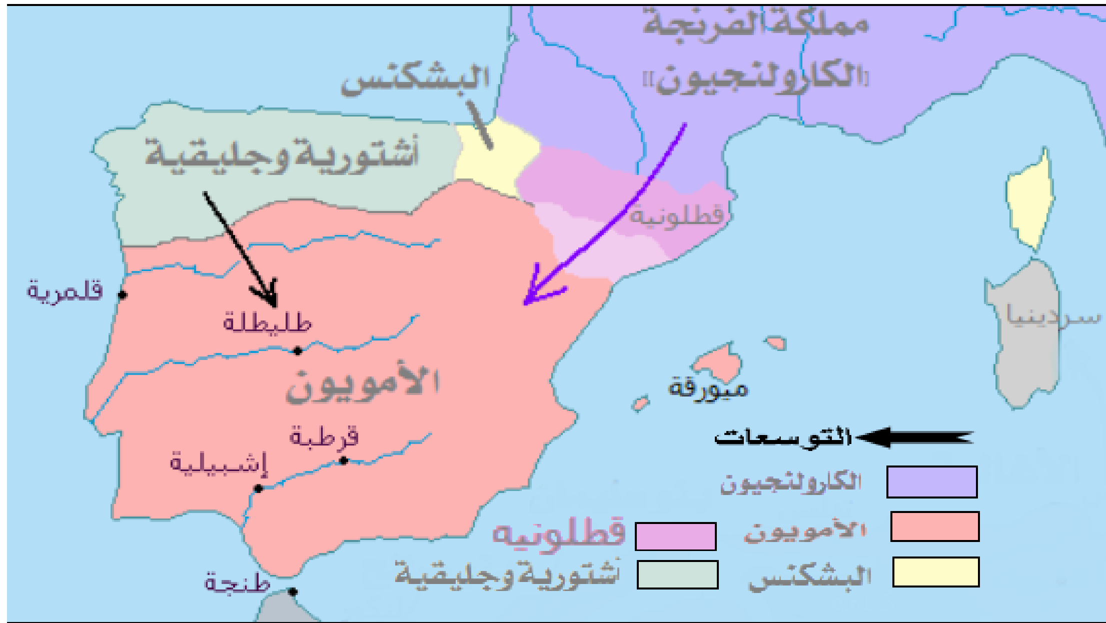
الخريطة 02:




ثل ا ريطة 02 بداية التراجع للمسلمين في الأندلس ونشأت حركة المقاومة المسيحية في الشمال

هازارد : أطلس التاريخ الإسلامي ، جامعة برنستون ،1945، ص09.

خريطة رقم : 03



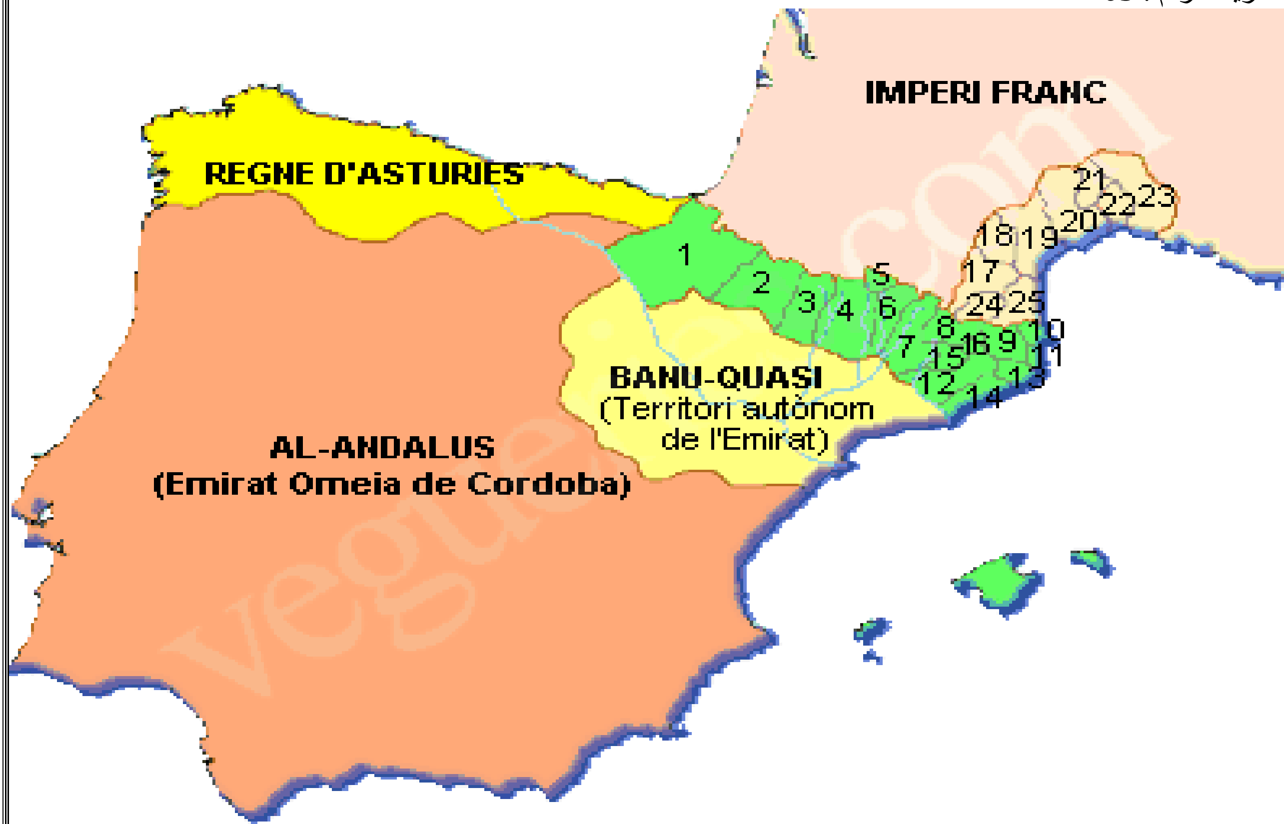

**الأندلس في القرن التاسع للميلاد**

الخريطة رقم : 04




تمثل الخريطتين استمرار التراجع للمسلمين في الأندلس خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين

الخريطة رقم : 05




**Marca Hispànica**

1. Reino de Pamplona
2. Condado de Aragón
3. Sobrarbe
4. Comtat de Ribagorça
5. Vall d'Aran
6. Comtat del Pallars
7. Comtat d'Urgell
8. Comtat de la Cerdanya
9. Comtat de Besalú
10. Peralada
11. Comtat d'Empúries
12. Osona
13. Comtat de Girona
14. Comtat de Barcelona
15. Berga
16. Ripoll

**Septimània**

17. Rasès
18. Carcassona
19. Narbona
20. Agde-Besiers
21. Lodeva
22. Melguelh
23. Nimes
24. Conflent
25. Rosselló

**تمثل الخريطة** مناطق إقليم المدن السبعة في جنوب غرب غالة و المارك الإسباني أو الثغر القوطي ، وهي النواة الأولى **لقيام مملكة** برشلونة في شمال شرق الأندلس .

الخريطة رقم : 06




تشير الخريطة **لاكتمال تشكل** الممالك المسيحية شمال الأندلس بداية القرن الحادي عشر الميلادي الخامس الهجري ، والتي ستقوم بحركة توسعية نحو الجنوب باتجاه ممالك الطوائف بعد نهاية عهد الخلافة الأموية .

. أنظر : Le Petit Robert,n2 ,p.611

الخريطة رقم :07




تشير الخريطة لانفراط الوحدة السياسية للأندلس بقيام ملوك الطوائف وتوزع الحكم فيها بينهم وظهور الصراعات بين أمرائها .

عبد الله عنان :ملوك الطوائف ،27.

الخريطة رقم :08




تشير الخريطة **لسقوط الثغر الأوسط ( طليطلة ) ،و ارتداد** الحدود الأندلسية إلى ما وراء الواد الكبير و بالتالي كانت ضربة كبيرة **للوجود** الإسلامي في الأندلس .

عبد الله عنان :ملوك الطوائف ،ص27.

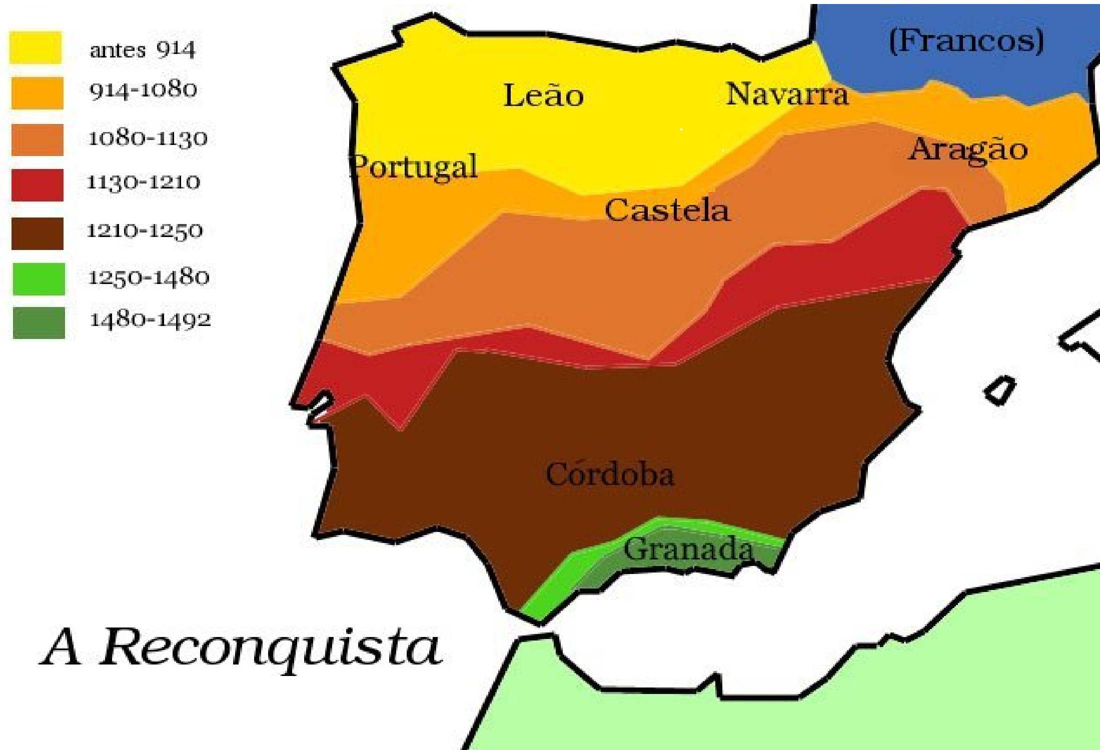
الخريطة رقم :09




تشير الخريطة لدخول القوة المغربية المتمثلة في المرابطين لصد الهجوم المسيحي ، وتثبيت الحكم الإسلامي في الأندلس بعد سقوط طليطلة .

هازارد : أطلس التاريخ الإسلامي، ص 17.

خريطة رقم :10




تشير الخريطة لمراحل حركة الاسترداد والتي كانت بدايتها في القرن الثامن والتي استفحلت أيام ملوك الطوائف .

Lucien clare,Le Moyen Age Espagnol , Libraire Arman colin,Paris,1972,p.240.

قائمة المصادر و المراجع:

أولا:المخطوطات :


1- مجهول ، مخطوط رقم 1043 بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، ورقة 6ظ 7 .

2- السماني (الشيخ علي بن محمد)(ت1099م/1101هـ) المنتخب في التحذير من يبغض العرب ,المكتبة الوطنية,العامة ,الجزائر ,رقم المخطوط.561.

3- الشطيبي (الحاج محمد بن علي بن محمد )1099هـ/1620م, كتاب الجمان في المختصر أخبار الزمان,المكتبة الوطنية ,العامة ,الجزائر ,رقم 1575.


ثانيا:المصادر العربية المطبوعة :


1- ابن الآبار، ابو عبد الله محمد القضاعي البلنسي(ت595-658هـ/1119-1260م): الحلة السيراء ،تحقيق حسن مؤنس ،ج2 دار المعارف ،ط2، القاهرة1985.

2- : التكملة ، ت حسين مؤنس ، القاهرة،الشركة العربية للطباعة والنشر ، ج1، 1963 .

3- ابن الأثير،عز الدين أبو الفدا الحسن (ت560 هـ/1232م) : الكامل في التاريخ ،ج9،مطبعة بولاق ، القاهرة ،1290 هـ.

4- ابن أبي أصيبعة ،موفق الدين أبو العباس أحمد بن سديد الدين القاسم (ت600-668): عيون الأنباء في طبقات الأطباء ،شرح وتحقيق خزار رضا دار الحياة بيروت ،بدون تاريخ ولا طبعة .

5- الإدريسي،الشريف (ت649هـ/1253م) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ج2 ، عالم الكتب ، بيروت ط1، 1989.

6- بردي بن تغري،أبو المحاسن جمال الدين (ت 874هـ/1469م):النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج6، دار المعارف ،القاهرة ، 1972.

7- البكري ،أبو عبيد الله (ت487هـ/1094م):الغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب،جزء من كتاب المسالك و الممالك ،تحقيق عبد الرحمن علي حجي ،دار الإرشاد ، بيروت ،ط1، 1387- 1968.

8- البلاذوري،أبي الحسن (ت 297هـ/892م) : فتوح البلدان ، دار الكتب العلمية ،ج1 ،بيروت، 1403.

9- بلكين ،الأمير عبد الله (ت489هـ/1099م): التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، ت ليفي بروفنسال، باريس 1955.

10- ابن جلجل،سليمان بن حسان الأندلسي (ت399هـ/1008م) :طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ،1955.

11 ابن حزم،أبو محمد علي بن احمد (ت456هـ/1066م):جمهرة أنساب العرب، ت عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة.

12 : فضائل أهل الأندلس وأهلها ، نشره صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ،ط10،1986.

13 : طوق الحمامة في الألفة والألاف ،تحقيق حسن كامل ،ط2،القاهرة 1963.

14 : رسالة التلخيص لوجه التخليص ، ت ، إحسان عباس ، المؤسسة العربية لدراسات و النشر، ج3 ، 1981.

15 ابن حيان،حيان بن خلف (ت469هـ/1079م) :المقتبس في أنباء أهل الأندلس ، القطعة الثانية و الخامسة ، تحقيق عبد الرحمن على حجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1986.

16 الحميدي،محمد بن أبي نصر(ت488هـ/1905م) :جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط1، القاهرة ،1964.

17 الحميري ابن عبد المنعم (ت866هـ/1463م): صفة جزيرة الأندلس ( الروض المعطار )،تحقيق ليفي برفنسال ، القاهرة ، 1937.

18 ابن خاقان،ابو النصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي(ت529هـ) :قلائد العقيان في محاسن أهل الزمان ، ت محمد الصباغ ، القاهرة ، 1283.

19 ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) :كتاب العبر وديوانه المبتدأ والخبر ،ج4، دار الكتاب اللبناني بيروت،1956 1961.

20 ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت 776هـ/1374م): تاريخ اسبانيا الإسلامية أعمال الأعلام ،تحقيق ليفي بروفنتشال ،ط2 ،دار الكشوف بيروت , 1956 .

21 ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين (ت681هـ/1282م):وفيات الاعيان ،ت إحسان عباس ،ج2،دار الثقافة ،بيروت ،.1968

22 الدمشقي ،عبد الحي ابن عماد الحنبلي (1032 1089): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ،ج2، دار الكتب العلمية ، بيروت.

23 ابن رشد(ت 1198هـ): كتابة المقدمات ، الدار العربية للكتاب الجماهيري الليبية ، ،الفصل الأول. ط 1988 .

24 : الفتاوى ، تقديم تخفيف مختار الطاهر التليلي ، سفر 3 ،دار الغرب الإسلامي ط1 ، لبنان 1407 . 1987.

25 الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن (ت379 هـ):طبقات النحويين واللغويين ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط1، القاهرة ،1954.

26 ابن زيدون ،أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد (ت 463هـ/1069) :ديوان ابن زيدون ، قيق يوسف فرحان ،ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ،.2003

27 الذهبي،الإمام شمس الدين محمد بن أحمد (ت776هـ/1374م) : العبر في خبر من غبر ، ت صلاح الدين نجد ،ج3 ،مطبعة الكويت، ط3 ، 1948.

28 : سير أعلام النبلاء ، ت شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرق سوسي ، ج3، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط19، ج18 ،1413.

29 ابن الكردبوس، بو مروان بن عبد الملك (ت القرن السادس هجري /الثاني عشر ميلادي) : تاريخ الأندلس ،تحقيق احمد المختار العبادي،معهد الدراسات الإسلامية بمدريد1971.

30 راكشي ابن عذاري (كان حيا سنة 712هـ): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،ت كولان وليفي بروفنسال ،ج3 ،دار الثقافة ،لبنان ،ط3، 1983 .

31 راكشي ،عبد الواحد بن علي (ت648هـ/1249م) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب، مطبعة الاستقامة ، القاهرةط1، 1368 ـ1949.

32 قري،احمد بن محمد (ت1041هـ/1631م) :نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ،قيق الدكتور إحسان عباس، ،دار صادر بيروت ، 1968.

33 مؤلف مجهول: أخبار مجموعة ،تحقيق إسماعيل عربي ،دار الكتاب المصري، القاهرة 1989 .

34 ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن حبيب(246- 328 هـ/ 860 939م): العقد الفريد ، منشورات دار الكتاب العربي ، بيروت ، ج4، 1982.

34 ابن عبدون(ت القرن امس هجري/ادي عشر ميلادي) : ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب ، قيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، 1955.

35 ابن عذاري،ابو العباس احمد بن محمد المراكشي(كان حياضي712هـ/1312م) :البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ،ج2 ،دار الثقافة ،بيروت ط ،1983.

36 ابن عبد الحكم(ت257هـ) : فتح مصر و المغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي ،1961.

37 ابن الفرضي،ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف(ت 403هـ) : تاريخ علماء الأندلس ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ،ج1،1966.

38 ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم(ت276هـ/889م):عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الحياة ، بيروت ج1، 1985.

39 القلقشندي،أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علي (ت 821هـ/1418م): مأثر الانافة في معالم الخلافة ، تحقيق أحمد فراج مطبعة حكومة الكويت، رقم ط2 ،1985.

40 القيرواني بن أبي دينار،أبو عبد الله محمد (ت بعد 1110هـ/1698م):المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، مطبعة النهضة ، تونس 1350.

41 ابن القوطية،أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم (367هـ/977م) : تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إسماعيل عربي، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989.

42 ابن سعيد المغربي نور الدين ابو الحسن على بن محمد(610- 685هـ): المغرب في حلى المغرب ، ت شوقي ضيف ،دار المعارف القاهرة ، ج2 ، ط 3 ، 1953 .

43 السلاوي،أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1896م): الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ، ومحمد الناصري،ج1، ط1، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1997.

44 الورداني علي سالم: الرحلة الأندلسية ،تحقيق عبد المختار الشريف ،المؤسسة الوطنية للكتاب ، الدار التونسية للنشر ،.1984.

45 ياقوت، أبو عبد الله شهاب الدين الحموي الرومي البغدادي (ت626/1228) : معجم البلدان ، دار الفكر ،ج 1،بيروت ، 1990.

### ثالثا المصادر الأجنبية المطبوعة :

(1)-Alfonso x king of castile and Leon ,Primera crónica general de España, by Editorial Ebro (Zaragoza)

(2)Eginhard,. Vie de Charlemagne, éditée et traduite par Louis Halphen. Paris, librairie Champion, 1923.

(3-) : ملحمة السيد ، دار المعارف، ط1، ،القاهرة، 1970.

## ثالثا المراجع العربية :


1 ابن عبدون أحمد:التاريخ السياسي و الاجتماعي لأشبيلية في عهد دولة الطوائف ، الرباط المغرب ، 1983 .

2 ارسلان شكيب:الحلل السندسية في الاخبار و الاثار الاندلسية، المجلد2 ، لبنان ، 1358ه ، 1937.

3 أمين أحمد: ظهور الإسلام ، ،دار الكتاب العربي ، ج 3 ، بيروت ،(بدون طبعة ولا تاريخ).

4 افتديج إبراهيم: حوار الحضارات و الاستفادة من دروس البوسنة والهرسك في الحوار، منشورة ،مجلة الفيصل ،الكويت.1999.

5 الإبراهيمي أحمد طالب: حوار الحضارات، مقال منشور في كتاب العربي " الإسلام والغرب "، 15يوليو2002.

6 بيضون إبراهيم: الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط3، 1986.

7 بشتاوي عادل سعيد : الأمة الأندلسية الشهيدة تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة ط1، المؤسسة العربية لدراسات والنشر بيروت 2000.

8 بشتاوي عادل سعيد : الأمة الأندلسية الشهيدة تاريخ 120 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة، الطبعة 1 المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت .

9 جمال الدين :تاريخ المسلمين في الأندلس ،دار سفير ، القاهرة ، 1996.

10 جوزيف نسيم: تاريخ العصور الوسطى وحضارتها ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1987.

11 جودة هلال ،محمد محمود فاس :قرطبة في التاريخ الإسلامي ، القاهرة ،1962.

12 حبيبة علي :مع المسلمين في الأندلس، مكتبة الشباب القاهرة ، 1972 .

13 حجي عبد الرحمن:التاريخ الأندلسي ، دار الاعتصام ، القاهرة ، 1403ه / 1983 .

14 حكمت نجيب: تاريخ العلوم عند العرب ،مجلة اتحاد المؤرخين العرب ،العدد الثالث عشر ، القاهرة ،1980.

15 حاطوم نور الدين : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا،ج1 دون ط و لا تاريخ،

16 حسن محمود : تاريخ الغرب الإسلامي ، دار الفكر ، بيروت ، 1980 .

17 حسن على إبراهيم: التاريخ الإسلامي العام ،دار العلم للملايين لبنان ،ط2، 1984.

18 خليفة حاجي:كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج1،دار الفكر بيروت لبنان ،1990.

19 راضي علي محمد: الأندلس والناصر ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1989.

20 زيدان جورجي: تاريخ التمدن الإسلامي ، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ،ج2, 1994.

21 زيتون محمد:الفتح الإسلامي للأندلس ، كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد الرابع ،1980.

22 الطيبي محمد: النقود العربية و انتشارها و أثرها في أوروبا في القرون الوسطى ،دراسات وبحوث في تاريخ الغرب و الأندلس منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، رقم 48،الرباط ،1995 .
23 طرخان إبراهيم: المسلمون في أوروبا ، دار المعارف ، القاهرة ، .1976
24 كُحيلة عُبادة: أندلسيات ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، .1989
25 لقبال موسى: المغرب الإسلامي ،منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، مطبعة البعث ، قسنطينة ،ط1 ، 1969، .
26 ماهر حمادة محمد: المكتبات في الإسلام، ط 2 ، النهضة العربية ، بيروت ،1978 .
27 مؤنس حسين: السيد القنبيطور و علاقاته بالمسلمين , المجلة التاريخية المصرية، القاهرة ، ج.2
28 : موسوعة تاريخ الأندلس ، فكر و تاريخ و حضارة و تراث ،ج1 ،مكتبة الثقافة الدينية ،ط1 1416هـ/1996 .
29 :رحلة الأندلس الفردوس الموعود ، الشركة العربية للطباعة و النشر، ط1 ،.1963
30 :الحضارة ، سلسلة عالم المعرفة، العدد الأول. الكويت, 1985.
31 : فجر الأندلس ،الشركة العربية للطباعة والنشر ط1، القاهرة ، 1959.
32 مؤنس عوض : الحروب الصليبية ط1، عين لدراسات ، القاهرة ، 1999، .2000
33 : الحروب الصليبية ، العلاقات بين الشرق والغرب ، ط1، عين لدراسات ،القاهرة ، 1999-2000 .
34 محمد بن عبد الكريم الجزائري : الثقافة ومآسي رجالها، شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر د.ت.
35- محمد فاخوري –صلاح الدين خوام : موسوعة وحدات القياس العربية والإسلامية ، ط1، مكتبة لبنان ،بيروت ، .2000
36- المطوي محمد العروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ، دار الشرقية ط1 القاهرة،1374-1953.
37- المكي الطاهر أحمد : دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1993.
38 : ملحمة السيد ، دار المعارف، ط1، ،القاهرة، 1970.
39 :الحضارة العربية إسبانيا ، ط3 ،دار المعارف القاهرة ، 1414، 1994.
40- :داسات عن ابن حزم ، ط4، دار المعارف ، القاهرة ، .1993
41 :دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة ، ط4، دار المعارف القاهرة ، .1994
42- الملا أحمد علي: أثر المسلمين في الحضارة الأوربية ، دار الفكر ، دمشق ط2، 1981.
43- مقلد الغنيمي عبد الفتاح:كيف ضاع الإسلام من الأندلس، القاهرة 1413هـ .
44 مرعي نعيم فرح فيصل عبد الله عيد: 45- المدخل إلى تاريخ الحضارة- الشرق والغرب ،ج 2 ، جامعة دمشق ، سوريا ، 1991.

45- مرسي محمد عبد الجبار محمد عبد العليم:_ مقالة مفاهيم إسلامية وغربية عن الحضارة ،مجلة الفيصل، العدد 35 ،1987.
46- مظهر جلال: "الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث" ، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة .
47- النشار محمد محمود: علاقة مملكتي قشتالة و أراجون سلطة المماليك (658 741هـ / 1260 1341م) ،عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية الجماهيرية الليبية ط1 .1997 .
48 ضيف شوقي: الحضارة الأندلسية من المشرق والمغرب، دار المعارف ،القاهرة ، 1994.
49 عاشور سعيد عبد الفتاح : أوربا العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو مصرية ، ط10 ، 1986.
50 العبادي عبد الحميد: المجمل في تاريخ الاندلس ، دار الكتاب العربي ،بيروت ط1، 1981.
51 العبادي احمد مختار: في التاريخ العباسي و الأندلسي، دار النهضة العربية للطباعة و نشر ،1986 .
52 عبد المجيد محمد بحر:اليهود في الاندلس، سلسلة المكتبة الثقافية العدد 237، القاهرة, 1970 .
53 العريني السيد الباز : الحضارة والنظم في العصور الوسطى ، ق1، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1991.
54 عيد يوسف: الفنون الأندلسية وأثرها في أوروبا القُروسطية، دار الفكر، بيروت ، لبنان ، 1990 .
55 عمران محمود سعيد: حضارة أوربا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت ، 1998.
56 عنان عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم 2 ط1 ،القاهرة 1952 ،
57 :الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا و البرتغال ،مؤسسة النانجي، القاهرة الطبعة الثانية ،( 1381 هـ 1961م ) .
58 الفيومي محمد إبراهيم : تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس ،دار الجيل ،بيروت ،1979.
59- فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب ، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982.
60 فكري أحمد: قرطبة في العصر الإسلامي ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ، 1983.
61 فروخ عمر : الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني ، مقال منشور في مجلة المناهل المغربية، العدد 31، ربيع الثاني، 1405 هـ. رجب محمد عبد الحليم: العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية، دار الكتاب المصري دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، (بدون تاريخ) .
62 سالم سحر عبد العزيز: تاريخ بطليوس وغرب الأندلس في العصر الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة القاهرة ،ج1 ،بدون سنة ولا تاريخ طبع .

63 سالم عبد العزيز : تاريخ المسلمين و أثارها في الأندلس، مكتبة الإنجلوا المصرية، ط2 ،1986 .
64 : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، دار النهضة العربية ، بيروت ،لبنان ،ط ، ج1 ،1987.
65 السباعي مصطفى: من روائع حضارتنا ،دار الصديقية ، الجزائر, 1980.
66 سيد رضوان علي : "العلوم والفنون عند العرب ودورهم في الحضارة العالمية"، الرياض، دار المريخ 1407هـ/1987.
67 سلامة محمد سلمان: دولة المرابطين في عهد علي ابن يوسف بن تاشفين ، دراسة سياسية وحضارية دار الندوة الجديدة ،ط1 ،1405 . 1985 .
68 الشريف إبراهيم: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي،القاهرة ، 1976.
69 شلبي أحمد:موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ،ج4 ط 6 ، القاهرة ،1984.
70 الشيباني محمد الواحد: الكامل في التاريخ ،تحقيق ابي الفداء عبد الله القاضي ،دار الكتب العلمية ،ج4 ،ط2 بيروت ، 1415 1995 .
71 الهلال محمد حمام:الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، سلسلة ندوات ، رقم 48 ، العربية للطباعة و النشر ، ط 1995،1.
72 الوكيل محمد السيد: الأمويون بين الشرق والغرب، دار القلم ، بيروت1416 هـ1995 .

## المراجع الأجنبية المترجمة إلى اللغة العربية:

1 أشباخ يوسف:تاريخ الأندلس في عهد المرابطين و الموحدين , ترجمة محمد عبد الله عنان ط2 مطبعة □نة التأليف و النشر القاهرة 1377- 1957 .

2 بروفنسال ليفي: ا□ضارة العربية في أسبانيا ، ترجمة الطاهر مكي،مكتبة النهضة ا□صرية ، القاهرة ،1972.

3 : حضارة العرب في الأندلس ، ترجمة ذواقان قرقوط ، دار مكتبة الحياة بيروت ، 1987 .

4 : الشرق الإسلامي وا□ضارة العربية الإسلامية ،دار الطباعة تطوان ا□غرب ،1951.

5 : الإسلام في المغرب و الأندلس ،ترجمة محمود عبد العزيز سالم ،محمد صلاح حلمي، راجعه لطفي عبد البديع ،مؤسسة شباب ا□امعة الإسكندرية، 1990.

6 بول لين:قصة العرب في اسبانيا ،تعريب علي الجارم ،دار المعارف القاهرة ،ط 1960 ، .

7 بركلمان كارل : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلوم للملايين ، بيروت ،ط9.

- ترند : اسبانيا والبرتغال ، ترجمة حسين مؤنس ، دار النهضة ا□صرية ، ط2، 1967.

8 دوزي : ملوك الطوائف ، تعريب كامل كيلاني ، القاهرة ، 1967.

9 : تاريخ مسلمي اسبانيا، ج1 ،تعريب حسن حبشي، دار ا□عارف ، القاهرة.

12 الدوميلي: (العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالي) ،ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة, 1962 .

20 رينو جوزيف:الفتوحات الإسلامية في فرنسا و ايطاليا و سويسرا في القرن 8 9- 10م ،ترجمة إسماعيل العربي ،دار الحداثة ،ط1 ،1984 .

21 ريبيرا خوليان: التربية الإسلامية في الأندلس . ترجمة الطاهر أحمد مكي ،دار ا□عارف ، القاهرة.

- رايلي كانين : الغرب والعالم ، تاريخ ا□ضارة من خلال موضوعات ، ج1 ، ت ، عبد الوهاب محمد المسيري ، وهدى عبد السميع البحاري ، الكويت ، 1985.

- كارلس أميريكو : حضارة الإسلام في إسبانيا ، ت ، سليمان العطار ، دار النشر والتوزيع ، 1983.

13 كانترو نورمان : التاريخ الوسيط ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، ط2، القاهرة 1986.

15 لوبون غوستاف:حضارة العرب ،تعريب محمد عادل زعتر ،القاهرة ,1945 .

16 : حضارة العرب ،دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر ، بيروت ،لبنان ،.1985

17 لويس برنارد : اكتشاف المسلمين لأوربا ، ترجمة ماهر عبد القادر ، المكتبة الأكاد□ية ، القاهرة ،1996.

18 مينوكال ماريا روزا: الاندلس العربية: اسلام الحضارة وثقافة التسامح ، ترجمة عبد المجيد جحفة ومصطفي جباري، دار 11توبقال، سلسلة معالم، الطبعة الأولي، 2006.

19 ماير هانس إبرهارد: تارخ الحروب الصليبية ، ترجمة عماد الدين غانم ، منشورات مجمع الفاتح ، الجماهيرية ، طرابلس ، 1990.

24 غوميز مارغريتا لوبيز:المستعربون نقلة الحضارة الإسلامية في الأندلس، المطبعة الإسلامية الحديثة ، القاهرة ، ط1، 1989.

- هونكة زيغرد: شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيوض ، وكمال الدسوقي ،المكتب التجاري لطباعة و التوزيع ، ط1 ، 1964.
11 وايزنل ول: قصة الحضارة ، ترجمة محمد بدران ، عصر الإيمان دار الجيل ، بيروت ، 1998.
12 وبوزورث شاخت: (تراث الاسلام) – ترجمة محمد زهير السمهوري تحقيق شاكر مصطفى ،الكويت, 1978 .

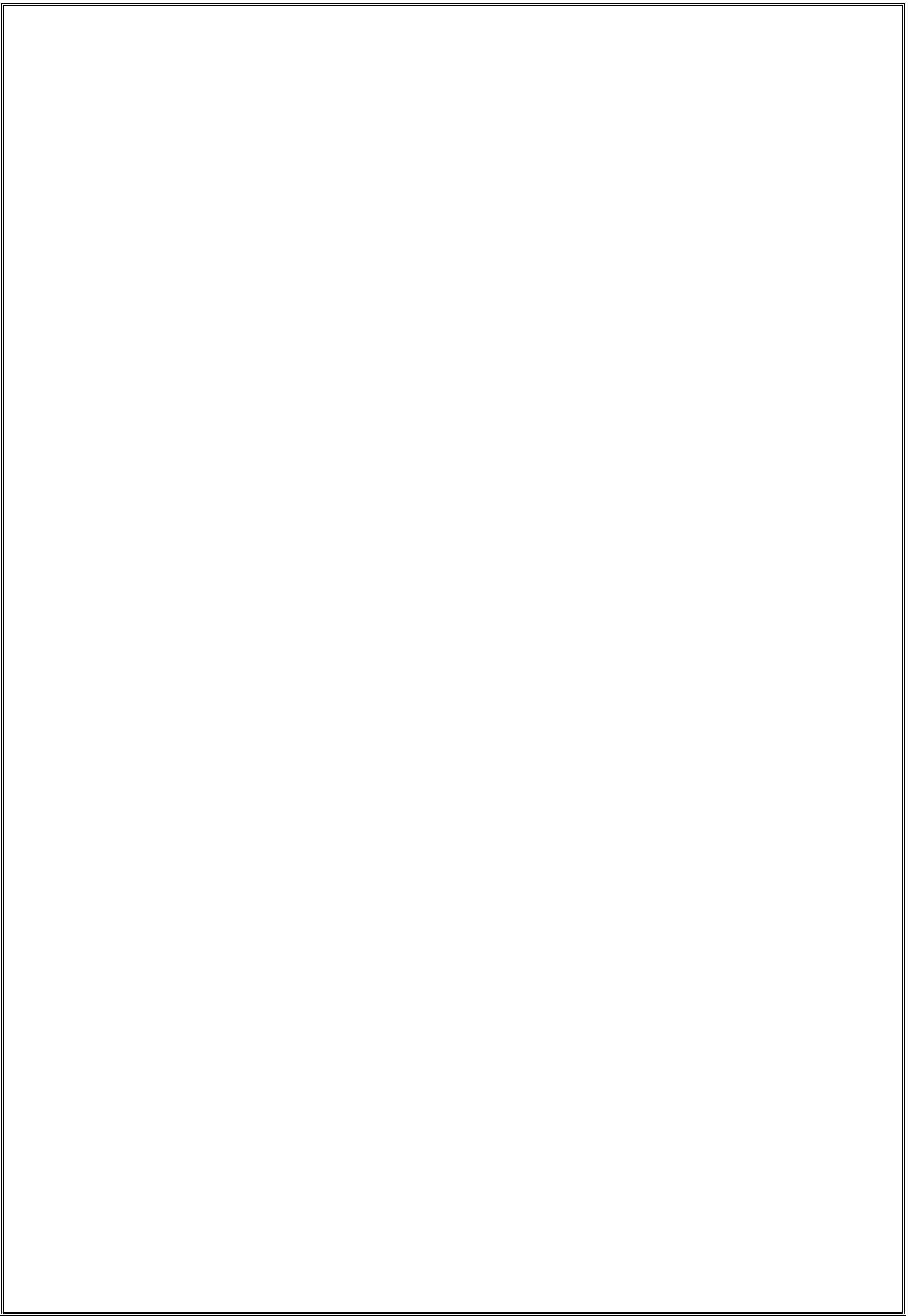
## الدوريات والموسوعات والقواميس و الرسائل الجامعية :

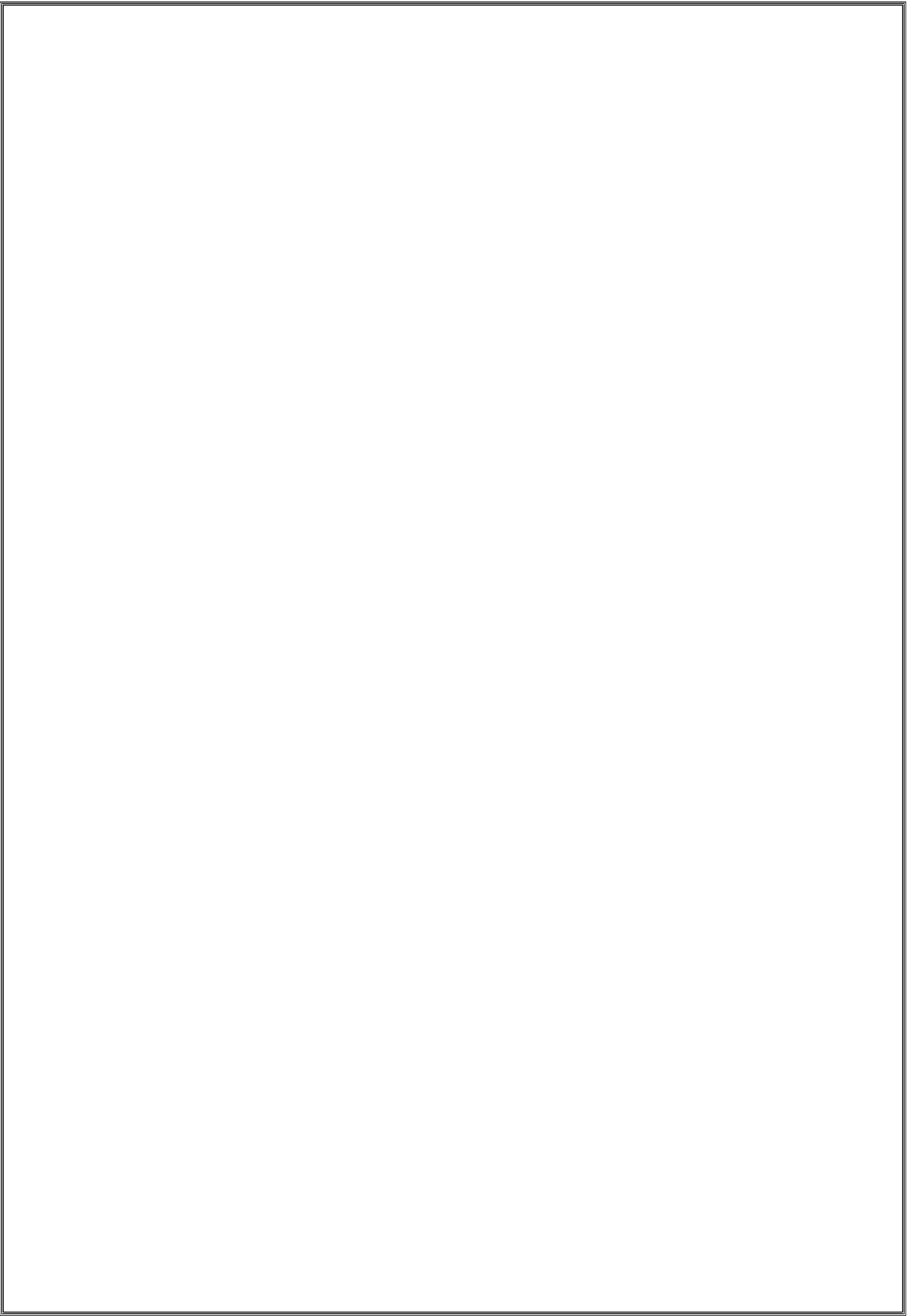
1
- بلغيث محمد الأمين: الحياة الفكرية في الأندلس عصر دولة المرابطين ، دكتوراه ، إشراف حجيات, 2000/2001.
2 تومي رشيد : العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية ما بين 1046و1154، مذكرة ماجستير نوقشت بجامعة الجزائر ، عام 1988.
3 حسبلاوي نسيم:الحياة الفكرية في الأندلس في عهد الدولة الأموية 138 422هـ/756 1031م ،رسالة ماجستير ، إشراف محمد الأمين بلغيث ،جامعة الجزائر سنة 2000 2001 .
4 دندش عصمت: علاقة الأندلس بمملكة قشتالة من خلال الأقليات أهل الذمة ، مجلة الدراسات وبحوث في تاريخ الغرب و الأندلس ، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، رقم 48،الرباط ،1995 .
5 زيتون محمد:الفتح الإسلامي للأندلس ،كلية العلوم الاجتماعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ،العدد الرابع ،1980.
6 مكى محمود على :ابن زيدون وشعر التروبادور ، مجلة الفيصل ، المملكة العربية السعودية ، .1992
7 مؤنس حسين: بلاي و ميلاد أشتريس و قيام حركة المقاومة النصرانية في شمال اسبانيا ، مجلة كلية الأدب،القاهرة ، المد11 ،ج1 مايو 1949 .
8 عبد الرضا عبد الجليل: عصر ابن زيدون ، مجلة الكتاب العددان 11 12، دار الحرية ، بغداد، 1975.
9 فراد محمد علي : القوى المغربية في الأندلس خلال عهد ملوك الطوائف ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة ،إشراف سامي سلطان سعيد ، جامعة الجزائر ،1981 1982.
سارتو جورج: الحضارة الإسلامية–مقالة – مهد الحضارة الغربية في الشرق الأوسط – ترجمة فاطمة عصام صبري– مجلة التراث العربي نيسان 1989 .
10 سامسو خوليو: مسلمة المجريطي وكتاب الفونسو في لإنشاء الإسطرلاب ، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمي العربي ، جامعة حلب ،سوريا ،عدد 2، 1980.
11 الهلال محمد حمام:الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال القرون الوسطى ، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، سلسلة ندوات ، رقم 48 ، العربية للطباعة و النشر ، ط1 ،1995.

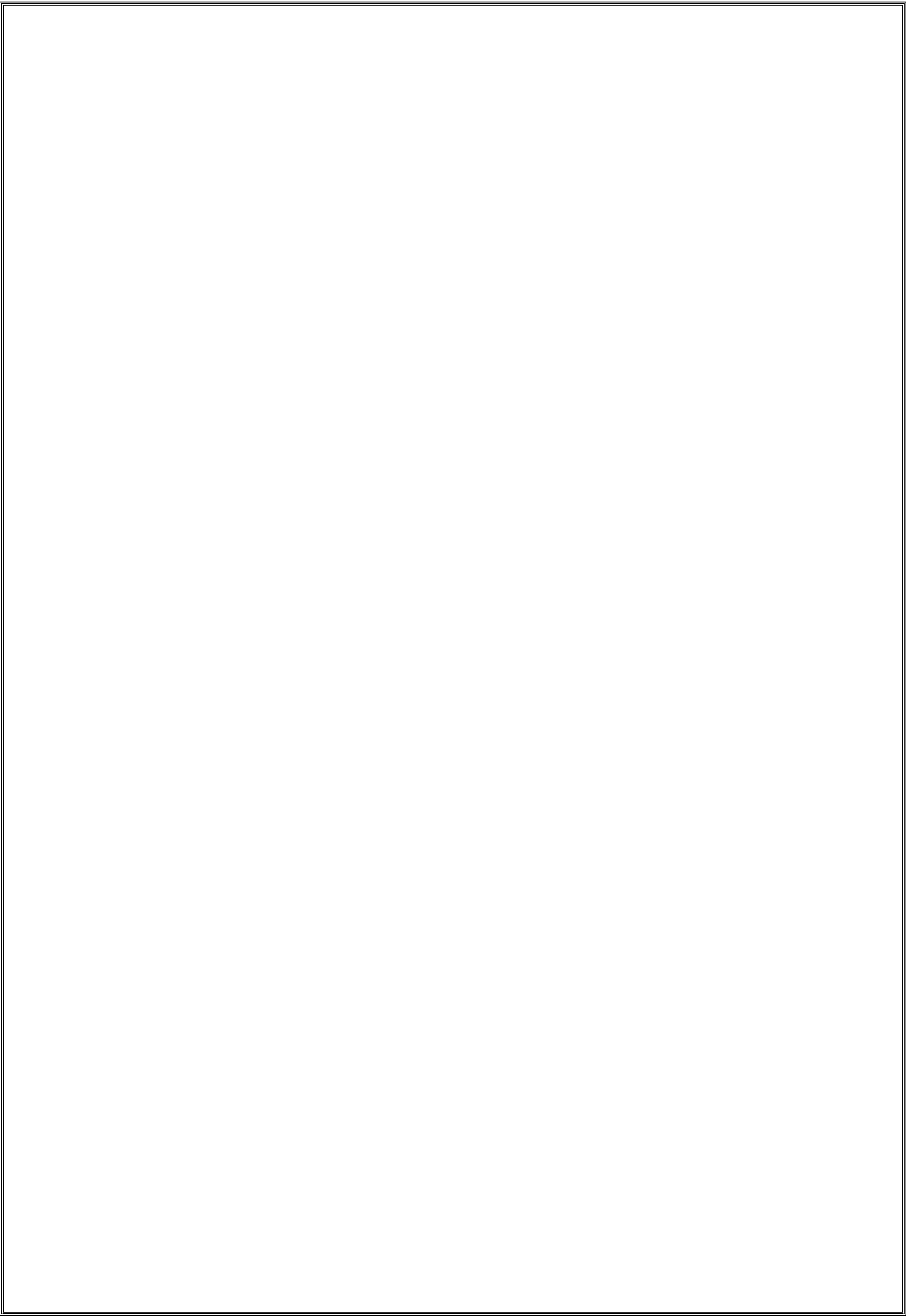
## المراجع باللغة الأجنبية :

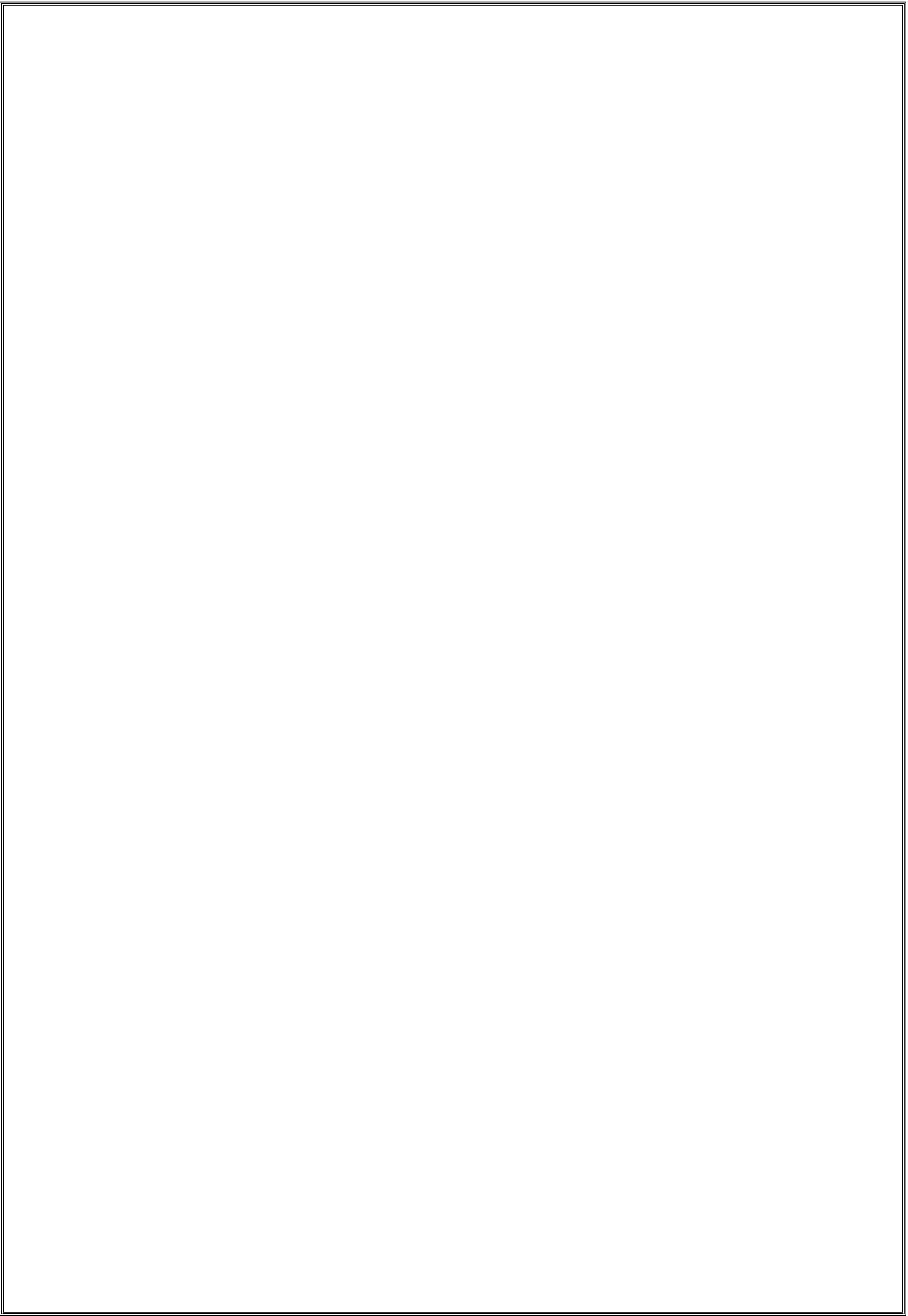
(1) A. Gonzalez, palencia Historia dela Literature Aravigo-Espanola, Labor, ,Editorial Barcelona,1945.
(2) Balard M., Genête J.-Ph , Rouche M , Des barbares à la Renaissance collection Hachette university ,Paris ,1981.
(3) Bartome Bennassar, Histoire de L'Espagne Vie-xveII siecle, Armand colin, Paris, 1985.
(4) Bartome Bennassar, Histoire de L'Espagne, Vie-xveII siecle; Armand colin, Paris,1985.
(5)Claudio Sanchez-Albornoz, Viejos y Nuevos estudios Sobre los Iinstitnciones Medivoles Eespanolas , espasia calpe ,s, A , Madrid ,1976.
(6)Clément Francois,Origines Ethno-Culturelles et pouvoir dans l'éspagne Musulmane des Taifas (V[e]-XI[e] siècles), Paris , Mélanges de la casa de Velasquez, 1993.
(7) Dozy (R) , Recherches sur l histoire et la littérature de l espagene pendant le M-age ,t.II,paris.1881.
(8) Dominguez Ortiz, Antonio, y Bernard Vincent, Historia los Moriscs, (Madrid 1978).
(9) Defourneaux(M), Les Français en Espagne aux XI[e] et XII[e] siècles , Presses Universitaires de France Paris,.1949.
(10) Encyclopédie de l Islam; Edition 1960.
(13) F.J.PEREZ DE URBEL, Primiros Contactos del Islam el Reino Asturiano (Arborl 1953).
(11) Fossier(Robert),Enfance de l'Europe Aspects économiques : et sociaux,:l'homme et son espace, Tome1, les éditions P.U.F.,Paris,1982 .
(12) Genet (J-P), Rouch(M) , des Barbares a la Renaissance , Hachette universitaire .1981.

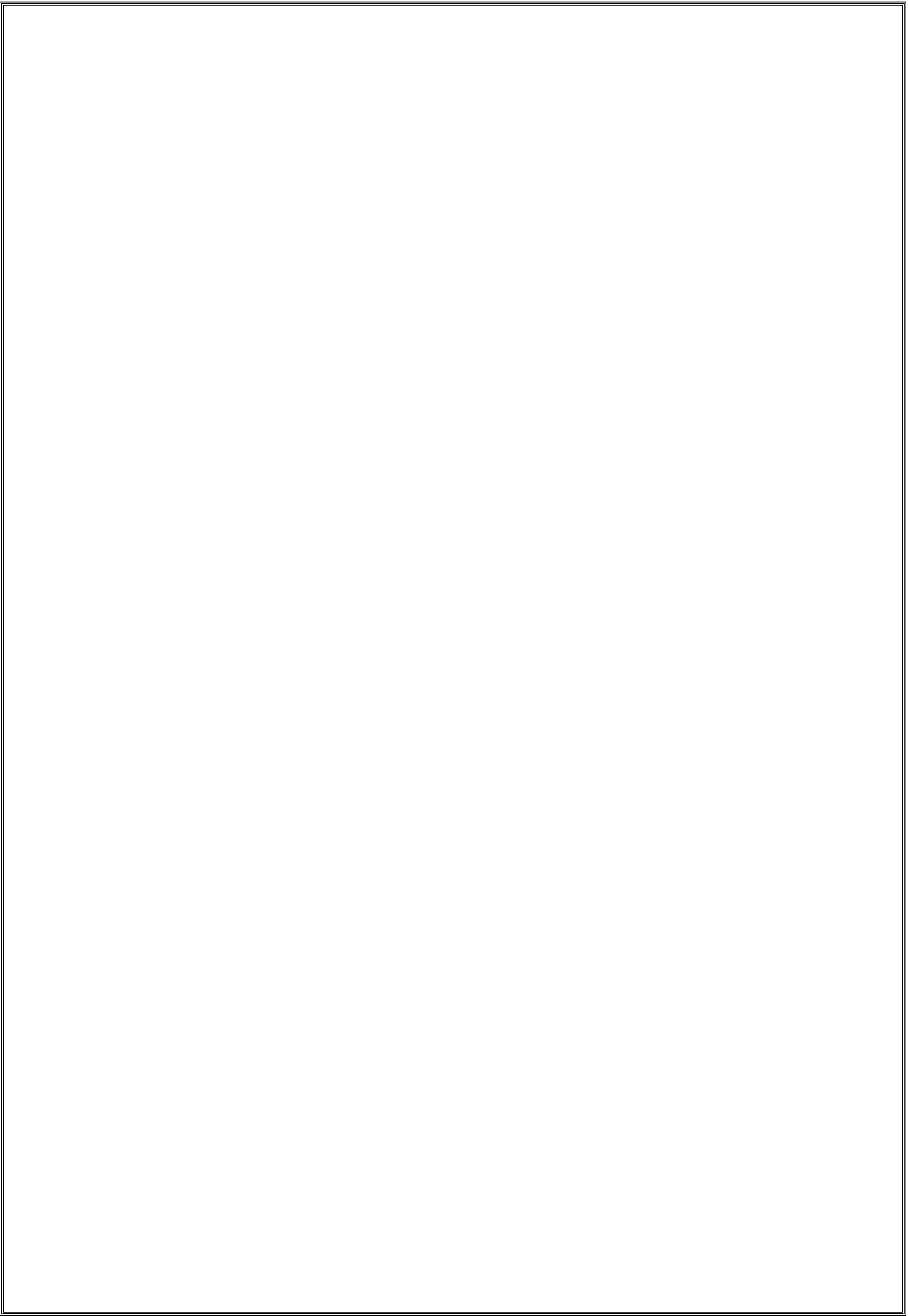
(13) HEERS JACQUES, Précis d'Histoire du Moyen Âge , Presses Universitaires De France, paris 1995.
(14) Jose Maria Lacarra, Diccionario Historico Español (Madrid 1968).
(15)LivermorHorold,A History of spain ,London, 1976.
(16) Lucien clare,Le Moyen Age Espagnol , Libraire Arman colin,Paris,1972.
(17) Marcelin Defourneaux, Les Français en Espagne aux XI[e] et XII[e] siècles , Presses Universitaires de France Paris,.1949.
(18) Maria Jesus Viguera, Aragon Musulman,coleccion .Aragon,EditorialLibreria,general .Zaragoza.1981.
(19) Meyerhof: science and Medicine The Legacy Islam, Max 15 of University press Oxford, 1968.
(20) Mourre (Michel), Dictionnaire Encyclopédique d Histoire (D.F.) Edition1972.
(21) pirenne (Henri),Mahomed et charlemagne ,p up paris ,1992.

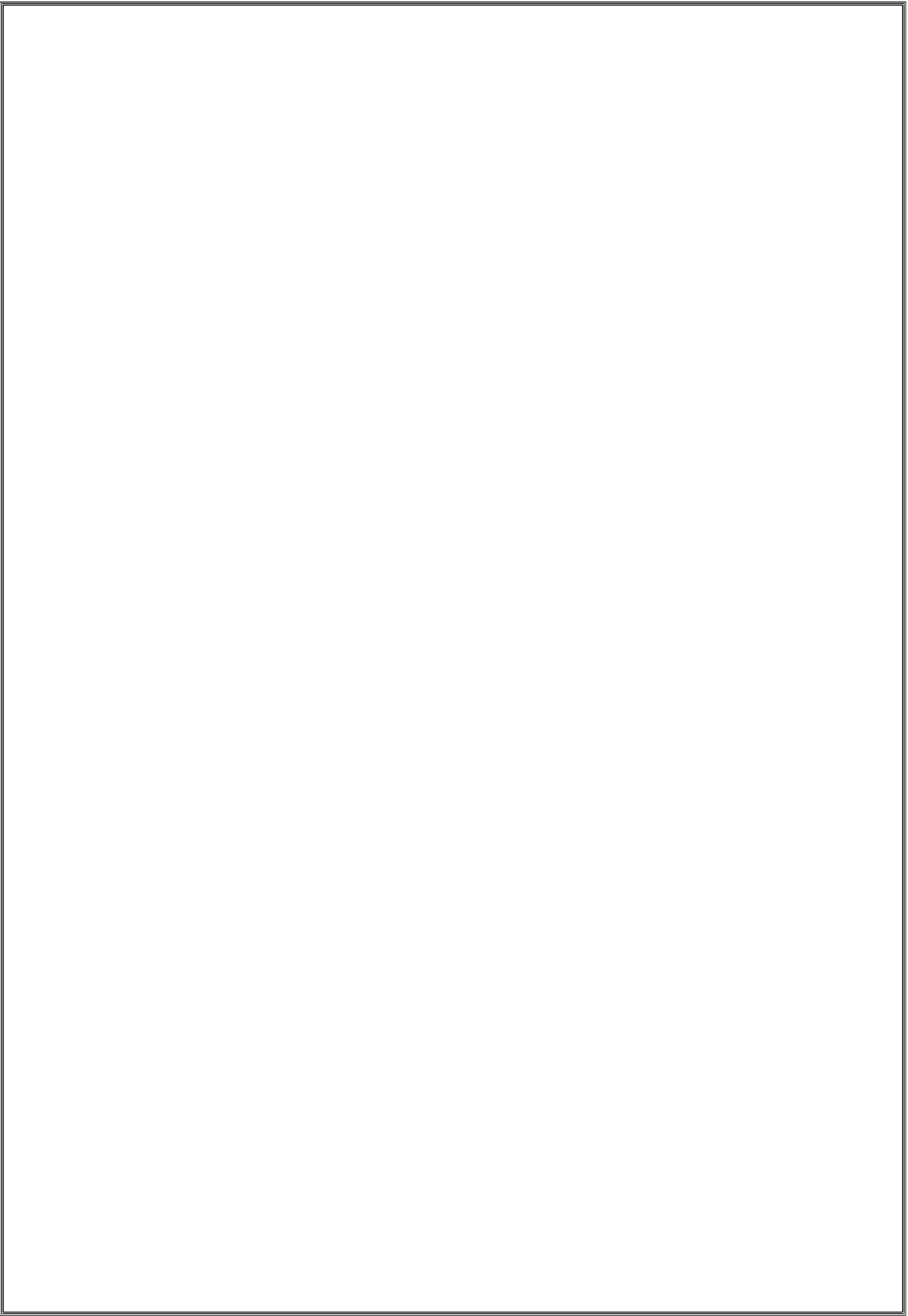












فهرس الموضوعات